



الإدراك العالمية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد 154 - ربيع 2013 السنة الثامنة والثلاثون



ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعولمة
قصيدتان لشارل بودلير
المتنبي وفيكتور هوغو

العدد 154 - ربيع 2013

الدَّارُ الْعَالَمِيَّةُ

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

تصدر كل ثلاثة أشهر، تعنى بنشر المواد المترجمة من الأدب العالمي في مجالات الشعر
والقصة والمسرحية وغيرها من صنوف الأدب الأبداعي، ومجالات النقد والبحث الأدبي

السنة الثامنة والثلاثون / العدد 154 / ربيع 2013

المدير المسؤول

أ. د. حسين جمعة

رئيس التحرير

أ. عدنان جاموس

مدير التحرير

د. ثائر زين الدين

هيئة التحرير

أ. د. نبيل الحفار

أ. توفيق الأسد

أ. رفعت عطفة

أ. فاروق الحميدي

الإخراج الفني

وفاء ساطي

الاشتراك السنوي

أعضاء اتحاد الكتاب العرب 250 ل.س

داخل القطر 300 ل.س

أفراد 900 ل.س

داخلي الوطن العربي 600 ل.س أو 15 دولاراً

مؤسسات 2000 ل.س أو 25 دولاراً

خارج الوطن العربي 900 ل.س أو 20 دولاراً

2000 ل.س أو 40 دولاراً

الدواتر الرسمية داخل القطر 200 ل.س

الدواتر الرسمية في الوطن العربي 350 ل.س أو 20 دولاراً

الدواتر الرسمية خارج الوطن العربي 500 ل.س أو 25 دولاراً

اتحاد الكتاب العرب

دمشق - المزة - أوتستراد - ص. ب: 3230

هاتف 6117243 - 6117241 - 6117240

البريد الإلكتروني

E-mail: worldletters@awu.sy

الموقع الإلكتروني

<http://www.awu-dam.org>

المراسلات باسم رئيس التحرير

لنشر في الأداب العالمية

تأمل هيئة تحرير «الأداب العالمية» من السادة الأدباء والمتجمين الذين يرغبون بالنشر فيها مراعاة الآتي:

- أن ترافق المادة المترجمة بالأصل الأجنبي الذي ترجمت عنه.
- أن تتم الترجمة عن اللغة الأجنبية الأصلية التي كتب بها النص ما أمكن.
- أن يكتب اسم المؤلف الأجنبي وعنوان المادة والمرجع باللغة الإنكليزية أو باللغة الأصلية التي كتب بها النص.
- أن يقدم المترجم لمحة عن سيرته الذاتية وعنوانه، ونبذة مختصرة عن المؤلف الأصلي للنص.
- أن تكون المادة المقدمة للنشر مطبوعة على وجه واحد من كل ورقة، مع نسخة إلكترونية ترسل على CD أو عبر البريد الإلكتروني.
- أن تثبت المصطلحات الأجنبية في هامش مستقل ملحق بالنص.
- أن تكون الموضوعات حديثة وهامة وغير منشورة.
- أن تثبت المصادر والمراجع الأجنبية والعربية في نهاية النص.
- لا تعاد المادة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

في هذا العدد من الأداب العالمية

- الأداب العالمية مرة أخرى رئيس التحرير 5
- ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعولمة د. سعيدة كحيل 13
- اختبارات (جيد) مارسيل بروست ترجمة: لطيفة ديب 43
- قصائد للشاعرة الألبانية أدلينا ماما جي ت: عبد اللطيف الأرناؤوط 63
- قصيدتان شارل بودلير ت: علي مولانا نعسان 77
- ماهاش ساراتشاندرا تشاترجي ت: زهير ناجي 83
- الصديقة ماري لافين ت: مها بجبح 107
- الفائضون فيليب لوله ت: د. نبيل حفار 123
- متابعات أوسكار وايلد ت: توفيق الأسد 199
- رسالة وداع غابرييل غارسيا ماركوز ت: د. فؤاد عبد المطلب 205
- أخبار أدبية هدى أنتبيا 209
- المتنبي وفيكتور هوغو د. ثائر زين الدين 235



رابط بديل

lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

الآداب العالمية مرة أخرى

رئيس التحرير

هل ثمة فرق في المعنى بالعربية بين عبارتي : "الآداب العالمية" و "الأدب العالمي" ؟ إدخال أن أول ما يتadar إلى الذهن عند سماع عبارة "الأدب العالمي" معنى ينطوي على حكم قيمةٍ ؛ أي حكم إنشائي تقويمي ؛ بينما ينطوي المعنى الذي يتadar إلى الذهن عند سماع العبارة الأخرى على حكم وجودٍ ؛ أي حكم خيري تقريري . فعندما يوصف عمل أدبي ما بأنه من "الأدب العالمي" تتصور أول ما تتصور أن هذا العمل على مستوىً عالٍ من الفنية ، وأنه قد تُرجم إلى لغات عديدة ، وحظي باهتمام نقادٍ وقراءٍ ينتمون إلى مختلف بلدان العالم ، وكتب عنه دراسات ومقالات نقدية عديدة ، وربما كُتبت فيه أطروحتات بحثية لـ نيل إحدى الدرجات العلمية...إلخ ، ورب عمل أدبي يصدر حديثاً لكاتب محلي ، ما إن تفرغ من قراءته حتى تقول في سرّك : عمل ذو مستوىً عالمي ؛ أي أنك تتبأ له بأن يسترعى اهتمام المترجمين والناشرين في بلدان العالم ، وينتشر على نطاق واسع بين القراء ، وذلك لما يحوزه من خصائص ومزايا فنية إبداعية في المضمون

والشكل، تجعل أي قارئ متذوق للأدب يرى فيه جديداً غير مسبوق ، يتسم بأهمية إنسانية جوهرية ؛ وقد استطاعت موهبة الكاتب أن تلتقطه ، وتعالجه إبداعياً بعد أن تنفذ إلى جوهره ، ثم تكشفه إلى درجة النمذجة الفنية ، وتشخصه في صور مفردة حية ، وتعبر عنه بأسلوب أصيل ، وصياغة مبتكرة. ومع أن أمثال هذا العمل غالباً ما تعالج موضوعات تتسم بصبغة بيئية محلية ، إلا أن معالجتها الإبداعية العمقة تكشف فيها عن قضايا تهم الإنسان بما هو كذلك ، ولذا يتفاعل معها القارئ المتذوق من أي بلد كان ، ويتأثر بها ، ويعود إلى قراءتها والتأمل فيها مرة بعد مرة. ولا شك في أن هذه الأعمال الأدبية لا يمكن أن تصل إلى هذا المستوى من الأهمية والجاذبية إلا إذا صيغت وفق القواعد الجمالية ، التي جعلت من الفن مجالاً قائماً بذاته ، يتميز من سائر مجالات الوعي الاجتماعي العليا ، مثل العلم ، والفلسفة ، ونظرية الأخلاق ، والنظريات الاجتماعية - السياسية والحقوقية...إلخ.

ومن المعروف أن المقوله الجمالية المحورية في علم تاريخ الفن ، وعلم الجمال ، هي مقوله "الرائع" التي تحدث عنها أرسسطو في مؤلفه "الميتافيزيقا" (ما وراء الطبيعة). وكانت هذه المقوله تختلط أحياناً لدى بعض الفلاسفة والمنظرين بمقوله أخرى هي مقوله "السامي" ، على الرغم من أن هاتين المقولتين تختلفان في المضمون من حيث الجوهر. وقد بدأ هذا الخلط منذ العصور القديمة ، واستمر لدى البعض إلى عصور متأخرة. وكان الفيلسوف اليوناني فيلون الإسكندرى (القرن الأول ق.م - القرن الأول الميلادي) يستعمل مصطلح "الرائع" التقليدي (pseudo-Longinus) بينما ابتكر معاصره لونجينوس المزعوم (to kalon) مصطلحاً جديداً هو "السامي" (to hypsps)؛ ولكن الاثنين كانوا غالباً ما يتحدثان ، من الناحية العملية ، عن الظاهرة نفسها : بيد أن الفلاسفة والمنظرين الذين عالجوا فيما بعد موضوعات علم الجمال والفن ، صاروا يميزون ، بدءاً من

القرن السابع عشر، بين مفهومي "الرائع" و"السامي"، أو "الجميل" و"الجليل" (the Beautiful and Sublime)؛ حتى إنّ الفيلسوف الألماني "عمانوئيل كانت" وضع أحدهما مقابل الآخر: فالسامي أو الجليل (the Sublime) في مفهوم "كانت" لا متناهٍ، وغير محدود، بينما الرائع أو الجميل (the Beautiful) "متناهٍ ومحدد بشكل معين. غير أنّ "الرائع" ظل هو المفهوم الجمالي المركزي في الفن حتى العصر الحالي، وإن اختلف علماء الجمال والباحثون والنقاد في تحديد طبيعته ومضمونه. والمقصود بقوله "الرائع" في هذا الصدد هو "الرائع فنياً"؛ إذ يمكن للفن أن يعيد خلق الظاهرات "الجميلة" و"اللامجميلة"، و"المتفوقة في الأجناس اللامتفوقة"، ولكن في جميع الحالات لا بدّ من أن تكون الصور في العمل الأدبي "رائعة فنياً" كي يصل هذا العمل إلى مرتبة "الأدب العالمي" ، بقطع النظر عن العصر الذي عاش فيه الأديب: (سواء العصر القديم: هوميروس وسوفوكليس، وفيرجيليوس وهو راسيروس، أو العصر الحديث: بروست وأراغون، وبيكريت وغارثيا ماركيز)، وبقطع النظر عن الاتجاه الأدبي الذي يتبعه: (سواء أكان الواقعية النقدية: بلزاك وتولستوي وتشيخوف، أو الواقعية الاشتراكية: غوركي وشولوخوف وأمامدو).

أما مفهوم "الأداب العالمية" فهو ينطوي، كما ذكرنا، على حكم وجود؛ أي أن المقصود به أداب مختلف الأمم والشعوب في العالم، وهي أداب يمكن أن تحتوي على أعمال ذات انتشار وقيمة عالمين، كما يمكن أن تكون محصورة ضمن نطاق إقليمي معين؛ وربما كانت ثمة أعمال أدبية لدى هذه الأمة أو تلك جديرة بأن تنتهي إلى "الأدب العالمي" ، ولكن لما تُقيض لها بعد الظروف المناسبة لذلك. وبهذا المعنى بالذات تحمل مجلتنا اسم "الأداب العالمية" ، أي أن المحررين لا يلزمون أنفسهم بشرط حتمي، يتمثل في عدم نشر أي عمل لا يتبع إلى دائرة "الأدب

ال العالمي" ؛ بل هم يحرصون على تعريف القارئ العربي بما أبدعته وتبدعه الأقلام الموهوبة من أعمال أدبية في مختلف بلدان العالم. ومن السهل وضع خطة عمل ترسم الطريق المؤدية إلى جعل المجلة منبراً كافياً لإطلاع القارئ على أفضل ما أنتجه ويتجه الأدباء ومنظرو الأدب ونقاده في العالم من أعمال في الماضي والحاضر. ولكن تنفيذ مثل هذه الخطة لن يكون بالأمر السهل ، وخصوصاً في مثل هذه الظروف التي يعيشها الوطن الآن. ونحن نعتمد في تنفيذ ما نطمح إليه من أهداف على جهود المترجمين والباحثين الذين يزودون المجلة بإبداعاتهم ، ونقدر الجهد التي بذلوها للوصول بالمادة المترجمة أو المدرستة إلى الشكل الذي يؤهلها للنشر في المجلة ؛ إذ إن مجرد الحصول على النصوص المعاصرة الجديرة بالترجمة ، والمواد الجديدة التي تستأهل الدراسة والمعالجة ، يحتاج في ظروفنا هذه - حتى مع وجود الشابكة وبعض المراكز الثقافية الأجنبية - إلى بذل جهود حثيثة ، ودأب وإصرار كبيرين ، فما بالك بالجهد الذي تتطلبه عملية الترجمة والمعالجة نفسها ! ولذا فإن تقويم أي عمل يصل إلى المجلة ينطلق من مراعاة كل ذلك ، بعد أن تكون القناعة بأن المادة الأصلية جديرة بالاهتمام و تستحق النشر.

ومن البديهي أن تحتفي هيئة التحرير بالأعمال الأدبية والنقدية والنظرية المعاصرة ، التي تساعد على مواكبة المسيرة العالمية ، وإطلاع القارئ العربي على أحدث الإنجازات الإبداعية ، سواء أنت من الشرق أم الغرب ، على أن تمتاز بالسمات الفنية ، التي يشكل مفهوم "الرائع" محورها الأساسي.

ولا شك في أن خطة المجلة ينبغي أن تشتمل على نشر ملفات خاصة ، أو تكريس أعداد كاملة لموضوع معين ، تحيط به من جميع جوانبه قدر الإمكان ؛ وها نحن ندعوا الزملاء المترجمين والباحثين إلى موافاتنا بترجماتهم وأبحاثهم حول موضوع "الإستشراق" : ماله وما عليه" ؛ ونأمل أن تكون المواد المرسلة أصلية ومُعلّلة ، لا تكرر ما كان قد قيل ؛ بل تضيف إليه ، و تستكمله ، و تُغْنيه.

وبحذا إلقاء الضوء على الإستشراق في مراحله المتأخرة ، وتحديد الاتجاهات التي ينزع إليها ، والمسارات التي يسلكها في العصر الحالي ، وتأثيره بالنظريات "الحداثية" التي يدعى المستشرقون "الحداثيون" التزامهم بها بصفتها نظريات علمية ، ليسوغوا تزييف الواقع ، وتحريف الحقائق ، التي أثبتها إستشراقيون كلاسيكيون موضوعيون.

وترحب هيئة التحرير بقبول أية أعمال أدبية مترجمة تفي ، في أصولها ، بشروط التصوير الفني وفق قانون "الرائع فنياً" ، وتتسم ترجمتها بالدقة والأمانة المعنية ، وسلامة اللغة ، وسلامة الأسلوب .

الدراسات

- ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعولمة

د. سعيدة كحيل

- اختبارات (جيد)

مارسيل بروست ترجمة: لطيفة ديب

ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعلمة

* د. سعيدة كحيل

ملخص الدراسة

للترجمة العربية دور رياضي في البناء الحضاري بشكل عام ، ونسج حوار عالمي من خلال إنتاج ترجمة الكتب من العربية وإليها في عالم متداخل من اللغات والإيديولوجيات والقيم. ومن هنا يظهر أنه ليس من السهل الدفع بالعربية لغة للترجمة إلى ساحة مواجهة غير متكافئة مع لغات أخرى تسسيطر على حلبة الصراع الثقافي والمعرفي والتكنولوجي مما يتحتم على الذات العربية أن تعيد بناء قدرتها الذاتية لمواجهة الآخر بمنافسته موضوعياً مع المحافظة على خصوصيتها الحضارية ، ومن هنا يمكن أن نشرع لسؤال مهمٍ هو : كيف السبيل إلى إحداث قفزة نوعية لترقية اللغة العربية عبر الترجمة وجعلها لغة عالمية في ظل التحديات العالمية؟ في ضوء هذا الإطار المفهومي تأتي رؤيتنا لوصف واقع حال ترجمة الكتاب إلى العربية ومنها ، وتجلياته المشهدية في الراهن الثقافي والاقتصادي المنجز ونطرح هذه المعطيات :

* قسم الترجمة ، جامعة عنابة ، الجزائر.

1- أهمية الترجمة من وإلى العربية.

2- لغة الكتاب العربي بين العالمية والعلمة وصناعة الهوية .

3- وصف واقع الحال.

4- استشراف المآل.

5- تجربة ميدانية في صناعة كفاءة ترجمة الكتاب العربي

نهدف من هذه الدراسة جس نبض حركة ترجمة الكتب من العربية وإليها بالإجابة عن أسئلة هامة. ماذا وكيف ولماذا نترجم بالعربية وما هي الحصيلة المعرفية الحقيقية لهذا العقل الترجمي؟ كيف نعد كفاءات الترجمة لكي تربّع رهان السوق. ما دور المنظمات في هذا الفعل الحضاري.

و يقودنا هذا البحث إلى السبر في هوية اللغة العربية و عالميتها.

مقدمة:

ليس جديداً التصريح بأهمية الترجمة في صنع الهوية في عالم تشابكت فيه العلاقات وتداخلت المصالح وتواشجت المشاعر وتكاثفت المؤامرات.

إن مشروع الهوية العربية يقوم مرة أخرى مع الترجمة على شرط توفر بيئة عمل للمترجم، توجهه وتشجعه وتحترمه، كما يحتاج الأمر إلى تسويق حقيقي وتأمين إعلامي لهذا المشروع يؤسس لبيت حكمة ثان في «لبنان» – بيئة الترجمة الفضلي.

يشهد العالم اليوم تحولات جذرية في التفكير والبحث العلمي وأفق الترويج للمعرفة في جميع نواحي الحياة البشرية والكونية تتجه به نحو فلسفة وجودية وحيدة المسارك والغاية، محاولة صياغته وقولبه بطريقة واحدة(1)، سعيًا إلى خرق فكري منظم لبنيّة الهوية(2) وأنساقها الثقافية والأخلاقية واللغوية والنفسية والاجتماعية(3)، وثمة مسألة جد مهمة تتعلق بخطورة عدم التمييز بين المنظور اللغوي للهوية والمنظور الثقافي لها ، فقد كرس الخلط بينهما مشكلات اجتماعية وإيديولوجية

لا يمكن تجاهلها في كثير من البلاد العربية، مما يجب أن نعي النظر فيه، ذلك أن المعادلة الكلاسيكية التي تحدد تشكل الدولة بالشعب واللسان لا تلقي بالاً لتلك المتغيرات الثقافية الداخلية في الجسم الواحد، وربما نزعم أن فشل بعض البلدان في تعميم التعرّب إلى هذا العامل بالذات فتحولت العملية من مسارها العلمي (ترجمة وتأليفاً وإبداعاً) إلى مشكلة إثنية مستعصية الحل.

١- اللغة والترجمة :

من الواضح أن أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة واحدة يشترون في النظرة الكونية، فلكل لغة طريقتها في تقطيع العالم الخارجي كما يشير إلى ذلك اللساني الدانماركي "لويس هيلمسليف" في استشهاده بألوان قوس قزح من حيث اختلاف اللغات في تحديد عددها ومن ثم التعبير عنها بوسائل إعلامية مختلفة(4)، غير أنه من الممكن أن تشارك جماعات مختلفة ثقافياً في لغة واحدة، كما يمكن أن توجد لغات مختلفة نطاً ثقافياً مهيمناً في جماعات مختلفة، لقد ذكر "سايبر" في أوائل القرن العشرين، أن اللغة والجنس والثقافة(5) ليست بالضرورة متلازمة، إلا أن هذا لا يعني أنها لا تتلازم أبداً(6)، وكتب "سومارفليت" في هذا فقال: إن اللغة ظاهرة اجتماعية، والتغيرات التي تعرفها هي أيضاً ذات طابع اجتماعي لكن هذا لا يعني أن هناك تقبلاً بين البنية اللغوية والمجتمع الذي يستخدم هذه البنيات كوسيلة للتواصل. إن البنية اللغوية يمكن أن تبقى على حالها من غير تغيير بالرغم من التغيرات الثورية التي يمكن أن تحدث في الأنماط الثقافية والاجتماعية(7). كما يقرر سايبر في سياق آخر أن العالم الحقيقي للفرد يتحدد بتلك العادات اللغوية المختلفة بالضرورة عن أخرى في أنظمة اجتماعية مختلفة لغوياً عن نظامه الخاص، وفي هذا السياق يستوقفنا رأي "وروف" الأمريكي الذي يقرر أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار(8)، ولعل هذه الفكرة هي نفسها التي عبر عنها "جوزيف فندريس" بقوله: إن الكلام يفتح العالم المغلق في حياتنا الداخلية، ويسمح لنا بالخروج

عنه ؛ إنه مبدع وصانع الحياة الاجتماعية(9)، واللغة نفسها هي المرشد إلى الواقع الاجتماعي ، إنها تؤطر بالقوة تفكيرنا جمِيعاً(10)، كما تشير مجموعة الآراء اللسانية المسنوبة للتيار الوظيفي في اللسانيات الحديثة إلى عمق الصلة بين اللغة والسياق الثقافي والاجتماعي ؛ إذ لا يمكن أن تخلل الظواهر اللغوية نفسها بعزل عن العامل الاجتماعي ، كما لا يمكن التكهن بالأدوار اللغوية للعبارات والألفاظ في التخاطب اليومي بالاكتفاء بالوصف البنوي الشكلي أو التوزيعي ، لقد ذهب "ماشيوس" رائد حلقة "براغ" اللسانية إلى أن جذور اللغة تنتد إلى البني الاجتماعية بكلفة أشكالها من ذلك مثلاً أساليب الحديث المختلفة والتي تشي في اختلافها بتتنوع المستوى الاجتماعي والثقافي والفكري والأيديولوجي للمتحدثين ، كما أن اللغة تهدف بالأساس إلى نقل المشاعر والرغبات الخاصة التي تغلف العبارات المنطقية بحكم الانتقاء إلى البيئة المائجة بشتى المعطيات الثقافية والدينية والفلسفية(11)، فمن إفرازات البيئة الاجتماعية العربية - مثلاً - قول العربي واصفاً حالة الانبساط النفسي الناتجة عن الطمأنينة : هذا حدث أثلج الصدور ، بينما يواجه الفرنسي الحالة النفسية نفسها بتعبير مغاير تماماً . وعلى صعيد البحث الأنثربولوجي يشير "مالينوفسكي" العالم البولندي الذي كان له التأثير الكبير في نظرية "فيرث" السياقية في كتابه الشهير "الحدائق الساحلية وسحرها" (Coral gardens and their magic) أنه من الصعوبة بمكان ترجمة ما يتعلق بالعادات والتقاليد من مفاهيم وتصورات خاصة إلى لغة أخرى ، فهي أنساق تند عن التعبير اللغوي لخصوصيتها المطلقة (12)، كما نجد تأكيداً على تمازج البنية اللغوية والمكون الثقافي عند مؤسس النحو النظامي (systemic grammar) مايكيل هاليدي وخلاصة رأيه : أن الاختيارات اللسانية المتاحة في نظام لغوي ليست هي التي يعول عليها المتكلمون للتغيير عن أفكارهم وأحساسهم المرتهنة بالثقافة الاجتماعية السائدة (13)، كما يؤطر الحديث اللغوي بالعادات والأعراف الاجتماعية وال מורوث الشعبي بحسب وجهة نظر "ديل هايمز" .

2 – اللغة والهوية

أحاول الابداء في هذا السياق بطرح سؤال مهم كان قد طرحته أحد الغربيين في كتاب عنوانه "هستيريا الهوية" ، وهو : من أنا؟ ومن الطريق أن يسعى في الإجابة عن سؤاله إلى تأكيد المفارقة بين المساواة والتمييز، مشيرا إلى أن الفكر الأوروبي قد غير موضوعه بفعل مد العولمة من المساواة والعدالة التي طالما بحث عنها خلال عصر النهضة إلى الرغبة في أن يستقل الفرد عن غيره بعدهما كان همه السعي إلى أن يكون مثل غيره ، وهذا تماماً جوهر الهوية ، والتي تبدو بنية موروثة في الضمير الجماعي ، متجلدة في الذات بعمق على حد تعبير "ديول ريكور" إلا أن هذا البعد الوراثي للهوية في علاقتها مع الذات لا يجب على الإطلاق أن يحجبها عن الواقع ثم يأسرها بقيود الماضي فتتغمس فيه بعيداً عن اللحظة الراهنة ذلك أن الاستناد إلى المقوم التراثي بأبعاده الثقافية واللغوية يجب أن يكون دافعاً إلى العمل المستقبلي والمشاركة الفاعلة في صناعة الحضارة العالمية(14) ، وبالتالي سيكون المنقف العربي مطالباً بالتمييز بين موقفين متناقضين أحدهما يشي بالاتكاء على الحمولة الثقافية الماضوية ، اتكاء سلبي ، وثانيهما مستند إليها استناداً إيجابياً ليصوغ منها حاضره وغده بوعي أصيل ، لقد وقعت الأجيال في مأزق صعب لم تستطع الفكاك منه ، لا أجد له صياغة لغوية تعبر عنه غير استحضار النص التراثي نفسه ، فقد عبر "التوحيد" عن مأزق الاستلاب والتبعية للأخر: لقد أشكل على الإنسان الإنسان ، فما كان منا إلا أن جردنا سلاحنا الأخير ، متذكرين متراساً في الآن نفسه ، وقلعة نختمي بها ذلكم هو التراث الذي احتمينا به منذ سقوط "الأندلس" وسقوط "بغداد" وسقوط الخلافة!! ، فما كان من هذا الاحتمال إلا أن يجعل الذات العربية تخسر حاضرها ومستقبلها وماضيها في الآن نفسه ، غير أن هذا لا يعني إحداث انقلاب على الذات بمهاجمة هذه القلعة التعيسة التي احتمى بها كل نادب ومندوب ، ومحاولة هدمه من الداخل ، أو نقبها سراً كما فعلت "ياجوج وmajog" نتيجة شعور مستلب بالذنب ، وكما فعلت نخب التجديد الحديث في وطننا بحججة الاندماج في الحداثة ثم أخيراً العولمة ، مزينة لها الهلاك في صورة تصريحية أو فناء في الذات الغربية.

3 – عالمية اللغة العربية: بناء الهوية والتحاور مع لغة الآخر :

إن الحديث عن اللغة العربية العالمية يتنزل في سياق معايشتها للغات أجنبية تنافسها في العطاء الحضاري بوجهيه الثقافي والتكنولوجي ، وهذا يتطلب منها احتواء لكثير من الأسواق الصوتية والتركمانية ضمناً لتحقيق التكيف البنوي والمعرفي في وسط راهن متعدد الثقافات تؤطره فلسفة العولمة(15) التي تقضي في مسارها الختامي باستيعاب كل الأسواق غير القادرة على الإسهام في الحراك الحضاري العالمي.

برعاية "الأكاديمية الفرنسية واللجنة العليا لحماية الفرنسية" (19)، كما دعا "الاتحاد الأوروبي" إلى العناية بتعليم اللغات بشكل جدي، متخذًا سنة 2001 سنة للغات في كامل "أوروبا" تكريساً للغاية نفسها (20)؛ بل ضمنت السياسة الأمريكية العناية بالتعليم متعدد اللغات في قانون 1968 على الرغم من التكلفة الباهظة له، (21) وفي ظل مد العولمة أصبحت العربية المستهدفة الأولى في هذه المهمة بخاصة وأنّ دعوة العولمة الأمريكية لا ينفكون يقرنون الإرهاب بالثقافة الإسلامية التي تمثل العربية وعاءها، والتعريب وسليتها الأساسية (22).

إن مواجهة هذا التحدي يكون بالتفعيل داخل منظومة العولمة ذاتها من دون التخلّي عن الخصوصية الحضارية (23) بدءاً بإصلاح منظومة التعليم العربي وتعليم اللغات وفي مقدمتها العربية للناطقين بها وكذا للأجانب ثم إنتاج الكتاب العربي لقارئه في لغته وترجمته كمرحلة لاحقة؛ أي البدء ببناء الذات اللغوية محلياً وخلق روح الحوار الإيجابي مع اللغات في بيئه اللغة العربية ثم الانفتاح على الآخر وفق استراتيجيات بناء الذات من دون الذوبان في الآخر وذلك وفق منطلقات أساسين أولهما :

- التخلص تدريجياً من حمولة الماضي في الطريقة والهدف وبعض الممارسات التنظيرية، ولعل أسلم طريق أن يندمج التفكير النحوي التراخي في النظرية اللسانية الحديثة فيكون جزءاً أساسياً منها ورافداً لا ينضب لمجراها السريع وترسيخاً لهذا الأساس في الأذهان.

- أما ثانيهما فضرورة الدخول بقوة في الإبداع اللغوي من خلال التأليف أولاً ثم الترويج للكتاب في لغة التأليف ثم الترجمة باستحداث وسائل نوعية في الترجمة العربية ونشر ثقافتها، والترويج لها بوصفها لغة مهمة في التواصل المعلوماتي الحديث لا تقلّ كفاءة عن غيرها من اللغات، وهذا ما يمكن عده عن طريق القياس اللغوي "عورية"، وفي سبيل ذلك يجب أن تبذل أموال طائلة وبسخاء لإنجاز المشاريع اللسانية التي تجمع الذخيرة اللسانية (24) العربية وتطورها وتهذيبها بما يسair التدفق الهائل للمعرفة الإنسانية، بعيداً عن ثقافة إنشاء المؤسسات في مناسبات بعينها لا تختلف كثيراً عن مقامات التأبين والتشييع الجنائزي.

إن بعد التطبيقي في الممارسة الترجمية للكتاب العربي بلغته العربية في شراكتها اللسانية لللغات عالمية أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية والإيطالية يجب أن يكون مدعماً برؤيه مستقبلية متتجدة ومطلعة على عدد من التجارب التعليمية الرائدة في العالم بعيداً عن الدوافع الأيديولوجية يكون همها الأساس التركيز على ربط الوجود اللساني العربي بالوجود الحضاري للأمة سعياً لتحقيق الوعي بالذات ومعرفة الآخر وإمكانات التعايش معه، وتحقيقاً لهذا التصور لابد من ضرورة الاستفادة من الوسائل الحاسوبية والتنسيق مع الجامعات والماركز الثقافية داخل الوطن العربي وخارجها بدرجة أكثر تأكيداً على تيسير وتعظيم وترقية استعمال هذه اللغة على أن تكون هناك إرادة جادة من لدن الجميع ليتحول هذا المطبع الوجودي والمصيري بكثير من التضحيات إلى حقيقة معيشة.

4. الكتاب العربي والمتغير الحضاري

إن الوقوف على أزمة اللغة العربية في علاقتها بالثقافة والترااث والواقع في تأليف الكتاب وترجمته ينطلق من محاولة الإجابة عن تساؤلين مهمين هما :

- أ - ما هو مصير اللغة العربية في ظل عولمة الثقافة وثقافة العولمة ؟
- ب - كيف السبيل إلى إحداث قفزة نوعية لترقية ترجمة الكتاب في لغته العربية وجعلها لغة عالمية في ظل هذه التحديات الكبرى ؟ وينطوي تحت هذا السؤال الأصولي سؤال ثانوي هو : هل يمكن أن نعد العربية اليوم لغة عالمية حقاً وبين العالمية والعولمة بون شاسع.

و قبل الإجابة عن هذين السؤالين لابد من الإقرار بأنّ اللغة العربية اليوم تعاني غربة اجتماعية بين الناطقين بها عن قصد وغير قصد ، وكان من نتاج هذه الغربة الاجتماعية ظهور غربة ثقافية للذات العربية وأزمة في تفكير الإنسان العربي ، وطريقة رؤيته للآخر (25) في عالم متداخل من اللغات والإيديولوجيات والقيم ، وبات من القدر المحتم أن يعاني الناطقون بهذه اللغة من ويلات التهميش في ركب التقىم العلمي الزائف (26) ، ومن هنا يظهر أنه ليس من السهل الدفع بالعربية إلى ساحة مواجهة غير

متكاففة مع لغات أخرى تسيطر على حلبة الصراع الثقافي والمعرفي والتكنولوجي لذلك يتحتم على النخب أن تعمل على إيجاد حلول جريئة لبعض المشكلات المبدئية تتعلق بـ:

- 1- كذا الإسراع في ضبط خطة تنمية صارمة مهمتها تقييم المجموع من ألفاظ الحضارة والمصطلحات المختلفة وإيجاد آلية إجرائية تعمل على تعميم استعمال هذه الثروة في التعليم والتكوين - إن بقاء وعطاء العربية من خلال كتب المعرفة على اختلاف مصادرها يتضمن أولاً تفعيل الجهود الفردية والإبداعية وتشجيعها جماعيا.
- إن الحالة اللغوية للجالية العربية في البلاد الغربية الإسلامية من خلال إنتاج وترجمة الكتاب يسمح بإعطاء صورة مشرقة عن عالمية اللغة العربية في محيط خليط من اللغات المتباينة(27)، والثقافات الخاصة ، والظاهر أن حاجات هذه الفئة محاكمة بضرورتين أولاهما دينية وثانيهما حضارية، وربما تمكنا بروح متفائلة من تحويل المحيط العربي والإسلامي إلى نموذج ناجح "لعورية" اللغات بأن يعمل الناطقون بالعربية في تلك البلاد على تثبيت العربية ونشرها بإنتاج الكتاب العربي وترجمته من وإلى اللغات الأخرى .

إن جملة من العقبات غير اللسانية تندّ عن الحلّ مرجعها الأساس حالة الضياع التي تعيشها الأمة في جميع المستويات ، لعل أهمها المشكلة الاقتصادية ، وما ترتب عنها من تبعية للأخر الذي استغل الوضع الراهن إلى أبعد حد فراح يلقي شروطه بلا هوادة إمعانا منه في الهيمنة وبسط النفوذ ، والحقيقة أن سلفنا تنبه إلى ما غفلنا عنه زماناً إلى ارتباط اللغة بالعمaran والغلبة فهذا "ابن حزم" الأندلسي (ت 654 هـ) يربط الوجود الإنساني بالوجود اللغوي، مقرراً أن اللغة يُسقط أكثرها ويُبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم (...). فإنما يقيّد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم ، وأما من تلقت دولتهم وغلب عليهم عدوّهم (...) فمضمونُ منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سبباً لذهب لغتهم (...). وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة (28). وفي السياق نفسه يتنزل موقف "ابن خلدون" (ت 808 هـ) الذي صاغه قانوناً كونينا ثابنا إلى حد بعيد من خلال ربطه بين اللغة والعمaran

البشري ؛ فغلبة اللغة بغلبة أهلها ، وأن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم. ومن هذا المنطلق التراثي ندلل إلى الحقيقة الحاضرة.

أما مسألة "الهوية" فهي الأكثر تعقيداً فبعضهم لم يفصل فيها إلى الآن ؛ بل الغريب أننا أصبحنا نشاهد صراعاً طائفياً حلّ محل الهوية الوطنية تغذيه بعض الآراء المنطرفة الداعية إلى اتهام التاريخ ، والتشكيك في الكفاءة اللغوية للعربية لصالح اللهجات المحلية والدعوة إلى الارتماء بين أحضان الآخر من دون قيد أو شرط ، فاتسع الشرخ بين الذات و هويتها اللغوية .، وهنا لابد من التذكير بنقطة مهمة أفادنا بها "د. عبد السلام المسدي" ملخصها رفض عد العاملات وسيطاً ثقافياً موازياً للغة العربية بالرغم من كونها شقيقاً طبيعياً ما يلبث أن يتحول إلى عدو إيديولوجي بكل قيمه السلبية الناسفة(29) وكذا اللغات العالمية المستعملة في النطاق الجغرافي نفسه ، وجعل المتكلمين يركزون على اللغة العربية الحية مثلاً في العادات المنتشرة هنا وهناك إلى درجة توظيف هذه الأنظمة في الممارسة الرسمية في الصحافة والكتابة والتدريس بمختلف مستوياته من الإعدادي إلى الجامعي ، بالإضافة إلى انتشار الأمية وخاصة بين البالغين(30) لذا لا يتوقع أن يتعلم الآخر العربية والذات العربية عاجزة عن تحقيق ذلك لنفسها ، ناهيك عن حالة الاستلال الحضاري والشعور بالهزيمة أمام الآخر ومحاولة اتخاذ ذلك مسوغاً للتبعية الثقافية واللسانية والإدعاء الواهم بالسقوط في هوة العولمة .

إن الإشكالية اللغوية في الوطن العربي ملخصة في تحيد العربية عن أداء دورها التواصلي في التنمية ومعادلات الأرقام في عالم المال والأعمال وهذا ظاهر من واقع الترجمة والتعريب في الاقتصاديات العربية جملة ، وهذا ما أسس لذهنية سلبية ترى في العربية مجرد واقع اجتماعي قائم لامناص منه ؛ بل نذهب بعيداً إلى حد عددها ميراثاً تركه الآباء والأجداد لا يمكن أن يمثل عالم اليوم بإنجازاته وابتكراته وتجاوزاً لكثير من النقاشات في إطار ترقية التعليم اللغوي لابد من استثمار مناهج وطرق التدريس الحديثة في اللسانيات التطبيقية في تعليم العربية لأنَّ هذه الطرائق تأخذ بعين العناية الاختلافات الجوهرية بين المتعلمين ورغباتهم وميولهم وكفاءاتهم ومهاراتهم وثقافاتهم ، ولأنَّها تركز عما يسمى "بالتكلم المفترض" ، كما أنَّ هذه الطرائق الحديثة تسعى إلى بناء أشكال اتصالية بين المتعلم للغة والمعلم لها من خلال التركيز على

كفايات ومهارات المتعلم نفسه (31)، بالإضافة إلى ضرورة الإفادة من اللسانيات للإجابة عن كثير من الأسئلة المتعلقة بخصائص النظام اللغوي وإمكان تداخله مع آخر (32) وكيفية الاستفادة من هذا التداخل وتوجيهه وجهة الشراكة لا التناقض في عملية تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية في الآن نفسه (33)، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أنه ومن بداية القرن العشرين إلى نهايته كانت المسألة اللغوية في الفكر العربي الرّمزُ الأبلغ في معضلة اللقاء بين الأنما والأخر، وثمرة ذلك أن انبرى بعض اللغويين يصا هرون بين التراث والعلم الجديد المعروف في الغرب باللسانيات ، هذا العلم يدرس في المؤسسات العلمية الجامعية بوصفه أهم ميدان لدراسة اللغة العربية دراسة علمية نظرية وتطبيقية ، وكانت الأزمة في كيفية التوفيق بين التراث وما جاءت به اللسانيات المعاصرة ، وهذا مظاهر آخر من مظاهر انشطار الذات على نفسها في ضوء موقفها من الآخر وعلاقة ذلك بالهوية التي تلبست بالتراث فأصبح هو هي عند السواد الأعظم من الناس (34) وفي هذا السياق أرى أنه من الضرورة الملحة أن تخالص الرؤية العربية والإسلامية من وهم الصفاء الذي عكر صفو العلاقة مع اللغات الأخرى على الرغم من أن القرآن نموذج العربية الرّاقى يستوعب التعدد اللغوي والخصوصيات الثقافية في ضوء مبدأ العالمية (35)، كما أن القدماء أنفسهم رفضوا هذا الوهم وقد نص "ابن حزم الأندلسي" على هذا بقوله: ... وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات ، وهذا لا يعني له لأن وجوه الفضل معروفة ، وإنما هي بعمل أو اختصاص... (36)، وهذا التصور هو الذي ضمن بقاءها متعايشه مع لغات أخرى (37). إن البحوث العلمية أثبتت بطريقة جلية انه كلما كانت لغة من اللغات متمكنة في أهلها وحافرة في أعماق أهلها الانتماء الذي لا يحيي كلما كان تفتحهم على لغات غيرهم سببا في تقوية علاقتهم مع لغتهم وكلما كانت هذه العلاقة مبنية على التعصب غير المدفوع بأهداف خدمة اللغة كلما هوت هذه العلاقة وكان الانصراف عنها إلى غيرها والتنصل منها أسرع وكان تسرب الضعف إليها وإلي غيرها من اللغات أمكن وهو حال أجيال العربية اليوم فلا العربية أتقنوها ولا غيرها من اللغات تمكنا منها.

5 – الهوية اللغوية العربية ودور الترجمة في تفعيلها

إن التراجع عن اختيار التراث العربي في استيرادحيات ترجمة الكتاب في الفترة الأخيرة - في نظري - لحساب التأليف المعاصر المشبع بروح الغرب في ميادين اللغة والأدب والثقافة بوجه عام لهو دليل هزيمة وقبول منطق الآخر الداعي إلى تغييب الذات بدعوى الإصلاح، علما أنه - أي الآخر - كان قد امتلك ناصية تراثه فحاوره ونقد أنساقه الداخلية تحليلاً وتركيباً، ثم صاغ وجوده الحديث معرفياً ومنهجياً اعتماداً عليه في علاقة حميمية مع متطلبات اللحظة الراهنة، وربما لا تكون مغالياً إذا قلت بأن اللحظة الغربية الراهنة بما تحيل عليه من منجزات في جميع الأصعدة وفي مقدمتها الأنظار اللسانية المختلفة لهي وليدة عملية تفريغية واشتقاقية من اللحظة التراثية مثلة في الفكر "الأرسطوي" و"الأفلاطوني" والتيار العقلاني في القرون الوسطى (38)، إلا أن أصنافاً من الباحثين في الصفة الشرقية لأوروبا رأوا أن النجاة كلها في افتقاء أثر هذه الإيديولوجيا الجديدة وما تطرحه من أفكار ومناهج ونظريات، من دون رعاية للاختلافات المتكررة والتي تصل إلى حد التناقض بين مكونات هذه الإيديولوجيا، وما أسفر عنه في درسنا اللغوي المعاصر - مثلاً - الاقلاع الخاطئ للنظريات اللسانية الغربية وأفكارها النظرية ومناهجها التحليلية، ومحاولة زرعها في تربة غير مخصبة، ليست تربتها الأصلية بدعوى أن المناهج لا تعرف الحدود الجغرافية وأنها عالمية كعاملة الفكر البشري هكذا تتراءى لي دعوات بعض اللغويين العرب في المشرق والمغرب العربيين في هذا السياق.

6. مستقبل الترجمة إلى اللغة العربية

إن النظر إلى اللغة العربية في زحام العولمة بالقدر الذي يأسف فيه على تراجعها الحضاري، ولذلك أسباب مستقلة عنها من حيث هي لغة طبيعية لا يفارقه التفاؤل وهو يتطلع إلى الآفاق المستقبلية بإمكان اللحاق بر Kapoor اللغات العالمية في إنتاج المعرفة بها ثم انتشارها وترجمتها ، على أنّ واقعها الراهن يعكس احتلالها لموقع مقبول نوعاً ما إذا قيس بالتدني الاجتماعي للأمة ؛ فهي مستعملة رسمياً في التعليم بمختلف

أطواره في أغلب الدول العربية وفي تخصصات دقيقة وعلمية وفي المحافل الدولية ، ولها موقع مهم على الشبكة الدولية للمعلومات ، ولها وسائل إعلامية وأقمار فضائية تروج لها ، كما أن الثقافة العالمية في إطار حركة الترجمة لا تنفك تعني بترجمة الآداب المكتوبة بها ، واستعمالها وسيلة تبليغية في المسرح والسينما والصحافة المكتوبة والمرئية المحلية منها والعالمية وهذا أمر يبعث على التفاؤل دوما.

7 - وصف واقع حال ترجمة الكتاب العربي:

- إن حركة ترجمة الكتب من وإلى العربية تغلب عليها العفوية ولا ينظمها التخطيط المحكم ، أي ليس هناك سياسة محكمة للغايات والأهداف ، فأي مشروع إنتاجي يصاحبه تصور يحدد المسار والهدف .
- قاعدة العمل الترجمي تبني على تكوين كفاءات في ترجمة الكتاب العربي وفق تقنيات ومعايير دقيقة
- ضخامة الإنتاج ، فتحن نترجم كل شيء وأي شيء والأخرى بنا أن نختار ما نترجم ولهذا نطرح بحثة مسألة معايير اختيار الكتاب العربي في إطار عالميته ونببدأ به :
- ترجمة أمميات الكتب للتعریف بالتراث العربي من خلال خطة عالمية الكتاب العربي .
- ترجمة كتب السياسة للتعریف بالقضايا الحساسة للوطن العربي (فلسطين مثلا)
- باعتبار الترجمة جسر عبور الثقافي وسند حضاري هام ندعوه إلى تسخير الترجمة لخدمة هذا المطبع .
- مرت الترجمة العربية براحل هامة تقع بين التأسيس وال المباشرة .
- تنفيذا لمبادئ ميثاق الجامعة العربية منذ عام 1945 (في مجال المعاهدة الثقافية) حيث تحيلنا على مادة تؤكد تنشيط الجهود العربية لترجمة عيون الكتب

الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم الجهود وتنشيط الإنتاج الفكري في البلاد العربية بمختلف الوسائل ومن هنا نلاحظ أن دور الترجمة يكمن في التأليف وإعادة الكتابة ومنذ إنشأت اللجنة الثقافية وهي بمنزلة مؤتمر ثقافي يقوم على مؤسسات الترجمة التي اهتمت من البداية بالتأليف والترجمة والنشر وهذا الثالوث مكمل لبعضه لا يقوم عمود من دون الآخر وفعلا فقد تجسد هذا التكامل بنشأة وحدة الترجمة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تحركت في ثلاثة اتجاهات :

- التنسيق والتخطيط : (وتحت منها الخطة القديمة للترجمة)
- تكوين المترجمين (ويرعاه المعهد العربي للترجمة)
- إنتاج الترجمات (برعاية المركز العربي للطبع والتراجمة والتأليف والنشر) ونظراً لمكانة اللغة العربية واعتراف الأمم المتحدة بعالميتها إقراراً بالأمر الذي أدهنه وتدعيه في صنع الحضارة الإنسانية من خلال الترجمة قديماً وحديثاً حيث قالت "زغريد هونكة" كانت الترجمة العماد الثاني للحضارة الإسلامية. توجه التفكير الجاد إلى تفصيل دورها محلياً للرנו بها إلى المشاركة الحضارية وإعادة البناء الحضاري.

8 - أثر الترجمة في عالمية اللغة العربية :

إذا كان من أهمية للترجمة بالقياس إلى اللغة العربية إضافة إلى فوائدها المعرفية فهي محك كفاءة هذه اللغة في نقل الأفكار وابتكار آليات النقل .

ومن مسألة اللغات الإنسانية في سابق عهدها وراهنها يجزم على أثر الترجمة في إيصال قوة تأثير العربية وعمقه إن مشكلة عالمية اللغة العربية ليست لغوية وإنما حضارية هي مشكلة مفاهيمية عالمية و "تضيق الصلة بين اللغة والحضارة في مجال التأليف والترجمة" (39)

وليس أصدق من المستشرق "يوهان فلک" حين قال :

"إن العربية الفصيحة لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنها قامت في جميع البلدان العربية وما عدتها من الأقاليم الداخلة في الخط الإسلامي رمزاً لغويًا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية. ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحمة العربية الفصيحة عن مقامها المسيطر وإذا صدق البوادر ولم تخطئ الدلائل فسنحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيق من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية..." (40)

٩- فاعلية الأثر التجمي في إحياء اللغة العربية:

لا نقصد أبداً أن اللغة العربية ميتة وأن فضل إحيائها يعود إلى الترجمة؛ إذ هي مشعل دائم التوهج لمن أثار تأثير الترجمة على اللغة العربية "أنها جددت ملكة الكتاب والمتلقين بأن تغلبوا على اللغة العالمية" (41)

الترجمة في التاريخ العربي " موقف ثقافي اجتماعي من المعرفة انتاجاً وابداعاً وتحصيلاً وتأصيلاً وتوظيفاً وتدالياً." (42)

والسؤال المطروح، ما هو نصيبينا من الفكر العلمي العالمي (الترجمة العلمية) ذلك أن الترجمة تواصل حُرُب بين الحضارات ومن منبع ميداني للكتب المترجمة من دليل الكتاب المصري لعام 1993 نأخذ هذا الرقم 3500 مؤلف ترجم منها 25 في العلوم التطبيقية.

- هي جهد ذهني للعقل
- عدم الاهتمام باللغات.
- الأمية العلمية.
- عدم وضع خطة لبناء الذات والرنو إلى العالمية وربطها بالواقع الاقتصادي العالمي.

- مهام مؤسسات الترجمة العربية:

- في الإمارات العربية المتحدة: ترجمة الوثائق الرسمية للمحاكم والتوثيق.
 - البحرين: الترجمة العربية الإنجليزية للخطب والمواضيع الرسمية.
 - السعودية: - ترجمة الوثائق الحكومية إلى الإنجليزية
 - ترجمة الكتب العربية
 - الكويت: عالم المعرفة وعالم الفكر مجلة العلوم ، قواميس علمية.
 - لبنان:
 - الترجمة العلمية في الصحف اليومية والنشر للقطاع الخاص (الفكري والإيديولوجي)
 - ترجمة كتب العلوم الإنسانية والأدب والطب
 - ترجمة كتب الحاسوب
 - صناعة قواميس الترجمة.
 - مصر:
 - ترجمة المعاجم
 - ترجمة العلوم الاجتماعية (مجلات اليونسكو)
 - المجلس القومي للترجمة = ألف كتاب في السنة.
 - مركز الأهرام (ترجمة وثقافة الأمم المتحدة)
- سوريا: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (ترجمة المخطوطات العربية ، ترجمة العلوم التطبيقية)**
- توثيق الجمعية المعجمية للعربية لبيت الحكمة.
 - المغرب:
 - مكتب تنسيق التعريب
 - مدرسة الملك فهد العليا للترجمة ، إعداد كفاءة الترجمة (تكوين مترجمين)
 - الجزائر:
 - المعهد العالي للترجمة

كفاءة الترجمة - 100 كتب سنويًا

- ندعوا إلى إنتاج المعرفة (تجربة اليابان)

وصف عام :

1991		1990		1980		1970		
سكان	كتب	سكان	كتب	سكان	كتب	سكان	كتب	
12.3	1.5	12.1	1.5	10.9	1.7	12.4	1.5	إفريقيا
58.9	24.9	58.8	27.1	57.8	19.3	43.2	14.4	آسيا
77.0	26.4	76.9	28.7	74.1	21.4	61.5	13.4	الدول النامية
9.3	46.7	9.0	43.6	10.9	46.2	16.1	47.2	أوروبا
4.2	0.8	4.2	0.8	3.7	0.9	4.4	0.9	البلدان العربية

جدول (1) النسب المئوية من توزيع إنتاج الكتب مقارنة بالنسبة المئوية من السكان إلى إجمالي العالم.(43)

	علوم بحثية	إجمالي	السنة
حوالي كتاب واحد لكل مليون نسمة	15	225	1981
	-	72 (لم ترد مصر والعراق)	1982
إحصاء اليونسكو عام 1992	1	70 (لم ترد مصر والعراق)	1983
	26	459	1984
	23	272 (لم ترد العراق)	1985
		268 (لم ترد العراق)	1986

جدول (2) : إجمالي الترجمة في الوطن العربي (250 مليون نسمة) (44)

10 – نحو عالمية ترجمة الكتاب العربي:

إن الاستجابة لمطلب عالمية الكتاب العربي تقتضي تسطير خطة دعم معرفي في البلدان العربية وتوسّس على ما يأتي :

- أن يكون للبلدان العربية بناء على تسيق وتعاون حقيقي إسهام واضح ومميز وقابل للتكميل مع النسق العالمي للمعرفة.
 - تحسيد الاتفاقيات الثقافية والعلمية العربية ل مختلف المنظمات والمؤسسات المضطلة بالتأليف والترجمة وحرية انتقال الكتاب.
 - تصافر الجهود لمواجهة الاحتكار العالمي في إنتاج الكتاب أولا ثم توزيعه وترجمته.
 - الوعي بتميز عالمية الفكر وعالمية التحولات والإنجازات عن عولمة الهيمنة لصالح الواحد.
 - حماية الاستهلاك المعرفي للكتاب وذلك باختيار نوع الكتب المترجمة التي لا تخضع لاختيارات فردية بل تبني على رؤية استراتيجية تنمية شاملة.
- إن الخوف من العالمية يُفضي إلى الانغلاق والجمود لهذا نرى أن الدعوة إلى تفعيل دور الترجمة مهم جدا ولكن يجب أن يصاحب الإجابة عن عدد من الأسئلة من مثل :
نترجم ماذا ولماذا وكيف ؟

11 – استشراف مآل ترجمة الكتاب العربي:

يرتسم استشراف مآل الترجمة استجابة لمطلبات العصر المتزامن مع الانفجار المعلوماتي والعلمية حيث تنبه الساسة ورجال الاقتصاد والجامعيون إلى أهمية ربط أفق ترجمة الكتب بالعربية بتخصصات العصر وهي مهن الترجمة. ومن هذا المطلق نفتح ملف التكوين كفاءة مهن الترجمة وهو الرهان الوحيد للإجابة عن الأسئلة المطروحة سابقا ذلك أن التقدم الاقتصادي هو نتيجة البحث والتكوين.

إن ملف تكوين المترجم في كفأاته يمتد إلى عهد الفراعنة ومدارس بغداد وطليطلة إلى غاية انتهاء الحرب (FIT) العالمية الثانية بظهور برنامج التكوين الأول عندما تأسست المؤسسة الفيدرالية الدولية للمתרגمين

حيث توصلت إلى وضع استراتيجيات تربط الوضعية الاقتصادية والسياسية المتغيرة بتغير مهن الترجمة، ثم تطور التناقض الأكاديمي والثقافي في مستوى البحث الجامعي متزورنا بتكوين مترجمين في مستوى خلايا البحث والإعداد الجامعي في كل من ألمانيا وإسبانيا ثم كندا والولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، خاصة في مستوى انجاز الوسائل المساعدة على الترجمة عبر (الانترنت).

لقد قام "مايكيل كروزن" بتأليف كتاب عنوانه "الترجمة والعلوقة" تطرق فيه إلى الدور الجديد للمترجم وطرق إعداده لهاته في سوق الشغل واستراتيجيات العمل لربح معركة التفاعل الحضاري.

وذهب "جيرمي ميندai" إلى تصور آخر لمستقبل دراسات الترجمة بوصفها نظاماً بحثياً متداخلاً مع أنظمة لغوية وثقافية غير محدودة مما يجعل فعل الارتقاء بالعمل الترجمي حقيقة تخوجه من دائرة الحرفة والأمانة والعمل المعجمي والمصطلحي إلى البراغماتية والمقبولة والمردودية. وقد دعمت هذا الاتجاه "سنيل هورمبي" حيث حددت رؤى علم الترجمة الموجهة نحو المنهج المدمج المشكل لنسيج فريد من نوعه في ظل المستجدات الكونية لهن الترجمة. ومن صميم الممارسة توصلت النظرية الغائية إلى جعل أثر المترجم موجهاً نحو المتلقى وهو في حالة مهن الترجمة، عرض الزبون.

في ظلال ذلك تقول "مارلين روز": "إن الترجمة وعرض المهن يعززان الإبداع ومدارسه، باعتبارهما وحدة ضرورية ومتكاملة فكلاهما يقدم الربح للمترجم".

إن الشروط التي تكون فيها الترجمة بربخا شفافاً جغرافيتها النص والسوق، يلتقي فيها زمان القراءة والكتابة بالتمثيل والمنسج هي ذاتها التي تجعل المترجم يسعى إلى تكوين كفاءاته، لكنه في جميع الأحوال يستحضر معارف ولغات العمل من أفاقاً صحيحة ليشكل بها خطابات ناجحة تتفاعل مع السوق لتكون بعد ذلك الترجمة شرياناً ممتدًا يحمل المزاج العلمي الجامعي فيفجر النشاط المهني.

إنها فعل إضاعة للمشاهد الثقافية الفكرية ومرتع الاستهلاك الخلائق للثراء والنفع. نوسم من خلال استشراف مآل ترجمة الكتاب العربي البدء بـلفة البحث في جماليات الكفاءة الترجمية وتوصيفها وتقييمها واستراتيجيات تمتيتها وتفعيل دور تشكيل هذه الكفاءات ثم تحلياتها في مهن تعرضها السوق في إطار مشاريع تفعيل ترجمة الكتاب العربي ونحتاج فيه بالأساس إلى الوعي الفردي قبل الجماعي..

- جماليات ممارسة الترجمة:

إن طبيعة العمل الترجمي القائم على الممارسة يختلف عن أي نوع آخر إلا أنه يتتشابه مع الحرف في انصهار صاحبها في التجربة. فالنحت مثلاً يصدر من النفس ذاتها قبل مادة العمل.

لقد قال "جاك داريدا": "ما أقبح النصوص من دون ترجمة..." إن الثراء والنمو عبر المهنة هو الذي يجعل هذه النصوص جميلة منصهرة بـجماليات التصور والإبداع الترجمي.

إن جماليات مهن الترجمة قرينة بفعل تحويل الإبداع وتلقيه وصنع تلق آخر، ولن يحصل كل هذا إلا بحصول كفاءة تبني عادة في أربعة حقوق من المهارات وهي (الكفاءة القواعدية والاجتماعية والخطابية والاستراتيجية) (45)

إذا فصلنا الكلام في جماليات الكفاءة الأولى، فإننا نربطها بالقدرة على التحليل والتركيب أي التشفير وفكه. أما الثانية فهي قرينة فهم اللغة في سياقها الحالي، والثالثة وليدة القدرة على بناء وحدة الشكل والمضمون في إنتاج النصوص المنطقية والمكتوبة في إطار السبك والحبك والتضام النصي ونقلها إلى مستوى التواصل.

وتمثل الكفاءة الاستراتيجية في فعل ممارسة المهنة أي التمكن من جماليات التواصل وتحسين التبليغ وتعويض القطيعة مع الأصل بسبب نقص كفاءة اللغة بحيث تتحقق معقولية الترجمة بأفعال التواصل في مستوى فني عال ومقبولة.

- جماليات التواصل بالترجمة:

وتحصي مرااعة الاستعمال بحسب (usage et use) قام "ويدوسن" بالتمييز بين مصطلحي النظام اللغوي (القدرة اللغوية) أما الثاني فيرتبط بالاستعمال السياق الاجتماعي والثقافي.

إن الجانب الأول تتحقق جمالياته بدقة مساعدة الآلة، أما الثاني فشرطه حضور الأطراف المتفاعلة في السياق، فقد استمد منظرو الترجمة مفهوم التكافؤ بشتى أنواعه من هذا الاختلاف بين المصطلحين (46).

- الكفاءة المهنية : *compétence professionnelle*

من الشروط المسقبة لهذه الكفاءة التمكن من لغتي المهنة بمراجعة براغماتية أي القدرة على توظيف اللغة المناسبة للمهنة وهذا يقود إلى الكفاءة العليا للتفكير وهي ضرورة حيازة مستوى عال من الذكاء :

- الخبرة في الممارسة بنسبة 50 أسبوعاً أي سنتين في ترجمة كتب من نوع واحد كالرواية أو الكتاب العلمي أو الإشهار..

- كفاءة المردودية : *compétence de la rentabilité*

إن مهنة ترجمة الكتاب لكل المهن لها قواعد عمل دقيقة أهمها ربط الوقت بكم العمل المنجز والجودة والمردودية. فكلما اهتم المترجم بالدقة المعرفية واللغوية واستغل الوقت المطلوب كلما كان بإمكانه قياس خبرته في المهنة وهذا الأمر له انعكاس على زيادة العرض فمعيار كفاءة المردودية مرتبط بنجاح استعمال العمل في السوق.

"على أن الكفاءة الترجمية لم تعد مبنية على الموضوعية وإنما على المردودية. لقد أكد" غواديك ومن أسس هذه الكفاءة نذكر :

- احترام عرض الزبون ، بدقة العمل ومراجعةه بوسائل المساعدة الإلكترونية.
- قدرة الاندماج في فريق العمل المتخصص وحيازة مهارة إدارة المشاريع.
- تطوير العرض للطلب والتفاوض مع العارض على الالتزام بالوقت وجودة المنتوج.

ـ استراتيجيات تشكيل كفاءة ترجمة الكتاب العربي ومتطلبات السوق:

يطرح واقع مهن الترجمة في الإجابة عن سؤال من يترجم تحليل إشكالية التوفيق في التوظيف بين خريجي الجامعات ومدارس الترجمة الحائزين على شهادة التخصص وبين ممارسيها خارج هذا الإطار والدخلاء على المهن والحل في الغالب للحائز على الكفاءة المتغيرة بتغير معطيات السوق فهل هناك علاقة بين الدراسة الجامعية ومتطلبات السوق ، وما نوع الكفاءة التي نشكلها ؟ (47) :

« Les compétences acquises dans une formation à la traduction dépassent largement la stricte compétence linguistique et même la sémiotique différentielle des textes.. »

أما "جان دوليل" فيعتقد بأن المترجم الجيد هو الذي يحوز على أربع كفاءات وهي :

- الكفاءة اللسانية بمعرفة قواعد النظام اللغوي.
- الكفاءة الموسوعية بمعرفة العالم ومكوناته الفизيائية والفكرية.
- كفاءة الفهم بالقدرة على تأويل مادة الكتاب وتفسيرها.
- كفاءة إعادة التعبير بالقدرة على التحكم في تقنيات التعبير والتحرير. وفي هذا الطرح كلام في كيف وكم الترجمة بالعربية.

و من مشهد توصيفي للمترجم المختص في مهنة مستقبلية خطط للكفاءة الترجمة المتعددة عبر هذا الجدول :

الكفاءات الترجمية المتعددة

كفاءة معرفة الترجمة معرفة تقنيات الترجمة	الكفاءة المعرفية المعرفة العامة والمتخصصة	كفاءة لسانية ونصية معرفة المراجع اللغوية
تطبيق استراتيجيات الترجمة		القدرة على التحرير (الملاخص ، الحصيلة)
القدرة على التوثيق	معرفة تنظيم المعارف	معرفة أنواع النصوص
التحكم في آليات التعبير		القدرة على القراءة الترجمية
	الكفاءة المركبة معرفة وسائل العمل	

وتقوم خطة الترجمة العملية على :

- انتقاء أنواع الكتب من العرض العالمي
- تحديد العرض وأهميته
- الحصول على المراجع المطلوبة
- اختيار طريقة عمل ومنهجية ترجمة
- تحديد تقنيات العمل
- تدعيم الكفاءة بتسطير استراتيجيات العمل
- مباشرة القراءة الترجمية بأنواعها في فريق العمل أولا ثم نقل التجربة إلى ورشة الترجمة.(ورشة افتراضية)
- المزاوجة بين القراءة والتحرير في تمارين التحليل والتركيب والمحصيلة والملخص والبطاقة المصطلحية وترجمة الوحدات الدالة مع العمل في مجموعة دائمة.
- مراجعة العمل وعرضه على مجموعة ثانية قبل المؤسسة.
- تحويل العمل إلى مذكرة تنجز بجانبها المنهجي والتطبيقي
- تشكيل كفاءة المهنة
- إتباع أسلوب العمل ذاته التركيز على المنهجية وعناصرها بالتوظيف العلمي الدقيق ...

التركيز على الترجمة التحريرية.

ولكل مهنة كفاءاتها الخاصة بحيث تختلف كفاءات مهنة المترجم في المؤشرات عن مترجم الأعمال الصحفية ، عن مترجم الدبلجة واللوحات الإشهارية والكتب العلمية والأدبية إلخ، إلا أن الكل يشتراك في قاعدة التجربة أساس التعلم .

« En traduction, on reconnaît que l'expérience est à la base de l'apprentissage: plus on traduit, plus on l'améliore' cent fois sur le métier remettez votre ouvrage... »(48)

وإذا أخذنا بمقولة اعتبر من كان قبلك فإن تاريخ ترجمة الكتاب إلى العربية جد مشرق ولنا بعد هذا أن نُعَظِّب بتجربة اليابان التي اضطرت إلى اللجوء لترجمة الإنتاج العلمي والتكنولوجي من وإلى لغتها ومن لغات أخرى لهذا نجدها تترجم سنويًا 30 مليون صفحة وتشتري حقوق نشر وترجمة مجلة "علوم" الأمريكية ليقرأها أولاً الياباني وهذا تعامل ذكي مع الحاجات المتزايدة إن أثر الترجمة اليوم غير الذي كان بالأمس ولهذا علينا رفع تحد جديد بكل أبعاده.

خاتمة:

لقد تغيرت النظرة إلى أثر الترجمة في رسم حدود عالمية الكتاب العربي بحيث أصبحت تعرف تنافساً كبيراً يتطلب تشكيل كفاءات حرفية وتسطير استراتيجيات واضحة في انتقاء ماذا نترجم وكيف نترجم ولماذا نترجم.

أخيراً علينا في إطار التكوين والتفعيل أن نزاوج بين النقل المعرفي والممارسة وتكييف المحتويات والأهداف والطائق والتقويم لحالات السوق فنحن لا نترجم إلا لنبيع ونربح مادياً ومعرفياً ولا نؤلف إلا لغاية الترجمة كما هي الأعمال الناجحة لأمين معرفة التي أنقذ فيها ركود سوق التأليف في فرنسا في التسعينيات. إن العمل في نظام مبني على التخطيط والتنفيذ سينقل تجربة ترجمة الكتاب العربي إلى أفق العالمية. علينا بالأساس التخطيط لنوع الكتاب والهدف من ترجمته.

المراجع:

- يمكن أن أشير إلى تعريف المفكر الجزائري أحمد بن نعمان للهوية في كتابه *أشهدني* ي الجزائر؛ الهوية لفظة مركبة من هو الضمير والمضاف إليه ياء النسبة لتدل اللفظة على ماهية الشخص، أو الشخص المعنى كما هو في الواقع، والهوية اسم الكيان بناء على مقومات ومواصفات معينة تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه من دون اشتباه مع أمثاله من الأشياء، دار الأمة، الجزائر.
- انظر في سياق مماثل، محمود الطناحي، القرآن الكريم وتفسير العوام، مجلة البال، عدد يناير، 1999، ص 75.
- محمد الحناش، البنية في اللسانيات، ص 214 كما يمكن أن يشار هنا إلى موقف البنوية الأمريكية من العلاقة القائمة بين النسقين اللغوي والاجتماعي الثقافي وهي قائمة على التغير عند "هوكيت" مadam التطور يمس النسقين بشكل مستقل وفي اعتقاده أن محاولة الربط بينهما محاولة يائسة الغرض منها الخلط من لغات معينة تنتع ثقافتها بعدم النضج أو التخلف فيحكم على رداءة اللغة بهذا العامل، محمد الحناش، البنية في اللسانيات، ص 148
- ولعل من أهم التعريفات الحديثة لمصطلح الثقافة ذلك الذي صاغه في بدايات القرن العشرين "إدوارد برنت"؛ حين قرر أن الثقافة بمعناها الإثنوغرافي الواسع هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى، والتي يكتسبها الإنسان الاجتماعي، ويتسق هذا التصور مع كثير من الآراء النظرية العربية التي تشيد بمبدأ الخصوصية في المكون الثقافي، ولعل الدراسة التي قدمها "أحمد أبو زيد" والموسومة بهوية الثقافة العربية من النماذج الجديرة بالتنويه في سياق توصيف خطاب الحداثة الثقافية العربية،

ناهيك عن اتصاله بالبعد اللساني العربي والذي يمثل أهم الركائز التي تقوم عليها الذات العربية ، في إثبات خصوصيتها بالإضافة إلى ركيزتين آخريتين لا تفصمان عن بعضهما هما الدين والترااث ، لقد باتت هذه المكونات الثلاث بتلاحمها هوية للعربي في كل زمان ومكان.

- ساوير، اللغة، ص68 و75

- A.Sommerfelt, structures linguistique de groupes sociaux,p13

- ميشال زكريا ،الألسنية علم اللغة الحديث ، ص223

- j.vendryes,langage orale et langage par jestes,1950,p05

إيدجر بولوم ، اللغة والسلوك ضمن الموسوعة اللغوية ، منشورات جامعة "الملك سعود" ، 460/3 ، من المعلوم أن"بنيامين لي وورف" صاغ فرضيته حول النسبية اللغوية في مقابل التصور العالمي لما هو مشترك من قواعد لغوية كلية.

بحي أحمد ، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، مجلة عالم الفكر ، مجلد 20 ، عدد 3 ، ص75 .

المرجع نفسه ، ص76 .

المرجع نفسه ، ص89 .

- كان هذا الموضوع إشكالاً أكاديمياً في مؤتمرات عدة عقدت في الجامعات الجزائرية لعل أهمها مؤتمر دولي عقد بالجزائر العاصمة بتاريخ 12 - 13/5/2004 ، وكان موضوعه : العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية وكان من بين المحاور : الهوية الثقافية في زمن العولمة.وكذا مؤتمر المجلس الأعلى للغة العربية ، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات العالمية ، شارك فيه لفيف من الباحثين العرب ، من أمثال نهاد الموسى و تمام حسان وأحمد حساني ، وغيرهم بتاريخ 2003

الشمولية أو ما يسمى ب: GLOBALISATION في الثقافة الإنجليزية و MONDIALISATION في الثقافة الفرنسية ، الشائع كونها رديفاً للثقافة الشمولية والنزعة إلى تعميم الظاهرة الخاصة على العالم كله لأغراض محددة

سلفا ، والدعوة إلى الاقتصاد الحر من خلال هيمنة مطلقة للشركات متعددة الجنسيات التي لا تعترف بالحدود الفارغة بل تنظر إلى العالم نظرة رقمية بحثة ، مختزلة التعددية الثقافية والخصوصيات الحضارية في إيديولوجيا واحدة هي العولمة.

- منظمة اليونسكو ، التربية ذلك الكنز المكنون ، مجلة التربية ، الدوحة ، قطر ، عدد 120 ، سنة 1997 ص 38 بتصرف .
- علي حرب ، حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومازق الهوية ، بيروت ، 2000 ،
- السيد يسن ، العرب والعولمة ، ص 24.
- فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد ، سلسلة عالم المعرفة ، ص 140.
- زكا نجيب ، رحلة اللغة والثقافة العربية إلى فرنسا تعليمها في المعاهد العليا والجامعات ، أعمال ندوة 6 - 8 نوفمبر ، الجزائر ، 2000 ، ص 470 وما بعدها.
- فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد ، ترجمة أحمد عوض ، عالم المعرفة ، عدد 263 ، سنة 2000 ، ص 130.
- "عبد السلام المساي" ، العولمة والعولمة المضادة ، كتاب سطور ، ط 1 ، القاهرة ، 2000 ، ص 393.
- عبد البادي التازي ، هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية ؟ مجلة الأكاديمية الملكية ، الرباط ، 1997 ، عدد العولمة والثقافة ، ص 67 بتصرف .
- انظر تصوير الذخيرة اللغوية وأهدافه وآلياته فيما وضعه "عبد الرحمن الحاج صالح" الذي أوصى بضرورة ترشيد العامية بتقريرها إلى العربية عن طريق البحث في أصول الكلمات وإدماج ذلك كله في الذخيرة ونشرها عن طريق وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية والتربوية ، وكذا بناء المناهج الدراسية الخاصة بتعلم العربية على أسس علمية ولسانية ، أنظر مقالته في ندوة بناء المناهج التعليمية ، "جامعة

محمد بن سعود" ، الرياض ، 1985 ، نشر في المجلة العربية للتربية ، مجلد 5 ، عدد 02 ، ص 11 - 30.

- "نعمان بوقرة" ، صناعة المصطلح عند "الفارابي" ، مجلة اللغة العربية ن المجلس الأعلى للغة العربية ، عدد 08 ، سنة 2003 ، ص 177.
- "سعيد السريحي" ، شجاعة العربية ربية ، 6 - 8 نوفمبر ، 2000 ، الجزائر ، 105.
- "نبيل علي" ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، عالم المعرفة ، عدد 276 ، 2001 ، ص 270.
- "ابن حزم الأندلسي" ، الإحکام في أصول الأحكام 13/1
- "عبد السلام المساي" ، العولمة والعلولة المضادة ، ص 409.
- موجز استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي ، المجلة العربية للعلوم ، عدد 15 ، 1990 ، ص 16 وما بعدها.
- "مليود حبيبي" ، الاتصال التربوي وتدريس الأدب ، دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ، ص 73
- لمزيد من التفصيل في أهمية المنهج اللساني في تعليم اللغات بعامة والعربية بخاصة أنظر "عبد الرحمن الحاج صالح" ، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات ، عدد 4 ، سنة 1974 ، الجزائر ، ص 24.
- Denis Girard , linguistique appliquée et didactique des langues , Paris , 1972 , p.19. وفي هذا الإطار يحب التركيز على الدافع البراغماتي في اختيار اللغات التي نعلمها ونتعلمها في سياق تعليم العربية وفق أسس ثلاث هي :

 - عالمية اللغة وعلميتها
 - التأمل الاقتصادي والتكنولوجي والثقافي أنظر تفصيلاً "صالح بلعيد" ، رأي في تعليم استعمال اللغة العربية ، مجلة التعریب ، سوريا ، المركز العربي للتعریب والترجمة والتألیف والنشر ، سنة 1998 ، عدد 16 . بتصرف

- "عبد السلام المسدي" ، الهوية اللغوية ورياح السياسة ، أفكار ، مجلة فكرية إلكترونية ، afkar@afkaronline.org
- "سعيد السريحي" ، شجاعة العربية وأوهام النقاء ، ص 106 بتصرف : ما ينظر مقال "علي القاسمي" ، شروط عالمية اللغة العربية وكيفية توفيرها للغة العربية ، الذي لخص فيه شروط عالمية اللغة ، مركزا على الشروط التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، من دون التقليل من دور التقدم التكنولوجي والموقع الجغرافي والتوزيع الجغرافي للناطقين باللغة ، ص 200 وما بعدها
- "ابن حزم" ، الإحکام في أصول الأحكام ، تحقيق ، 32/1.
- "علي القاسمي" اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى ، جامعة "الرياض" ، "الرياض" ، 1979 ، ص 15 وما بعدها.
- كان "جاك دريدا" مؤسس مذهب التفكير من أوائل المفكرين الغربيين الذين حاولوا قراءة التراث الغربي المتمركز حول اللوغوس محاولاً هدم أنماطه المعرفية لصالح مركبة الكتابة التي تعبّر عن الوجود الغربي الجديد في قطيعة مع أصول التفكير الماضوي.
- د. أحمد مطلوب" ، دور اللغة العربية في الإشعاع الحضاري .ندوة مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2001 ، ص 51
- العربية "يوهان فلک" ، ترجمة "د. عبد الحليم النجار" ، القاهرة 1951 ، ص 20 . سالم العبسي" - الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ص 103
- "شوقي جلال محمد" ، تقرير المجمع الميداني ، وضع الترجمة الراهن في الوطن العربي ، ندوة فكرية حول الترجمة في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان 2000 ص 75.

"إدرين غيتسلر" ، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة تر- "سعد مصلوح" ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007 ص 168.

-Derrida. J. Margins of philosophy, trans. A. RASS, Chicago, press 1982.

"عبد السلام عشير" ، عندما نتواصل نغير، ص 197.

- "مارتن فورستنر" و "محمد العلوى" ، نظرية الترجمة و متابعة السوق كركين أساسيين لجودة الترجمة -الأعداد والتخصصات والمهنة- ، جامعة "القديس يوسف" ، بيروت 2004.

اختبارات "جيد"

مارسيل بروست

ترجمة: لطيفة ديب

مع أنه معاكس للدُّغماتيَّة إجمالاً، أراد "أندره جيد"، أن يُوجَّه رسالة إلى مجتمع عصره. جاء تأثيرها، المتأخر، عظيماً وأثار، حوالي السنوات 1920 – 1930، مناقشات شديدة. يجب أن يُستطيع تحديدها ومحاكمتها اليوم برصانة.

الحماسة البشرية

"أعلن "جيد" آنفَاً خبرته في العيش بنداء "الأغذية" هذا: "تَائِيلٌ سأعلمك الحماسة". لكن اليافع المهيأ لإتباع دروسه عليه أن يبدأ بالتحرر من الإرغامات التي تُعيق اندفاعه نحو ملذات المعمورة: "أوَّلَو يكون هذا الكتاب قد أعطاك الرغبة في الخروج من أيّ مكان مهما يكن، من مدینتك، من عائلتك، من تفكيرك". إن إرشاداً كهذا، المترجم حرفيًا والمساء فهمه، يؤدّي إلى مغامرات محفوفة بالخطر ويؤدّي على الأرجح إلى تضليل بعض العقول. ويعني بخاصة أنّ على كلّ منا أن يبحث بمفرده عن واقعه ويبني سعادته بمفرده.

"فضلاً عن ذلك، شُغل "جيد" باستمرار، لإبعاد تهمة الأنانية، ولتوسيع صيغتها البدئية". أعطني مسوّغات للوجود"، يطلب البطل من "اللائلقي". لماذا التحرر إذا لم نكن نجيد استخدام الحرية؟ كيف نحافظ في داخلنا على الحماسة، إذا كنا لا نعرض عليها سوى مواضيع جديدة بلا انقطاع؟ إن "جيد" يُعدّي حماسته بفضول مستمر وهو يجذبه نحو أمثاله، في جميع الحالات، يجتهد في "تحمل أكثر ما يمكن من الإنسانية"، لأن "وجه الإنسان يستحق الاغتناء باستمرار. وويح للذى يحاول إنقاذه! أو حتى أن يحدد قسماته". هل حدث أن أخذ مقعداً في لجنة أحزاب؟ فوزن السبب الذي خضع له وفكّر في تعديل مكان في "القضاء". هل زار "تشاد" أو "الكونغو"؟ فحصل عند عودته على افتتاح تحقيق حول بعض المستوطنين. "نحو نهاية حياته، أراد "جيد" أن يقنع بأن الإدارة الجيدة لدى البعض، وهو مصنف بينهم، يمكن أن تساعده على إسعاد الجميع". سيكون العالم ما تصنعونه، أعلن في إحدى رسائله الأخيرة إلى الشبيبة، والإيمان الذي يحافظ عليه فيها يسمح له "بئلاً يموت بائساً".

الدقة القطعية

"يعلم "جيد" مذهبًا أدبيًا تعارض دقه مع موقفه الأخلاقي": "يولد الفن من التعارض، يستمر في النضال ويموت بحرية". من بين الأنظمة التقليدية، أنظمة الأسلوب هي الوحيدة التي اهتمّ بمراقبتها. ولئن استخدم أحياناً تعبير أو مصطلحات جسورة، فلكونه يجد لها مطابقة لعصرية اللغة، لكنه لا يهمل أبداً مراقبة تعبيره: فالتشكك المفرط في السلامة اللغوية يؤدي به حتى إلى بعض الخطل، إلى تعبير مهجورة أو أناقات متخلّفة. ويموله كفنان تجذبه نحو الكلاسيكية التي يعجب بكتمانها وتجریدها، وبحرصه على اختيار الكلمة بدقة، وتزّمته بالإغراءات المثيرة، يعطي مثلاً بالاعتدال الجلي الذي يعتبر الأكثر وضوحاً والأكثر ثباتاً من دروسه.

MAURICE BARRÈS

موريس بَرِّيس

"فُوستْ" ، "فانفرِيدْ" ، "برُسِيرو" ! عرق "هَمْلِيتْ" الحالد ، الذي يعرف أنَّ على الأرض وفي السماء يوجد ما هو أكثر مما نحلم به في فلسفتنا والذي ينصرف ليبحث عن سر الحياة في الأوهام التي تُبَعِّثُ في الوحدة ! أعتقد أنَّى التقييم في دروس التلة الضيقَة كانوا يتوقفون لينظروا إلى الآنس الطيبين الذين يقصدون كنيسة المزار . هل كانوا يهزؤون بهم أم كانوا يحسدونهم ، لست أدري . فـ"روح" الأماكن المرتفعة كانت تجعلهم يرتجون مع اللانهائي وتدخل إلى قلوبهم الزهو بعدم الاعتماد إلا على الذات في حل لغز الكون . هل سأخلق بهم ؟ إننا في حاجة إلى تناسق ، إلى قصيدة تُقنِع وإلى نجم ثابت في السماء . هل سيجيد هؤلاء الأبطال التحكَّم بشعورنا نحو ما إلهي ، وتوقنا للكمال ، لِذِكْرَانا وتوئدي بشعورنا إلى هدف واضح ؟ هل سيكونون مرشيدينا ؟

عندما يرغب "ليوبولديار" أن ينطلق في العالم غير المائي ، يُتحَطِّم في أعماق "ساكسون" والآخرون الذين تحملهم أجنحة أقوى يرتفعون أكثر سعادة ، وإلى أين يصلون ؟ إن مختبر "فُوستْ" ، ومعلم "مانفرِيدْ" ، وجزيرة "برُسِيرو" تلتمع في غيوم الأفق الحمراء ، لكن هذه الصروح الرائعة ، هذه المراكب الكبيرة ، مراكب النور ، المتأرجحة على المغيَّب الأسود ، لا تختلف كثيراً عن الكوخ الفقير ، كوخ آل "بايار" ، الواقفين هناك تحت ناظرتِي ، إنها مقصورة من نار ، قصور من موسيقى والكثير من الزخارف التي تحول إلى قضبان تحترق في الليل .

"موريس بَرِّيس"

"التلة الموصى إليها".

موقع المقطع

يروى "بريس" للتتو قصة ثلاثة كهنة من "اللورين"، الإخوة "بيار"، الذين، بعد أن أقاموا على تلة سيون – فودمون –، بين "ميركور" و"نانيسي"، معبداً قدماً هدمته "الثورة"، ثاروا ضد السلطة الكنسية وأنهوا حياتهم في ممارسة عبادة شيطانية، يقع هذا المقطع في وسط "الخاتمة".

النص

يتصدى "بريس" لذكر بعض الأشخاص البارزين في الأدب العام، منعزلين ومتمرسين، مأخوذين بطموح هائل هو اكتشاف أسرار الطبيعة وإخضاعها لقانونهم، مثل هذا المدعو "ليوبولد بيار" الذي روى مهنته الغريبة: الدكتور "فوست"، الذي "ثار ذات يوم ضد حدود الذكاء، ولم يعد يرى سوى خدعة في جهده الطويل في التضحية في سبيل العلم"، "مانفريد"، بطل "بيرون" الشيطاني الذي "يشتبك في صراع مع الطبيعة ذاتها"، "يروسيلرو"، بطل "عاصفة" "شكسبير"، الذي يكتب على السحر في جزيرة فاحلة، يتنسب الثلاثة إلى "عرق" "همليت" الحالد، ذاك الأمير الدانماركي المستغرق في التأمل والقلق. لدى تاريخ كتابته "التلة الموصلة إليها" (1913)، ظل "بريس" عالق القلب بهذا العرق، إذ أنه، مثل "همليت"، "يدرك وجود المزيد من الأمور على الأرض وفي السماء يفوق ما حلم به في فلسفتنا": وإذا خاب ظنه بفعل تعدد النظم ومعارضاتها، تخلى عن الميتافيزيقا إلى المتخيلين وبدل اهتمامه بالتماس مع الحياة، وبالتجذيز بالتجارب التي تقدمها في كل مكان إلى المتأمل "على الأرض وفي السماء". غير أن "بريس" استنكر هذا العرق "الذي راح يبحث عن سر الحياة في هواجس الوحدة": إنه يفكّر فعلاً أننا سنجهل دائماً "الأمور المخبأة" ويعارض البحث المفرد الذي يرفض الخصوص لقاعدة. ويُسرّ "بريس" أن يتخيّل أنه التقى "فوست"، "مانفريد"، "بروسيلرو" في دروب التلة الضيقية يوم كان يتسلّق منحدرات "سيون – فودمون"، القريبة من منزله في "شارم": كانوا يتوقفون ليشاهدوا الأناس البسطاء الذين يقصدون كنيسة المحجّ. فكان فلاّ هو المنطق، منذ أزمنة لا تعيها الذاكرة، يقصدون فعلاً كنيسة

"سيدة سيون" في شهر سبتمبر ليحتفلوا بأعياد ميلاد "العذراء". فماذا كانت ردة فعل أبطالنا بحضور هذا الموكب من المؤمنين؟ "هل كانوا يهزّون بهم أو كانوا يحسدونهم، لست أدرى". لا شك أن "فوسٌتْ" و"مانفريٰد"، المتعجرفين وغير الراضين دوماً، يكفهم أن يهزءاً من هؤلاء الفلاحين المتواضعين الذين يذهبون جماعة إلى الكنيسة، يدفعهم إيمان ساذج تلقّونه بطاعة من أجدادهم، لكن أليس من العقول أيضاً التفكير بأنهم يحسدونهم في أعماق قلوبهم، لكونهم وجدوا السكون والسلام آياً كانت الحالة، فإن "روح الأماكن العالية تجعلهم يتأثرون مع اللانهائي". غير أن "برِيسْ"، مرة أخرى، استنكر "فوسٌتْ"، و"مانفريٰد" بعد أن أيدَّهما: فقد تحمساً مثلهما وهو يحلم بالقمم المغمورة بالأسرار، لقد شعر أنه اقييداً مثلهما في عالم غير مرئيّ، لكنه يرى بقسوة "الزهو بالاعتماد فقط على الذات في حلّ سر الكون". لنذكر من جهة أخرى أن التلة، حسب "برِيسْ"، هي التي "تضع هذا الزهو في قلبيهما": ويعتبر أن الأماكن المُلْهَمَة بإمكانها أن تخسرنا كما يمكنها أن تُقدِّنَا، "بحسب إصغائنا إلى ندائها" وفق ترجمته بنصيحة الثورة أو القبول.

"هل سألحق بهما؟" يتساءل الكاتب. فهذا السؤال الموجز يعبر عن قلق رجل يهتم بالخلص من التشتت والفووضى الأخلاقية، ويطمح خصوصاً إلى ترسيخ انضباط مفاده عدم الاعتقاد بأن الذكاء البشري يمكنه بلوغ الحقيقة.

"نحن في حاجة إلى توافق": ف"برِيسْ". يتخيّل فعلاً الحياة الحقيقية كأسِ توافق يشعر العقل معه بالرضا عمّا يريده القلب. والروح تقتضي النظام، الاستقرار، الوحدة الداخلية (النجم الثابت، القيادة، المهد الواضح) وكذلك "الكمال"؛ يحتاج القلب إلى الاندفاق، إلى الشعر، إلى الاعتقاد (قصيدة تنضح بالقناعة مع الاستماع إليها... شعور بما هو ريباني) ويبحث عن دعم في "الذكرى" ، أي في كلّ ما يربطنا بالأجيال السابقة ويمسّط رأسنا الذي نشكّل نهايته وإنّاتجه. هذا الاقتضاء المزدوج، الفكرى والشعوري يظهر بخاصة على الصعيد الدينى: "برِيسْ" يمتلك "الشعور الريباني" ، لكن هذا الشعور يجب، حسب رأيه، أن يكون "محكوماً" (هكذا يُفسّر إعجابه بنظام "الكنيسة" الكاثوليكية). فلا "فوسٌتْ" ، ولا "مانفريٰد" ، ولا "بروسيبرو" ، الأشخاص

الذين يصعب ترويضهم، والعصاة، لا يشعرون أنهم بحاجة في أنفسهم لحاجات مماثلة: لذلك السؤال "هل سيصبحون مرشيدينا" الذي يعاوده في نهاية كل مقطع، سؤالاً بدئياً: "هل سأتبعهم؟" لا يترك أي شك حول جواب الكاتب.

عندئذ لجأ "بريس" إلى مقارنة، من وجهة نظر التائج، جهد أبطال عرق "هملت" المشهورين ووجه كاهنه المتواضع البدعي "ليوبولد": "ليوبولد بيّار، عندما يريد أن يندفع في العالم غير المرئي، ينسحق في أعماق "ساكسون" (ساكسون" قرية صغيرة عند قاعدة تلة "سيون"). يوجد، فعلاً، عند "ليوبولد" تناقض بين مدعى الرؤى المتحمّس الذي يستسلم للاندفاع الروحاني، وابن مزارعين احتفظ من الأقدمين بجوهر وضعية قروية. وعدم قدرته على البحث عن توافق بين هاتين النزعتين المتناقضتين يوضح فشل جهده الذي تلف في الفراغ. لكن جهد "فوست" و"مانفريـد"، لنكون أكثر مشهديـة، لم يكن، هو أيضاً، أقلـ فشلاً. هذه الفكرة سببـ الارتجاج في مخيلة "بريس" : فالطموح المتعجرـ لـ هؤلاءـ الأبطـالـ ، والـانـدفعـ الـذـيـ تـغلـبـ عـلـيـهـمـ ، أـيقـظـاـ لـدـيهـ صـورـةـ طـيـورـ "ـمحـمـولةـ عـلـىـ أـجـنـحةـ أـكـثـرـ قـوـةـ وـتـرـفـعـ بـمـزـيدـ مـنـ السـعـادـةـ"؛ وكـذـلـكـ "ـالـصـرـوـحـ الرـائـعةـ"ـ حيث يستسلم هـؤـلـاءـ المـفـكـرـونـ المـنـزـلـوـنـ لـأـحـلـامـهـمـ الـفـخـمـةـ ، وـمـخـتـبـرـ "ـفـوـسـتـ"ـ وـمـعـتـقـلـ "ـمانـفـريـدـ"ـ وـجـزـيرـةـ "ـبـرـوـسـيـرـوـ"ـ تـظـهـرـ لـهـ (ـلـ"ـبـرـيسـ")ـ بـمـنـزـلـةـ "ـمـرـاكـبـ"ـ مـرـاكـبـ مـنـ الضـوءـ تـلـتـمـعـ فيـ الغـيـومـ الـحـمـرـةـ فـيـ الـأـفـقـ"ـ، لكنـ هـذـهـ الطـيـورـ ذاتـ الطـيـرانـ القـوـيـ لاـ تـصـعدـ عـالـيـاـ فـيـ الضـاءـ (ـإـلـىـ أـيـنـ الـوصـولـ إـذـاـ؟ـ)ـ وـمـرـاكـبـ الـضـوءـ الـكـبـيرـةـ"ـ الـتـيـ تـتـأـرـجـحـ فـيـ الـهـوـاءـ"ـ عـنـدـ الغـرـوبـ الـأـسـوـدـ، لـاـ تـخـتـلـفـ كـثـيـراـ عـنـ الـكـوـخـ الـفـقـيرـ الـرـوـحـانـيـ لـأـلـ "ـبـيـارـ"ـ، الـمـتـصـبـ، هـنـاكـ فـيـ الـأـسـفـلـ، تـحـتـ نـاظـرـيـهـ"ـ: نـهاـيـةـ الـجـملـةـ الـمـبـتـورـةـ وـالـثـنـرـيـةـ تـمـنـحـ شـعـورـاـ بـالـسـقوـطـ وـيـتـنـاقـضـ مـعـ إـيـقـاعـ الـبـداـيـةـ الـخـلـيلـ. فـلاـ "ـفـوـسـتـ"ـ وـلـاـ "ـمانـفـريـدـ"ـ، وـلـاـ "ـبـرـوـسـيـرـوـ"ـ، وـلـاـ "ـليـوبـلدـ بـيـارـ"ـ استـطـاعـواـ أـنـ يـشـيدـواـ شـيـئـاـ مـتـنـيـاـ، وـيـتـرـجـمـ "ـبـرـيسـ"ـ بـرـؤـيـاـ أـخـيـرـةــ رـؤـيـةـ، رـؤـيـاـ حـلـمـ أوـ كـابـوسـ، لـكـنـهـ ذـاتـ قـوـةـ كـبـيرـةـ فـيـ الـإـيـحـاءــ التـضـادـ بـيـنـ حـمـاسـةـ أـبـاحـاثـهـ (ـإـنـهـ قـصـورـ مـنـ نـارـ)، وـمـطـابـقـتـهـ الزـائـلـةـ مـعـ الـحـيـاةـ السـرـيـةـ (ـحـيـاةـ قـصـورـ مـنـ الـموـسـيـقـيـ)ـ وـفـرـاغـ النـتـيـجـةـ (ـبـقـدـرـ مـنـ الـخـدـعـ الـتـيـ تـتـحـوـلـ إـلـىـ قـضـبـانـ تـحـرـقـ فـيـ الـلـيـلـ)ـ.

الخاتمة

هذا التأمل المهم يكشف عن ميلين يتنازعان "برّيس" : لديه حمية للنفس الرومانسية ، فهو مولع بالحماسة والحرية ، لكنه أيضاً رجل نظام ذو ذكاء حادّ ، يسعى لتصور ثابت للحياة ، يعتمد على احترام الموروث . وفي "النلة الملهمة" ، يتمسك "برّيس" بالحوار بين قوى الحرية وقوى النظام ، بين "المرج" و"المصلى" ؛ لأنّه ؟ استنكر الحمية وهي ليست سوى اندفاع فردي وغير منظم ، فهو يؤيّد التوافق المتناسق "توافق الروح التي تختلج على القمم" و"توافق النظام الأكثـر قساوة".

إن أسلوب هذه القطعة يعكس هذا التضاد الداخلي : أسلوب متسرّع أحياناً ، مجرد وتعليمي بعض الشيء (المقطع الثاني) ؛ وغالباً مُسهب ومجازي ، غنائي الحمية أو مزال الحمية ، يتأثر بسحر الكلمات المتناغمة (المقطع الأول والثالث).

مارسيل بروست

1922 - 1871

1 - مهنة بروست

الفتوة المدنية:

"مارسيل بُروستْ" ، المولود في باريس ، هو ابن طبيب مشهور. كان في التاسعة من عمره عندما أصيب بداء الربو الذي عانى منه طيلة حياته. لكن أمّه ، وجدته أحاطتا طفولته سريعة العطب بعنایات شبعة بالحنان. تابع بشكل غير منتظم ، الدراسة في ثانوية "كوندورسيه". في الصيف ، كان يقيم في "إيلليه" ، قرب "شارتر" ، في منزل أحد أعمامه أو أخواله ، أو على الشواطئ النورماندية ، في "تروفيل" ، في "رِيَبْ" ، ثم "كابورْ".

في ريق العمر ، اجتذبه الحياة المدنية. كان يتربّد بخاصة على صالونات "السيدة ستراوسْ" ، الأرملة المتزوجة مجدداً من المؤلف الموسيقي "بيزيه" ، وصالون الرسامه المائة "مادلين لومير" ، وصالون "السيدة أرمانْ دو كياميَه". ارتبط بالصداقة مع مشاهير الأرستقراطيين ، أمثال الكونت "روبير دون مونتيشكُيو" ، ومع موسقيين أمثال "رينالدو هاهنْ" ، ومع أدباء أمثال "أتاتول فرانسْ". وهو نفسه تصدّي للأدب ، لكن كمولع بالموسيقى والفن وكرجل مجتمع: مع أصدقائه "فيرناند غريغْ" ، "روبير دريفوسْ" "دانيل هاليفي" ، "روبير دوفليرْ" ، أسّس ، عام 1892 ، مجلة "لوبانكيه" ، ثم جمع قصصاً ، وصوراً قلمية أو أوصافاً أو دراسات في ألبوم زيتته بالصور "مادلين لومير" ، "الملاذات والأيام" ، نُشر عام (1896) ، وبدأ سيرة ذاتية ، "جان سانتوي" ، نُشر عام (1952 ،

أخيراً، بدءاً من عام 1900، ترجم، بمساعدة أمه، أعمالاً مختلفة للجمالي الإنكليزي "روسكيين". فاكتسب، في الأوساط الأدبية، شهرة هاو ذي ذوق رفيع.

العزلة المثمرة

فقد "مارسيل بروست" والده عام 1903، وأمه عام 1905. الأمر الذي زعزعه بعمق، فأقام مدة في مصحة. وقد أبعده الحزن والمرض عن العالم. أقام في جادة "هاوسمان"، واعزل في غرفته التي فرشها بالفلين، استقبل فيها بعض الأصدقاء، لكنه خصّص معظم وقته للوحدة والعمل. وكتب ملاحظات حول النقد الأدبي طبعت بعد وفاته تحت عنوان "ضد سانت - بوف". أعد كتاباً ضخماً نقل إليه ذكرياته لتبنيش الماضي، حوالي 1911، ورأى أنه بلغ نهاية العمل؛ لكن العديد من الناشرين رفضوا نشره. أخيراً، ثم وافق "برنارد غرسية" على طبع القسم الأول من الرواية المسلسلة *noman cyclique*، على حساب المؤلف. إنه الكتاب الذي يحمل عنوان "في جانب منزل شوان 1913)، ولم يفطن له أحد. بالمقابل، غداة الحرب، ثم منح "في ظل الفتيايات المزهرات"، المنشور لدى "غليمار" لقب جائزة "غوتوكور". عندئذ أحرزت شهرة "بروست" شغفاً غير مأمول، فجهد الكاتب المتعش، رغم المرض، في إتمام عمله، الذي تجاوز الإطار الذي ابتكَرَ بدءاً. وظهر سريعاً في جانب غرمانت (21-1920)، "سدون وعاموره" (1922)، ثم، بعد وفاته "السجينة" (1924)، "البرترين مفقودة" (1925)، "الزمن المستعاد" (1928). شكّلت المجموعة ما يقارب الخمسة عشر كتاباً تحت عنوان جامع "بحثاً عن الزمن المفقود".

بحثاً عن الزمن المفقود

"في جانب منزل سوان". بفعل تداعيات عرضية، استعادت ذاكرة "الراوي" الماضي بأكمله. فها هي "كومبريه" (إيليه)، حيث عاش طفلاً أياماً سعيدة لا تُحصى. وفي الطريق إلى "ميزيغليز"، لتلتقي منزل السيد "سوان"، عضو النادي الباريسي

الرياضي العجوز الذي أحبّ، ثم تزوج بعد تجارب قاسية، الطائشة "أوديت دوكرسي". كذلك حلمُ "الراوي" ينقله أحياناً نحو القصر الرائع، قصر "غرمانٌ". بعد بضعة سنين "جيلىرتُ" ، ابنة "سوان" تصبح رفيقة العابه وتتحي له بجهة الأول.

"في ظلّ الفتيات المزهرات". يتعدد "الراوي" باستمرار على منزل "آل سوان". مع ذلك، ابتعدت عنه "جيلىرتُ" وانتهى الأمر إلى أن نسيها بدوره هو أيضاً. وعلى شاطئ "بلبيك" النور ماندي، جذبت فضوله زمرة من الفتيات، تعرف إليهنَّ وميزَ من بينهنَّ "أيلبرتينْ سيمونيه".

من جانب غرمانٌ. في "باريس"، شعر "الراوي" بهوى متقدٍ نحو الدوقة "دو غرمانٌ" ، طمح جداً إلى أن يستقبل في منزلها وفشل. لكن موت جدته، وبدایات علاقته مع "أيلبرتين" بدلت مجرى اهتماماته. أخيراً، إذ دخل منزل "آل غرمانٌ" ، تعلم كيف يعرف ما هو مجيد وسري لدى النبلاء الأرستقراطيين في ضاحية "سان - جرمين".

سادوم وعاموره: في المخطط الأول من النص يظهر "السيد شارلو" شقيق الدوقة "غرمانٌ" ، الأرستقراطي ذي المظاهر الحميرة، تارة طيب وتارة فظٌّ، متصلٌّ ومتواضع، خشن، ولطيف، وغراحته هذه تُفسِّر بخيول غير عادية. غير أن صالونات أخرى تظل مفتوحة تلبي فضول "الراوي" ، وبخاصة صالون البورجوازية "السيدة قردران". وبعد فترة قريبة عاد إلى "بلبيك" والتقوى "الزمرة الصغيرة" واكتشف بدهشة عادات غريبة لدى "أيلبرتين" ، وفي ثورة الغيرة، شعر بهوى معدّ يسولى على نفسه.

السجينه: أيلبرتين مفقودة: قبلت "أيلبرتين" أن تعيش عند "الراوي" ؛ لكنه مع إيقائها سجينه، شعر أنها تفلت منه. وذات صباح، اختفت، وبلغه بعد فترة وجiza نبأ موتها في حادث، لكنه تألم مستعيداً خياناتها ولم يستعد هدوءه إلا بعصوبية كلية.

الزمن المستعاد: واندلعت الحرب. وعاين "الراوي" بسخرية أو بكآبة تحولات المجتمع الذي وصفه. وفيما كان ذاهباً ذات صباح إلى منزل الأميرة "دوغرمانٌ" ، اكتشف في استضاءة عقلية الحقيقة التي تُنير وتبرر قصته: تدوين أوقات الماضي المتوازي في مؤلف هو استعادة الزمن المفقود.

2 - تجربة بروست

الحرية هي القانون عينه للإبداع الرومنسي ، ينقل "مارسيل بروست" في روايته الأوجه المتعددة من تجربته.

عالم الطفولة:

"عرف "بروست" حلاوة عنوبة طفولة فريدة بسعادتها ودلالها : وهذه السنوات السعيدة عادت إلى الحياة في المجلدات الأولى من روايته" إنه يُحيي ذكرى حنان أمه التي ، كانت تأتي ، كل مساء ، لتنمحه ، في سريره ، قبلة ينتظراها بفارغ صبر ، والهوس المفرط لعمة أو حالة ريفية ، والوقار الساذج لدى خادمة مسنة. يصف المنزل الواقع في "إيلليه" ، الأجراس المجاورة ، النيلوفر في "فيرون" ، سياج الزعور على ضفة نهر "لواره" يستعيد أيضاً الذهاب إلى "الشان زيليزيه" أيام الخميس أحياناً والأحد وبعد دوام الثانية : وتحضر على باله الفتيات اللواتي كن يشاركنه ألعابه ، فييتدع صورة مثالية لـ "جيلىرت سوان". هذا العالم الطفولي يبدو له فردوساً أرضياً ، تزيئه كافة الرعایات والمقانين.

عالم الصالونات:

"يعاين "بروست" عادات المجتمع المدني : ويحللها بدقة". ولئن لم يوجد نموذج منفرد أو مثال لكلٍ من شخصياته ، فقد وصفهم ، مع ذلك ، كلاً حسب طبيعته : فـ "سوان" القرین جداً من الراوي ، يشبه بشعره الأحمر الواقف ، عضواً في "الجوكي" - "كلوب" يدعى "شارل هاس" ، البارون "دو شارلو" يشبه الكونت "روبير دو مونتيسيكيو" بتعاليه السفيهية والنزة ، أما سيماؤه وعاداته فهي تشبه البارون "دوازان" بسيمائه وعاداته. وقد تكون لدى "بروست" بهذا الخليط ، مجموعة من النماذج الاجتماعية : فالدوقة "دوغر مانت" ، بعقلها وخشونة طبعها ، تجسد العجرفة الأرستقراطية ، والسيدة فدران" ، بحماقها وغرورها ، تثل التتفج البورجوazi. عالم الصالونات هذا الذي تحرّأه الراوي مدة طويلة ، يتم الحكم عليه من الآن فصاعداً بقسوة لا تخلو من الظرف على أي حال.

عالم الأهواء

"يدرس بروست" أولية شغف الهواء، ويقدم عدة أمثلة منها تتسم بثقافة فكر قاسٍ. فعندما يتعلق "سوان" بـ "أوديت" يجعلها في مخيلته بكلفة الفضائل، لكن القلق يعقب بسرعة كبيرة الحمية، وكذلك الخيبة لعدم القدرة على التوغل في العالم الخفي لتلك التي يحب، ثم يتبين أن "أوديت" تبتعد عنه: عندئذ، الشك والغيرة يغذيان قلقه فيغيظان حبه الذي انتهى به بعد المديد إلى الانهدام. ويفتن "الراوي" أيضاً، عندما يهيم بـ "جيلىرت" أو بـ "أيلرتين"، ويختار تجرب شبيهة قبل أن يبلغ النسيان. وتجري المغامرات المتخيلة جمعها وفق قاعدة مستمرة، عرفها الراوي نفسه، مع طرق أخرى، بدقتها الصارمة. وعالم الأهواء هذا هو عالم مأساوي، تجد فيه النفس بالوهم أولاً، وتغنى في الألم لتغرق أخيراً في الخيبة.

3—فلسفة بروست

يريد "مارسيل بروست" أن يهير عمله بأكمله بخاتم "الزمن". فيظهر قساوة طغيانه، لكنه يؤمن بإمكانية الخلاص، التي يحوي سرها المجلد الأخير من سلسلة عمله.

عبدية الزمن

"يلاحظ بروست" بألم مرور وفساد، ثم فناء الأشياء والكائنات بفعل "الزمن". الفردوس الطفولي مفقود، والموت يحرمنا من أهلنا الذين أحبتنا بشغف، ولا يحتفظ قلبنا منهم سوى بذكرى متقطعة. والحب، الإبداع الصافي من قبل عقلنا، هو سراب، يكتشف بزواله، واقعاً مبتدلاً. والحياة الاجتماعية "الواقع العظيمة" ليست أطولبقاء، الأوساط الأرستقراطية تهدم، صاحبة "سان جرمين" تنحل؛ العادات الاجتماعية تكشف ابتدالها. هكذا لا يحمل لنا العالم الخارجي سوى تجرب خادعة.

وكياننا الفيزيائي والعقلي لا يفلت من القانون الشمولي. فالزمن يمارس إتلافه على أجسادنا: لكي يحول في بضع سنوات، شقراء راقصة فالس إلى سيدة جسمية، شعرها أبيض ومشيتها متشائلة، يفعل "من الإتلاف أكثر مما يلزمه ليضع قبةً مكان

سهم". فعمر عقلنا غير المستقر والمتفكك ييدو كتالي فترات؛ حيث لا شيء مما كان يدعم الفترة السابقة يستمر في الفترة التي تليها: "فتفكك الأنما هو مطرد".

التغلب على الزمن

"غير أن الماضي، لا يزول إلى الأبد: إنه يبقى متوارياً في أعماق عقلنا الباطن، بشكل مشاعر مضمحة، لكنها جاهزة دوماً للظهور من جديد": "عندما لا يبقى شيء من ماضٍ قديم بعد موت الكائنات، بعد تدمير الأشياء، وحدها الأكثر هشاشةً، لكن الأكثر حيوية، الأكثر لا جسمية، الأكثر استمرارية، الأكثر أمانة، الرائحة والنكهة تظلان طويلاً كالأرواح، تذكران، تنتظران، ترجوان تهدم كل ما تبقى، تنقلان من دون أن تلتوا، على قطراتهما التي لا تخس تقرباً الصرح الضخم، صرح الذكرى" (ن جانب منزل سوان).

"تحدث لحظات البعث هذه عندما ينقل شعور حاضر إلى ذاكرتنا العاطفية شعوراً اختبر سابقاً. هكذا تماس فوطة على شفتيه يذكر "الراوي" بشعور مماثل سبق أن أحسه في "الفندق - الكبير" بـ "بليك": وفوراً ألوف التفاصيل تبعث في نفسه وتحيي انفعالات حياته الماضية. فالعيش مرة واحدة في لحظتين معايرتين، نحس بشعور الإفلات من أسر الزمن وibilوغنا نوعاً من الخلود.

"لكن تداعي أفكار مماثلة نادر الواقع وزائل لن يحمل إلينا سوى فرح عابر، دون مشاركة عقلنا الفعلية"، التي يجب أن تلبي هذه النداءات التلقائية وتستنتاج من مشاعرنا المسقبة، على حساب جهد مؤلم حقيقة أساسية ودائمة "هذا الإعداد، الذي يكرس بشكل نهائي تغلبنا على "الزمن" هو ميزة الفن".

4— الفن لدى بروست

وفقاً لـ "مارسيل بروست" الإبداع الجمالي وحده يسمح بولوج كنه الكون، الذي لا تميز ترجمته الشائعة سوى مشاهد وهمية، وضميره كفنان يجتهد باستمرار في جعل وجود واقع قطعي حقيقياً، في وسط عمله.

الاعتقاد القاطع في الفن

"يأخذ الفن في نظر "بروست" قيمة الدين. فكل تحفة تتضمن الإفصاح عن حقيقة سامية وتطنّ علينا مثل "نداء إلى فرح فوق - أرضي". وكل فنان كاهن يتمم كما يفعل رجل دين، طقوس احتفال ديني. عندما رسم "فرمير"، في "مشهد دلف"، شقة جدار أصفر، جملة بعقريته لدرجة أن عبر على لوحته بكل الشعر الإلهي المختبئ تحت المظاهر الشديدة التواضع. كذلك نموذج موسيقي منطلق من أعماق نفس موحاة يحمل إلى نفس المستمع صدى جزء سماوي كانت عامية العوارض أفقدته ذكرها. هكذا مع توسط كبار الرسامين أو كبار الموسيقيين، نتوصل إلى معرفة "هذه الحقيقة التي نعيش بعيداً عنها... والتي هي بكل بساطة حياتنا، الحياة الحقيقية، الحياة المكتشفة أخيراً والمستنيرة".

أسلوب الفنان

"لا يستطيع الفنان مذ ذاك أن يكتفي بواقع ضيق يقدم المظاهر ثانيةً عوضاً عن تجاوزها. فالرؤية الحقيقة ليست الرؤية الشاملة التي تعيد الموضوع إلى خطوط غير متقدمة، لكن الرؤية التي تغتنى بفووارق متعددة تصيفها عليها الذكرى". "إن رؤية، غلاف مجلد سبق أن قرئ تنسج في أحرف عنوانه أشعة قمر في ليلة سابقة من ليالي الصيف". فابتدع عملاً فنياً، هو إذاً العمل بنهجية في ممارسة هذه الذكرى الانفعالية التي يهمل معظم البشر عمق إيماءاتها وبذلك استنتاج علاقات غير مشكوك فيها.

أساليب الكاتب

"من أجل التعبير عن هذه العلاقات، يلجأ الكاتب بلا تصنّع إلى الاستعارة"، التي توضح مماثلة مضمرة بين موضوعين (في ظل الفتيات المزهرات)، أو حتى إلى مقابلة الشكل، تنسج أحياناً على طول جملة متلوية: "سياج الزعور كان يشكل ما يشبه سلسلة من مواضع الصلاة (المصلى) التي كانت تختفي تحت نثر أزهارها المتكونة بشكل مذبح، وتحتها كانت الشمس تضع على الأرض نوراً مقطعاً كما لو كان للتو يجتاز زجاجية؛ وكان عطرها أيضاً ينتشر عذباً، وكذلك محمد الشكل كما لو كنت أمام مذبح "العذراء" والأزهار المزينة أيضاً، تمسك كل منها وقد بدت ساهية، طاقتها البراقة

من الإيمان، الدقيقة، ذات العروق الوهاجة كتلك التي تخرم (درازين) المنبر أو معينات الزجاجية والتي تفتح بيضاء اللب كزهر الفراولة". فالنضارة ووفرة الصور التي تبرز في كل صفحة ترعى في العمل بكامله جواً شعرياً كبيراً.

خطبة موجهة إلى الأموات

أنتم الذين لا تسمعوننا، الذين لا تشاهدوننا، اسمعوا هذا الكلام، انظروا لهذا الموكب، نحن المتصررين. الأمر عندكم سيان، أليس كذلك؟ أنتم أيضاً متصررون لكن نحن فإننا المتصررون للأحياء. هنا يبدأ الاختلاف. هنا ما يثير في نفسي الخجل. لست أدرى إن كان الأموات المتصررون يميزون بشارفة وطنية فالآحياء المتصررون أولاً، يحملون الشارة الوطنية الحقيقة، إنها أعينهم، نحن لدينا عينان، يا أصدقائي المساكين. نرى الشمس.. نعمل كل ما يعلم في الشمس.. ولأن الذي يتحدث إليكم أخيراً هو جنرال مخلص فلتلعلموا أنني لا أكن عاطفة سوية، احتراماً سوياً لجميعكم. مهما كنتم أمواتاً، لديكم النسبة عينها من البواسل والضعفاء التي لدينا نحن الذين ما زلنا على قيد الحياة ولن تجعلوني أخلط لصالح احتفال ما، الأموات الذين أجل مع الأموات الذين لا أجل. لكن ما أصر على أن أقول لكم اليوم، هو أن الحرب تبدو لي الوصفة الأكثر دناءة والأكثر خباثةً كي تعادل بين البشر وأني لا أقبل الموت كتطهير أو تكفير من الضعيف أكثر منه كمكافأة للبطل، وأياً كنتم، أنتم الغائبين، أنتم غير الموجودين، أنتم المنسين، أنتم الذين لا مهنة لكم، لا راحة، لا كيان، أفهم أنه يجب لدى إغلاق هذه الأبواب أن تعذروا هؤلاء الفارين بالقرب منكم أعني الباقي على قيد الحياة وأن تشعروا بما يشبه الطيران المزدوج والذبول المزدوج اللذين يدعيان الحرارة والفضاء، والذين لم تعد تبلغكم حرارتھما ولا رجعهما.

جان جيرودو. حرب طروادة لن تقع ثانية

موقع المقطع

أثناء عودته من غزوة منتصرة ، وجد الجنرال الطروادي "هكتور" مواطنه في قلق : لأن شقيقه "باري" كان خطب "إيلين" زوجة ملك "سيرتا مينيلس" ، خيم على المدينة تهديد بقتال جديد. كان "هكتور" مل الحرب وقرر أن يحمي السلم بكلفة الوسائل. وإذا دعي للاحتفال بموتى الحملة التي انتهت للتو ، سيلقي أمام هيكل الحرب خطاباً خالياً من أي امتالية.

النص :

في الحال ، اقترح "هكتور" ، بظلٍ من الدعاية البالغة ، لا معقولية الخطابات المأتمية حيث تُستعاد كائنات أفقدت حواسها : "أنتم الذين لا تسمعوننا ، الذين لا تشاهدوننا ، اسمعوا هذا الكلام ، انظروا هذا الموكب". غير أن "هكتور" ، القائد العام ، اضطر بناء على إلحاح الحبيطين به ، أن يرضي هذا الواجب التقليدي ، فتوجه وبالتالي ، هو أيضاً ، إلى الأموات كما لو كان باستطاعتهم أن يسمعوا ، على الأقل كلماته صريحة ، مباشرة وغنية بمقصودها : "نحن المنتصرين. الأمر عنكم سيان ، أليس كذلك؟ أنتم أيضاً منتصرون. أما نحن فإننا المنتصرون الأحياء". إن السرعة العصبية التي تتصف بها هذه الجمل ، وتكرار "نحن" و"أنتم" والمجانسة الصوتية للحرف (V) تمنحها سرعة انتصارية ، لكن يجب لا نخطئ حول مداها ، من جهة أخرى ، ستتغير اللهجة فجأة. " هنا يبدأ الاختلاف. هنا ما يثير الخجل في نفسي ". كان "هكتور" إذاً يختئ تحت أقواله ، شعوراً بالخجل سيكشف لنا سببه. عادةً ، الخطيب المكلف بتعظيم المحاربين الموتى أثناء حملة منتصرة ، يلتج من أجل إطراء وطنية وكبرباء مستمعيه ، على الاختلاف بين المنتصرين والمغلوبين ؛ أما "هكتور" فيشدد على اختلاف آخر ، أكثر تعقيداً لحب الوطن ، ذاك الذي يميز الأحياء والأموات. " فلا يهم ، في جمع من الموتى تميز المنتصرين منهم بشارة وطنية" : هذه الكلمة الأخيرة ، البالية باستمتاع في فم أحد القدماء تنفصل بفضل جهوريتها الرنانة وتلمح إلى زهو الجنود الذين يحملون شعارات وأوسمة (cocavde) مشتقة من كلمة فرنسية قديمة coquard ، التي تعني ديك ومن هنا

(رجل زاهٍ)، في الحقيقة، النصر الحقيقي، الوحيد في نظر المحارب هو أن ينجو من الموت، وهذه الفكرة، يترجمها "هكتور" بجرأة وبشكل محسوس: "إن الأحياء، المتتصرين أولاً، يحملون الشارة الحقيقية، إنها عيونهم". هكذا يستبعد الجنرال الطرودي موقف مقرّظي الحرب، الذين يدعون أنهم يعلمون احتقار الحياة، فيبسطع جمل مختصرة وجافة تخفى انفعالاً متاماً، يذكر بالعكس ثُن العيش: "نحن، لدينا عينان، يا أصدقائي المساكين. نشاهد الشمس. نعمل كل ما ي العمل في الشمس". متفهم الآن لماذا يخجل "هكتور" بحضور الموتى: لقد بقي، لحسن الحظ، إلى جانب هؤلاء الأحياء الذين يحتفظون بموهبة تذوق الأشياء الجميلة والأفراح التي تغدقها الطبيعة.

في ولعه بالحقيقة (إذ إنه أخيراً، جنرال صادق هو الذي يحدّثكم)، يهاجم "هكتور" بعدئذ الرأي المسبق القائل "إن الرجل في زمن الحرب يسمى البطل" والجنرال الذي يلقي عادةً الخطبة المتساوية يؤدي جميع المفقودين "تعطفات متساوية، احتراماً متساوياً". إنه استعمال خادع، آن الوقت لنقضه: "مع كونكم أمواتاً، يوجد بينكم من شجعان وجبناه بالنسبة عينها التي توجد عندنا نحن الباقيين على قيد الحياة". إن خاتمة الجملة الأكثر بلاغةً، تُطيل الفكرة عينها بتمفصّلها بفضل تقابل العبارات: "ولن تجعلوني أخلط ، لصالح احتفال ما، الأموات الذين أُعجب بهم مع الذين لا أُعجب بهم". والسياق "لصالح احتفال ما يُثبت الاستخفاف التهكمي الذي يصور عن الخطيب بشأن الشكليات التي تشعر بالتحضير.

يُشدد "هكتور" بقوّة على اعتراضه الأساسي: "تبدو لي الحرب الوصفة الأكثر دناءة والأكثر جيناً للتساوي بين البشر". في الواقع، ضم جميع الذين استسلموا لاحترام واحد مألهوف يعود إلى عدم التمييز بين الاستحقاق وعدم الاستحقاق، لكن "الوصفّة" (الكلمة المُبتذلة طوعاً، تُذكّر بالطرق المستعملة في الاقتصاد المنزلي) "منفرّة" لأنها تستخف بالقيم الحقيقية، وهي "خبثة" تكونها باسم آراء كاذبة تقيم هذه المساواة المثيرة للسخرية. كذلك، باسم أسباب سيئة تَدْعِي إقرار الموت: "فليس الموت عبارة عن تطهير ولا تكثير بالنسبة للضعف، ولا مكافأة بالنسبة للبطل"، لأن الضعف والبطل القتيلين غائران هما الاثنان في عدم واحد. فالحرب إذاً ليست سوى احتمال

بروح صحيته الشجعان والضعفاء على نمطٍ واحد. كذلك، في مناجاة أخيرة، يتوجه "هِكْتُورْ" إليهم جميعاً من دون تمييز (أياً كنتم)، مُفصلاً بدقةً عديمة الشفقة، مُؤكدةً بتكرار الصميم "أنتم"، كافة التضحيات التي تفرضها فكرة الموت: "أنتم الغائبين، أنتم غير الموجودين، أنتم المنسَيin أنتم البطلان، أنتم عديمي الراحة، عديمي الوجود". (هذه الكلمة الأخيرة دافعة على نحو خاص في عريها) ولا تشغاله بالعدالة، "يُدرك" أن واجبه، في اللحظة التي يفرض فيها وفق الاستعمال القديم عند عودة السلم، أن "تغلق أبواب" هيكل الحرب، ليس الإشادة اصطلاحاً ببطولة المفقودين في خطاب مُفحّم ومُفرغ؛ بل تبرير "الفارّين الباقيين على قيد الحياة": فقد قصرّوا تجاه الشرف وارتکبوا "اختلاساً" حقيقياً بالاستئثار لصالحهم بـ"الخيرين" اللذين يعرّفان الحياة بالتعارض مع البرد وظلمات الموت: الحرارة والفضاء". هاتان الكلمتان اللتان يملأهما "الألق" و"الرنين" ، تنبثقان أخيراً من فترة تؤدي بعلم وتقضي وتذكر أن بلازمة الأبطال اليونانيين المأساويين الذين، وهم على وشك الموت، يعبرون عن تعلقهم بالحياة التي سيغادرونها بتوجيهه وداع مؤثراً إلى ألق النهار وإلى ضوء الشمس الدافئ.

الخاتمة

هذه الخطبة إلى الأموات مفعمة بعزّة نفس سخية وجسورة. وـ"جيرورو" لا يكتفي بكلمات ولا بأسباب شاعرية، إنه يكره الحرب وينشر كافة موارد فكره ليُفني ببعضة جمل، على لسان الشخصية التي يخللها السحر المصطنع الذي زينتها به حماقة البشر. واللجوء إلى التخييل القديم يسمح له بعرض الحقائق التي، في إطار حديث، تخاطر بأن تصريح مهدمة.

إن أسلوب الخطبة يطابق خطورة الموضوع. الجمل، الموجزة أولاً والجافة، تأخذ تدريجياً مزيداً من السعة، وفي الوقت عينه تسمع صوتاً أقوى. إن "جيرودو" لا يقوى هنا التَّكَلُّفَ، ولا محسناتِ اللغة، إنه يسعى إلى مؤثر مباشر وبلغ بذلك صفة التأثير الأعلى.

الشعر

- قصائد للشاعرة الألبانية أدلينا ماما جي ت: عبد اللطيف الأرناؤوط

- قصيدةتان شارل بودلير ت: علي مولانا نعسان

قصائد للشاعرة الألبانية

أَدْلِيْنَا ماما جي

Adelina Mamagi

تقديم وترجمة: عيد اللطيف الأرناؤوط

«أدلينا ماما جي» شاعرة ألبانية معاصرة ولدت عام 1931 وقد ظهرت البوادر الأولى الأدبية أثناء دراستها الثانوية. ومن ثم اختصت في اللغة والأدب. لقد تأثرت الشاعرة «أدلينا» بباسи الحروب في ألبانيا واشتركت مع الفتيات المناضلات أثناء تحرير بلادها، ويلمس القارئ أثناء قراءة قصائدها المشاعر القلقة.. والأحساس البطولية وهي تخاطب نساء ورجال الثورة، كانت رقيقة الشعور زاخرة بالأمال التي توج في عتبة مستقبل الجيل القادم.

كتبت قصائد وأشعار عدة، وكان نتاجها تعبرًا أصيلاً عن خلجان نفسها.. وتلاحمًا قوياً مع الإنسان والحياة.

لكن بسبب ميلها الشديد، وحبها الكبير للأطفال انعكفت في السنوات الأخيرة لكتاب أشعاراً وقصصاً للأطفال، ثم تسلّمت إدارة مجلة الطفولة التي تصدر في ألبانيا. وما زالت الشاعرة «أدلينا» تبعث من أوتار فوادها أحاناً تترافق مع خيوط نظارات الأطفال البريئة، وتنتشي مع أنوار أمانיהם السامية في آفاق تعانق الأرض والسماء.

ونقدم فيما يأتي بعضًا من شعرها :

١ - الريشة

حلت الذكرى بلا دعوة
دخيلة إلى وليمة ..
و أمسك الريشة
التي عادت بي إلى أيام صباي

* * *

إلى تلك المدرسة ذات الصفين
نصفها دمرته القنابل
في حرب ضروس لا هوادة فيها
حتى ازدهرت القبور

* * *

لقد رأيت «ما مزال» يلفعها الضباب
بعينين لامعتين كمامتين ..
وعلى شفتيها ابتسامة .. تعلمني ..
كيف أمسك الريشة

* * *

صديقتين على المقعد نفسه
خرجت من ضباب الذكريات
لم أرها منذ زمن طويل
لقد غرقت في زوايا النسيان

* * *

أنا متأكدة أنك بعيدة عنِي
يا صديقتي في هذه اللحظات..
إنك لاشك..
تمنحين السعادة أين كنت..!!

* * *

كبرنا معاً..
هي شابة.. ونحن مازلنا صغاريًّا
ننتظر الأعوام فرحين..
ويزداد جمالنا وبهاؤنا..

* * *

لمحت فصول الشتاء والخريف .. و.....
وشاهدت الثلوج .. وقد غطى الأرض
والدم الذي جمد في شرايينك
حتى يداي لم تقويا على حمل الريشة

* * *

لم يعد لنا ثياب
ولا جوارب مرقعة ..
وليس من السهل إعادة صنع الأشياء
حين تمر الحرب من هنا ..

* * *

حتى الخبر قد ينقصنا
ولا أهمية لذلك
فنحن نحيا بالحرية فقط
ومن أجلها نكافح ونناضل
واستشهاد منا أبطال وشجعان.

* * *

وحين كنا صغاريًّا
عراة في ثياب رثة
عضننا الجوع..
ولم نتألم.. ولم نتأفف

* * *

و حول نار المقاتلين
كان الرواد يحكون لنا
لن يشعر أبناءنا
ما أحسسنا به في تلك السنين..

* * *

كنا نبكي بجانب أمهاطنا
أيام الحرب القاسية
حيث نستغيث بالآلهة..
ونطلب نجدة السماء

* * *

و بما أننا.. أبناء النيران..

لن نحس بنشوة أغرودة طائر

لن نسمع إلا نداء التأهب

يوقظنا ليلاً ونحن نرتجف

* * *

رأينا بيوتنا وقد أصبحت رماداً

رأينا أمهاطنا المحتضرات على الأرض..

الشوارع المغسولة بالدماء

و قلوبنا غدت صلبة.

* * *

حينذاك جفينا الدموع..

و تجمدت فينا كل عاطفة..

و ستندب آباءنا وأمهاتنا..

حين يرفل وطننا ببهجة الحرية

* * *

أيها الزمن السعيد
لماذا تفجرت في قلبي
الأحزان والأفراح..
لماذا تذكّرني..
بذكرياتي المنصرمة.

* * *

هاهي ذكرياتي محطمة..
في ساحات الحروب.. في أرض الثلوج
حيث ارتفعت فيها عملقة..
بيوت العمال.. والمناضلين..

* * *

يا لحياتنا الخلوة
يا أعجوبة سعادتنا
إنها أقوى من العواطف..
وأنسخ من السيلول..
إنها تضارع الربيع بجمالها

تأتي حاملة إلى أوطانا
الشمس المشرقة الندية ..
النسيم العليل .. وتغاريد العصافير

* * *

هي ذي الحياة تحو كل شيء
تشيد قرناً في مدة خمس عشرة سنة ..
- ريشة .. لا شيء غيرها ..
جعلتني أحيا حياة الأمس ...

* * *

2- القلوب الثائرة

هن لسن نساء عاديات
بل عيون تبرق باللازورد
أحلام قديمة... تبعث الفتنة..
أفكار معجونة بمبادئنا.. تحبب النضال..

* * *

هن اللواتي عشن بلا تذمر
أحسسن بالضغط المرهق..
هؤلاء النساء... مع رجالهن..
قاموا جميعاً بدعم ثورتنا..

* * *

هن اللواتي شذبن بكل عزيمتهن ..
أعشاب العادات البالية
لقد كن بالأمس عابسات
وأصبحن اليوم .. عصافير مرحة ..
حتى دهشت الصخور بنهضتهن .

* * *

عندما رنت الجبال إليهن
اهتزت قممها
وتملك السنون العجب منها
لأنهم لم يشاهدوا أبداً في حياتهم
مثل هذا الانطلاق ...

* * *

في القرية .. ذات الصخور المعلقة
كانت المرأة معلقة مثلها في اللانهاية ..
وبدت اليوم - مشرقة باسمة -
تطلق أفكارها .. وتبدي آراءها ..

* * *

حرثت الأرض مع غيرها
ردمت المستنقعات القديمة
نقلت الأحجار مع رفاقها
تألمت من وطأة الأئقال.

* * *

قالت بنات الجبال :
لنزلْ عهد بيعنا كالعيبد
كنا قرابين تقاليد الأسرة
لا .. لسنا أيتها الأخوات ..
قطعة ثمينة ذهبية
تعلق على جدار البيت ..

* * *

قالت إحداهن :
إيماني بالثورة
بمنزلة إيماني بوالدي
أؤمن بالثورة
أكثر من إيماني بأمي

وإنني سأنفصل عنهما يوماً ما
ولكنني لن أنفصل عن الثورة
إنها ستبقى في أعماقي إلى الأبد

* * *

هذه واحدة منا..
قد رمت فستانها بعيداً عنها..
وارتدت بزة العمل
وغدت في الإنتاج ناراً حامية
غمرت البلاد كلها..

* * *

تحية إلى النساء المناضلات
تحية صادرة من العاملات الخالدات
تحية ربيع الوطن..
مع أحلام الأرض
التي استعادت شبابها

* * *

3 – شعاع أنت

أمس.. غفوت على أرض السجين
ومدينة «جيرو كاسترا» كانت على حجر
وغدا جسمك المعدب جرحاً فاغراً
إن قلب «المدينة» كان ينتحب

* * *

لقد نفذت إلى القلوب كشعاع
انسل فجأة.. لينشر الضياء في الظلام
كان صمودك يؤجج لهيب مبادئنا
كنت تتنقلين في الغابة.. كأنشودة حرة

* * *

وكنشيد حر. تجتازين الطرق
تحاشين الدوريات الثقيلة..
ويوسرك أن تجدي في كل بيت
ما يساور الأمهات من هموم

* * *

ترفين على ارض جرداء
وجروح جسده تنزف .. مقيدة بالسلاسل
لكنك بقيت صامدة .. صابرة.
دون وهن .. كصخرة الشاطئ

* * *

بكتك «ألبانيا» كلها
إنها تفتخر بك يا «بوله»
 فهي التي وهبتك الشجاعة
ولن ترهبي الخونه .. ولو أوثقت يدك
إنك ستبددين أحلامهم بنظراتك الملتهبة

* * *

من قال : إنهم أعدموك في ساحة عامة
من قال : إنهم حملوك بالسلاسل والقيود
إنك تستطعين كشاعر
على أرض وطنك التي أحبتها ..

* * *

قصيدتان

شارل بودلير

ترجمة: علي مولانا نعسان

الشعلة الحية

تسعى أمامي هذه العيون المفعمة بالأنوار ،
في مَغْنَطِتها دون شكٍ كملاكٍ بارع الإدراز .
ويضي هؤلاء الأخوة الذين هم إخوتي بفكرة سماوية
لتحرير عيني من نير انها الماسية ،
 وإنقاذي من كل فخٍ و من كل خطيبة قوية
إنهم يقودون خطواتي على طريق الجمال ؛
هم خدامِي ، وأنا عبدُهم ؛
فكيناني كُلُّه يتبع هذه الشعلة الحية .

إنك ، أيتها العيون الفاتنة ، تأتلقين بالشفافية الصوفية
التي تحظى في وضح النهار بحرقة الشموع العسلية ،
فالشمس تحرّر خجلاً لكن شعلتها عجيبة وهمية ؛
تحتفي الآخريات بالموت ، وأنتن تقرّطن اليقظة ؛
وتسعين مهلاً بالغناء لصحوة روحية ،
فلا تستطيع أية شمس أن تهتك شعلة النجوم الحية !

نشيد للجمال

أقادمْ أنتَ منْ عميقِ السماءِ أمْ مِنْ هاويةٍ سحيبةٍ ،
أيا جمالُ ! طرفك من ذات إلهية ومن جهنم صفيقة
يكبُّ الخيرَ والجريمةَ بارتباكْ
ولذا فهو مثلَ الخمورِ العتيقة .

تحملُ في عينيكَ انكسارَ الغروبِ ومطلعَ الفجرِ
وتسكبُ عطوراً مبعثرةً كمساءٍ عاصفٍ بخزِّ
قبلاتكِ إكسيرٌ حبٌّ وفمكَ جرةٌ عبةٌ
فتجعلُ البطلَ جاناً والطفلَ شجاعاً .

أمِنْ هاويةٍ سوداءَ تخرجُ أمْ تنزلُ من الكواكب؟
مصيرٌ جاذبٌ يتبعُ تنانيركَ الداخلية كما الكلاب
ترزعُ السعدَ والبلايا بلا تبصر ،
و كل شيءٍ تحكمهُ ولا تجحبُ على أمر .

أنتَ يا جمالٌ تمشي على الرُّفَاتِ التي تهزاً بها
والرُّعبُ ليس الأقل سحراً من مجوهراتكِ الأبهة
والقتلُ من أبهى الحليّ الغاليةِ عندكَ

فيرقص مُختالاً بتوله على بطنه
 وأليف اليوم الزائل يطير مبهوراً نحوك يا شمعة
 يطفق ، يتلظى وهو يقول : فلنبارك هذه الشعلة !
 فالعاشق اللاهث المتلوي في حضن حبيته الجميلة
 يبدو مثل رجل محضر يداعب قبره .
 أكنت مقبلاً من السماء أو الجحيم ، أيًا كان ،
 أيًا جمال ! أو حش ضخم أنت ، أم خيف أم ساذج !
 إن توعز بعينيك ، بابتسماتك ، بقدمك ، فاتحالي الباب
 على الحب بلا حدود فصاحب وكأنّي ما عرفت مثله أبداً ؟
 أمّن نور الله أنت أم من شيطان - لا ضير ؟ - أملاك أم جني بحر
 أي فرق إذا ما قيلت - يا جنا محملي العينين
 أيها الإيقاع ، أيها العطر ، أيها الوميض ، يا مليك جناني -
 هل الكون يمضي بأقل شناعة و اللحظات بأخف ثقل في الميزان ؟

* * *

القصة

- ماهش.....ساراشاندرا تشارجي.... ت : زهير ناجي
- الصديقةMari Lafin ت: مهاب جبوج

ماهش

قصة للروائي الهندي البنغالي سارا تساندرا تشاترجي

(1938-1876)

ترجمة: زهير ناجي*

تقديم :

الأدب الهندي البنغالي: يعد النقاد ومؤرخو الأدب الهندي المكتوب بلغات الهند المختلفة الأدب البنغالي الحديث أغنى الآداب الحديثة في الهند وأقدمها نشأة وأكثراها أهمية، فقد ولد هذا الأدب وازدهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحت تأثير التغيرات الهائلة التي حدثت في الهند بعد دخولها، كما حدث في العالم كله، في إطار النظماء الكولونيالي ثم الإمبريالي اللذين أدخلوا الهند في إطار العلاقات الرأسمالية وما نتج عنها من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية وأهمها ولادة الطبقة البورجوازية الهندية الجديدة.

كان المستعمرون الإنكليز بحاجة للسيطرة على الهند إلى جيش من الكتبة الخانعين المدجنين زهيدي الأجور فأنشئوا المدارس والكليات... وهكذا نشأت الطبقة الوسطى المتعلمة تعليماً غربياً حديثاً والمتأثرة بالتيارات الفكرية الغربية..

* مترجم من سورية.

كانت الهند كما يقول المعلم نهرو في كتابه لمحات من تاريخ العالم تعيش تحت سيطرة آلة ضخمة جشعة تعصر وتسحق الملايين من البنود. هذه الآلة الهائلة هي الاستعمار الجديد الذي ولده رأس المال الصناعي...لقد أنعش الانكليز الطبقة الإقطاعية المشرفة على المالك فقاموا بخلق أصحاب الإقطاع الجدد وناصروا مئات الحكام المستقلين في نظامهم الإقطاعي...كما ساعد الحكم البريطاني على إثارة الرجعية الدينية وجعل كلا من الهندوكية والإسلام في الهند أكثر تطرفًاً وشدة...وهكذا تحالف البريطانيون مع جميع العناصر الرجعية والمحافظة في الهند وحاولوا جعل الهند مجرد بلد زراعي منتج للمواد الخام...وقضوا على التجارة الهندية وجمموا تطور الصناعة.. وفتحوا أبواب التعليم من أجل هدف واحد هو إنتاج الكتبة (ص 117 - 124)

ضد هذا الاضطهاد والعنف الخارجي الانكليزي والداخلي ، تلك الطبقة الرجعية ، قام القسم الأصغر عدداً والأكثر وعيًا من أبناء هذه الطبقة الوسطى بتأسيس حزب المؤتمر الهندي عام 1855 الذي ضم المتعلمين المترورين هندوساً ومسلمين ، وسيخاً وبوذين هكذا بدأ عصر التنشير الهندي عصر اليقظة القومية الذي حاول تغيير الهند بوسائل مختلفة ؛ وهكذا نشأ الأدب الهندي الحديث الذي كان وسيلة من وسائل الكفاح للتحرر القومي. رفض هذا الأدب الأفكار الظلامية وحارب الخرافات ورفض النظام الظبياني والعادات البالية ودعا إلى التسامح ونبذ التعصب الديني ودعا إلى اقتباس الحضارة الغربية ، وقابل أدباء حضارة الغرب الرأسمالي الجشع بحضارة ذات طابع إنساني ، وأدركوا أن مستقبل الهند يتوقف على تطلع الهند إلى المستقبل كما عبر عن ذلك المعلم نهرو في رسالته إلى ابنته من زنزانته عام 1933 في سجن نيني حين قال "اليوم لا مجال لدينا لنفكر بالماضي لأن المستقبل يملأ رؤوسنا"

من هذه الطبقة الوسطى المستبررة نشأ أدباء الهند الحديثة : مناضلوها وكتابها وشعراؤها وروائيوها ومؤرخوها .

الروائي البنغالي ساراتشاندرا تشارجي (1876-1938)

ولد الروائي ساراتشاندرا تشارجي في إحدى قرى البنغال لعائلة بrahamanية شعبية فقيرة خرج من منزله فاراً وعمره سبعة عشر عاماً ليضرب في الأرض هنا وهناك في مختلف أرجاء شرق القارة الهندية حيث عاش عيشة تشرد وبؤس ومغامرات غير عادية في صحبة أناس من مختلف الطبقات الاجتماعية ومن مختلف الديانات واللغات والأجناس. وظفته الإدارية الاستعمارية الانكليزية في بورما كاتباً في وظيفة إدارية صغيرة عام 1903 ظل فيها حتى عام 1913 اطلع خلالها على أساليب الإدارة الاستعمارية البريطانية الخبيثة في التفريق بين الناس وبين الشعوب وبين أتباع الديانات وفي استغلالهم ..

في بورما اكتشف موهبته الأدبية وقام بنشر بعض القصص القصيرة وصف فيها حياة الناس وروى احبطاتهم ويسأهم ..

في عام 1913 نشر روايته بيندور شهيله (ابن بيندور) التي لاقت نجاحاً واسعاً جعله يطمئن لموهبتـه...وتحت إلحاح الناشرين والقراء قرر احتراف الكتابة فاستقال من وظيفته وعاد إلى كالكوتا عاصمة البنغال مركز اليمونة الانكليزية على سياسة الهند واقتصادها وشارك في حركة اليقظة التنموية الهندية معبراً عن أفكارها ولاعباً دوراً سياسياً واجتماعياً فيها إلى جانب المهاجمان غاندي وجواهر لال نهرو وغيرهما من أقطاب حركة التحرير واليقظة القومية الهندية .

في كالكوتا التي كانت آنذاك أغنى مدن الهند وأكبرها ومركز السلطة السياسية والاقتصادية التي تحكم بالبلد عاش ساراتشاندرا وشاهد كيف تحكم الهند...البلد الذي يمكن من يعيش فيه أن يرى الهند كلها : السادة الانكليز أصحاب الأمر والنهي بأستقراطيتـهم البغيضة المنافقة المليئة بالتناقض ولكنها الخبيثة والذكية والصادمة ، الراجات ، الذين يفترض فيهم أنهم كانوا مستقلين ولكنهم كما يقول العظيم نهرو كانوا دون استقلال بالمرة وكانوا خداماً لمصالح الانكليز وأهم هذه المصالح هو استغلال الهند (ص 122)

لم تُرضِّ أفكاره الفئات الرجعية المتزمتة ولا البورجوازية البنغالية التي كانت تعيش حياة البورجوازية الانكليزية وفي خدمتها... إلا أنه كان سعيداً بتعاطف الجماهير المتحضرة والمضطهدة والمهمسة والمظلومة ... و" وبهذا الحنان والحب" ، كما يقول مترجم حياته وبعض روایاته بريتويندرا ماكرجي ، أصبح الناطق الرسمي المباشر لبوس البنغال وألام جماهيرها وبقرره من بؤس الشعب الهندي أصبحABA للرواية الهندية الحديثة " وأصبح مجدداً للغة البنغالية" كما قال عنه الشاعر الهندي الإنساني ذائع الصيت رابندرانات طاغور " إنه حين دخل الأسلوب السهل والماشـر لـكلام الناس العاديين إلى اللغة الأدبية فقد بـعث الحياة في اللغة البنـغالية ونـفـخ فيها حـيـوـيـة لم تـكـنـ مـعـروـفـةـ منـ قـبـلـ . إنـ أـكـبـرـ مـكـافـأـةـ يـتـمـنـاـهـاـ أـيـ روـائـيـ هيـ أـنـ يـتـمـكـنـ منـ اـمـتـلـاكـ قـلـوبـ قـرـائـهـ وـقـدـ فعلـ ذلكـ تـشـاتـرجـيـ .."

لقد أصبحت روایاته وقصصه التي أعيدت طباعتها مرات عديدة وانتشرت انتشاراً واسعاً مؤثرةً لا في البنغال فحسب؛ بل وفي الهند كلها، كما قامت صناعة السينما الهندية باقتباس عدد كبير منها، الأمر الذي برهن على الشعبية الواسعة لهذا الكاتب الكبير في شبه القارة الهندية وخارجها.

كتبَ هذا الروائي البنغالي عدداً كبيراً من المؤلفات ، منها سبع وثلاثون قصة وأربعُ وأربعون رواية ، إلى جانب عدد كبير من الأبحاث الاجتماعية والسياسية والرسائل وقد قامت دار نشر ساركار في كالكوتا بين عامي 1961 - 1964 بنشر مؤلفاته الكاملة في ثمانية مجلدات.

حول تعريب قصة "ماهش":

لنعرف منذ البداية بأن تعريب أو ترجمة عمل أدبي من لغة إلى لغة أخرى هو نوع من الخيانة للنص الأصلي ومن الخداع ، إلى حد ما لجمهور القراء... هذا إذا كان النقل مباشرةً من لغة إلى أخرى فكيف يكون الأمر إذا تعاورت الأيدي هذا النص بنقله من لغته الأم عبر لغة وسيطة ثانية؟

ذلك أتنا مهما كنا بارعين في التعریب فإننا لن نستطيع التعبير عن روح اللغة الأصلية ذلك أن لكل لغة روحها. نعم قد نستطيع أن نترجم الكلمات والجمل ولكن هل نستطيع أن نترجم روح اللغة الأصلية : نكھتها.... وطعمها... وجرسها... وإيماءاتها؟!!

كيف يمكن أن تكون صادقين في تعریب رواية قال عن أسلوبها بريتويندرا. ماکرجي : (إن روح الإبداع التي تميز بها رواية "ماھش" تستحق أن تحظى مكانة خاصة لا جدال فيها بين كل منتخبات النثر البنغالي) فهل يمكن للتعریب الذي قمنا به أن يعبر عن جمالية وإبداع هذا النثر المكتوب بلغة بنغالية نجهلها؟!!

لنعرف إذن بأن التعریب لن يكون أميناً للغة النص الأصلية مهما حاول المعرب ولكن هل يعني هذا أن نفتتن عن ترجمة أو تعریب روائع الأدب العالمي وبخاصة أدب البلدان التي نجهل لغتها التي غيبنا عنها طويلاً سيطرة أدب البلدان الرأسمالية المهيمنة؟ من دون أن ننكر أن الأدب الغربي هو أدب جدير مع ذلك بالاحترام لأن المترجمين والمغاربة الذين بدؤوا بترجمته منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر اختاروا لحسن الخط ترجمة خير ما في هذا الأدب..

من الطبيعي أن يكون جوابنا بالنفي ، فمن المعروف أن ترجمة الروايات الأوربية في عصر اليقظة العربية كان له الفضل في انتقال أدبنا أو أدبائنا من أدب الشكل : أدب البلاغة والبديع والبيان والطبق والجنس..أدب التلاعب بالكلمات ، إلى أدب يركز على المضمون ، على المحتوى...على الأفكار...بلغة عربية بسيطة وسليمة وسهلة وعذبة...صحيح أتنا لم نتدوّق عذوبة لغة "إميل" لروسو وذكاء وفطنه كنديد لفولتير وشاعرية لغة "بول وفرجيني" لبرناردان دوسان بير ولكننا اطلعنا كلنا وتدوّقنا مضمون هذا الأدب المكافح...والإنساني والمعبر عن بداية نهضة هذا العالم الرأسمالي..

وتعرّينا لقصة "ماھش" بالإضافة إلى إطلعنا على جانب من جوانب أدب قلماً كنا نعرف عنه شيئاً ، يطلعنا على أدب يمكن فهمه والإحساس به بصرف النظر عن تدوّق حلاوة النثر أو الغوص في فهم روح اللغة البنغالية الأصلية ذلك أتنا نشعر حين

نقرأ "ماهش" بالشعور الذي وصف فيه "ماكرجي" أدب هذا الروائي الذي تحدث عن "آلام أولئك الناس الذين لم يعرفوا كل حياتهم سوى أن يعطوا من دون أن يأخذوا.. أولئك الذين انتزع منهم كل شيء... أولئك المضطهدون والضعفاء الذين لم يفهموا أبداً أنهم رغم كل شيء ليس لهم الحق في أي شيء .. إن آلامهم هي التي جعلتني فصيحاً.. إنهم أولئك الذين دفعوا بي إلى إن أشكو ظلم الإنسان للإنسان لقد رأيت كيف تراكمت عليهم كل المظالم ومنها تطبيق عدالة الظالم... العدالة من دون عدالة ..
ألا نحس حين نقرأ هذه القصة بأن مؤلفها انتقد التعصب الديني وانتقد انتهاك حقوق الإنسان وانتقد نظام الطبقات الهندي وانتقد أولئك الذين استند إليهم الاستعمار الانكليزي لإذلال الهند واستعبادها؟!!

ألا نرى أن المهم في تعريبنا هو أفكار القصة وليس أسلوبها الأدبي؟
إذا شعرنا وأحسسنا بهذا كله فسيكون هذا مسوّغاً لنا للقيام بهذا التعريب
الىكم أيها السادة قصة "ماهش" ...

ماهش

كان اسم القرية (كاشي بور) كانت قرية صغيرة وكان سيد القرية ومالك أراضيها زمنداراً أصغر منها بكثير⁽¹⁾ إلا أن أحداً في القرية لم يكن يجرؤ على مواجهة هذا الطاغية أو يتفوّه بأية كلمة في حضوره... كان سلطانه الطاغي على القرية كلي الوجود، كان الزمندار وأصحابه قد انتهوا من الاحتفال بعيد ميلاد ابنته الصغرى، وكانت طقوس الاحتفال قد انتهت... وكان الكاهن تاركاراتنا⁽²⁾ في طريق عودته إلى منزله في عز الظهيرة في أواخر شهر أيار والسماء صافية لا أثر فيها لأية غيمة وكان السماء العقيم كانت تمطر حرارة خانقة..

أمام الكاهن كانت تمتد حتى الأفق البعيد حقول أحرقها الجفاف، وشققها كما لو كانت بطيخة صفراء، ودم الأرض يبدو كما لو كان ينبثق من ألف صدع على شكل أخيرة متوجة من اللهب يصبيك تصاعدتها بالدوران ويُشعّ في جسمك الخدر.

على أطراف الدرب الترابي كان يقوم منزل "غفور" الذي كان يعمل فيما مضى خياطاً⁽³⁾. كان الجدار الترابي الذي يحيط بكوхه قد تقوض منذ زمن بعيد وساحة كوخه لم تعد إلا جزءاً من الدرب المترقب منهكة عزلته أمام أعين المارة المستطلعة...

⁽¹⁾ الزمندار هو إقطاعي من طبقة الإقطاعيين الذين أوجدهم الانكليز بقانون عام 1793 حين ملكوا الأرض، التي كانت ملكاً للجماعات القروية في البنغال وبيهار واوريسا من تلك الحثلاثة من أبناء البلاد الذين ساعدوهم على إخضاع أهل البلاد فكانوا خداماً مطعّين للسياسة الاستعمارية الأنكليزية وكأنو من الأسباب المباشرة لدمار طبقة الفلاحين الهنود.

⁽²⁾ تاركاراتنا : لقب أكاديمي تقليدي يطلق على الفقهاء من علماء الدين مفسري أسفار الفيدا.

⁽³⁾ يشير الأديب هنا إلى تحول الحرفيين الهنود وبخاصة في مجال النسيج إلى فلاحين بعد أن دمر الانكليز صناعة النسيج الهندية.

توقف الكاهن هنا في ظل شجرة صارخاً بأعلى صوته.

- هو... هو... غفور... أنت الذي هناك.

أمام الباب ظهرت بنت صغيرة ذات أعوام عشرة.

- أتريد أبي؟ إنه يرقد في الكوخ وقد أخذته الحمى.

- رد الكاهن متهكمًا : محموم... محموم ابن الخنزير هذا... هذا السافل... هذا الكافر عديم الإيمان... هيا قولي له أن يأتي فوراً

خرج "غفور" من الكوخ وقد طرقت سمعه هذه الشتائم المقذعة.

قريباً من الجدار المتهدّم كان ثور يقف مربوطاً إلى أحد أغصان شجرة الأكاسيا أشار إليه الكاهن صارخاً ماذا أرى؟ نحن في قرية هندوسية وسيدنا زمندارها هو برهمان⁽¹⁾ لا تعرف هذا؟

كان وجه الكاهن الذي صبغته الشمس بالحمرة قد زاده الغضب حمرة على حمرة.

هل كان وجه هذا الرجل ينبيء بشيء آخر سوى بهذا الصراخ والتفوه بهذه الكلمات القاسية الشريرة؟!

لم يفهم "غفور" - تماماً سبب غضب الكاهن.. كان يتطلع إلى الكاهن فاغر الفم عاجزاً عن الكلام. استأنف الكاهن صراخه.

- صباحاً حين مررت من هنا كان الثور مربوطاً في مكانه هذا وهاؤنذا حين أعود إلى منزلي ظهراً أجده مربوطاً في المكان نفسه.

ماذا لو مات هذا الثور؟ سيدنك سيدنا الزمندار حياً... انه براهمان لا تعرف هذا هيه؟ أنت تعرف أن طبعه ليس بالسهل....؟

⁽¹⁾ براهمان هو رجل الدين الهندوسي ، ويشكل البراهمة أعلى طبقة من طبقات المجتمع الهندي ذات نفوذ لا يجاري وهم القيمون على تعاليم الديانة الهندوسية بتiarاتها المتعددة الواردة في أسفار الفيدا ، وهي من أقدم الأوابد الشعرية السنسكريتية منسوبة إلى براهما وفيها الصلوات والفرائض الدينية.

- ولكن ماذا يتوجب على فعله يا باباجي⁽¹⁾ وأنا في هذا الوضع المخرج الذي أنا فيه؟ أنا مريض منذ عدة أيام... فلم أتمكن من أخذ الثور إلى المرعى.. إنني مريض وأشعر بدور في رأسي ...

رد الكاهن بفظاظة

- اتركه إذن حراً دعه يذهب وحده إلى المرعى.

رد "غفور" باستكانة

- كيف اتركه يا باباجي (يا سيدنا) .. إن حصاد الأرز لم ينته بعد والمستودعات ما تزال مليئة... أشلام أطراف الحقول أحرقتها الحرارة وليس ثمة قبضة من العشب يأكلها... هنا سأأكل من علفنا... أما هناك فسيأكل من علف الآخرين.. أين اتركه يا باباجي؟

هدا الكاهن قليلاً ولكنه استأنف القول [وقد أربكته حجة "غفور"] مقترحاً :

- إذاً إذا كنت لا تستطيع تركه يرعى وحده فضعه في الظل مع حزمتين من العلف يجترهما. ألم تحضر لك ابنتك الصغيرة الطعام؟ أعط الثور إذاً ملء حفنة من ماء نقي الأرز برتشفها...

سكت "غفور" ولم ينطق بكلمة بينما كان يتأمل وجه الكاهن بأسى وقنوط ثم أطلق تنهيدة طويلة من صدره
استأنف الكاهن القول مماحكاً .

الله يعد لديك أيضاً الأرز؟ ماذا فعلت بتصنيك الذي أخذته من العلف؟ أبعته كلها؟ والنقود التي حصلت عليها ماذا فعلت بها؟ هل أنفقتها كلها؟... أليس لديك ولا ربيطة علف لتقديمها للثور؟ أيها الأحمق... أيها الجزار بلا قلب وبلا رحمة..

بدا "غفور" مسلولاً محبطاً وهو يسمع الكاهن يقرعه بهذا الشكل .

⁽¹⁾ بابو باباجي صيغة تستخدم في مخاطبة الناس الأعلى مرتبة وفي المجتمع الانكليوهندي كانت تطلق على الوجاهات الهنود من أبناء البورجوازية البنغالية ويلزّم أبناء الطبقات الأدنى بمخاطبة أبناء الطبقات الأعلى بها.

انتظر لحظة قبل أن يرد ببطء.

- لم أطلق يا ببابجي في هذا العام إلا القليل من حصتي من العلف...لقد اقتطع منها سيدنا الزمندار الجزء الأكبر سداداً لديوني لديه عن السنة الفائتة..لقد تضرعت له وبكيت وارقمت على قدميه أقبلهما كي لا يفعل هذا ، قلت له :

- يا معلم..أرجوك يا معلم...ألا تطردني من قطعة الأرض التي أعمل بها..أين يمكنني الذهاب بعيداً عن إقطاعك؟ أترك لي يا مولانا عدة ربطات من العلف..إنني بحاجة إليها لسقف بيتي...لا بأس..سأخلّي عن هذه الربطات أيضاً..لأنه لم يبق في كوخِي سوى غرفة واحدة..أنا لا أبالي بذلك فأنا وابنتي الصغيرة يمكننا أن نمضي فصل الأمطار في هذا الخص المحمي بجريدة النخيل..ولكن "ماهش" ي [ثوري [سيبي] من دون علف...]

رد الكاهن ساخراً ومستهزئاً ..

- انظروا...انظروا روعة "غفور" وعقريته لقد أطلق على ثوره اسم الرب الكبير ماها[إشا]⁽¹⁾ دعوني أضحك قليلاً؟؟؟

لم تبلغ هذه السخرية سمع "غفور" الذي تابع شكوكه :

- لم يشفق علي الخولي⁽²⁾ انه لم يعطني إلا عدة حفنات من الأرز لا تكاد تكفي لإطعامي أكثر من شهرين ؛ أما ما بقي من حقي من الحصول فقد وضعه في أهراء سيدنا الزمندار..

وهكذا لم يكن من نصيب "ماهش" ي (ثوري) إلا الفتات من العلف.
كان خيب خافت يصدر عن "غفور" ويقاد يخنق صوته ، ولكن الكاهن كان أبعد من الاستماع لغفور والاستجابة لمطلبـه ...

⁽¹⁾ ماهاريش وماهش اسم تحبب للثور. صيغة منها تطلق على الإله شيفا Shiva وهو اسم تحبب بنغالي يطلق على عدد من الأشخاص بصيغ مختلفة.

⁽²⁾ الخولي : ترجمة لكلمة *juge* التي وردت في النص وهي قد تعني القاضي أو المخمن المولج بقسمة الحصول (؟)

- ياله من حيوان.. إنه يعرف هنا كيف يطالب بما يأكله... أما هناك فإنه لا يعرف كيف يفهي بيديونه... وهل تظن بأن على زمندارنا أن يطعمك من حصته من المحسول؟ أنتم أيها الفلاحون الذين تسكنون في إقطاع زمندار طيب لا تفكرون إلا بالافتراء على سمعته والنمية عليه بالحق وبالباطل... رد "غفور" باستخدا:

- لم أنطق بأية كلمة سوء بمحقها يا باباجي .. لا أحد من الفلاحين يفترى عليه ولكن قل لي : كيف أدفع له؟ من أين لي بالمال؟ لم أحصل سوى على أربنت واحد من الأرض أعمل فيه مع عدد من الجيران والفالحين...وها قد مرت ستة من الجفاف ونباتات الأرض قد ماتت سيقانها الصغيرة قبل أن تنموا.. وليس لدينا أنا وابنتي الصغيرة ما يكفي لإطعامنا مرتين في اليوم... ثم انظر إلى كوخك إن علينا أثناء موسم الأمطار أن ننقوص أنا وطفلي الصغيرة في زاوية صغيرة من زوايا الكوخ ، لننام فيها ثم الق نظرة واحدة على "ماهش" ي إنه هزيل حتى إنه ليتمكنك أن تعد أضلاعه الظاهرة للعيان...أشفق على يا سيدى ، وأقرضنى ربطتين من العلف جرذتين فقط ، لأنستطيع أن أعطيه ما يسد رمقه..

- فجأة...جثا "غفور" على قدمي الكاهن الذي ارتد كنابض إلى الوراء صارخاً..
 - اذهب إلى الشيطان..كيف تجرؤ على لسي أيها الحيوان القذر⁽¹⁾
 - كلا يا سيدى .. لماذا أمسك؟ أنا لم أمسك أبداً...كل ما أردت فعله أن أتضرع إليك ، لتعطي "ماهش" ي عدة ربطات من العلف...لقد مررت بالأمس أمام أربعة من مصارب أرذه الكبيرة..أن عدة ربطات من العلف ليست بذات قيمة أمام ما يملكه مولانا الزمندار...إنها لا تمثل شيئاً بالنسبة لما لديه..لا بأس يا سيدى أن أموت أنا وابنتي من الجوع...ولكن "ماهش" ي ...ماهشى الذي لا يستطيع الكلام لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى أن يتطلع إليك و قطرات دمع كبيرة تساقط من عينيه رد الكاهن بفاظاته :

⁽¹⁾ إشارة انتقادية إلى أحد تعاليم الديانة الهندوسية التي قسمت المجتمع إلى أربع طبقات أدناها طبقة الباريا أو طبقة المبودين الذين يعدون في مجتمع ذلك الزمان نجسین وينجسون من يلمسونه.

- تريد مني أن أقرضك؟ حسناً قل لي كيف ستمكن من تسديد ديوني؟
 - كرر "غفور" متوسلاً وقد عاوده الأمل.
 - ستري يا باباجي كيف سأردها إليك...أعدك بذلك...لن أسرقك أبداً.....لن أسرقك أبداً.
 - باه...باه...رد الكاهن ساخراً! مقلداً لهجة "غفور" المتسللة..
 - لن أسرقك...لن أسرقك...أعدك !!اهي...هيـه يا صديقي الجميل..اذهب من هنا...انقلع أيها الحيوان الرنديق..

تمت الكاهن: الآن وقد تأخر الوقت علىَّ أن أعود إلى المنزل ، بعد أن خطأ الكاهن خطوتين..ارتدى غاضبًا..وابتسامة خبيثة ترسّم على شفتيه ...

- يا للشيطان ...يا للشيطان... إن الثور يهدبني بقرينه هل سيقرني بقرينه؟
 - نهض "غفور" ليり ما يجري
 - كان الكاهن يحمل رزمه ممتلئة بالفاكهة والأرز
 - قال "غفور" مشيراً إلى الرزمة التي يحملها الكاهن :
 - لقد تشمم "ماهش" ي ما في الرزمة ويريد أن يأكل منها من موزها وأرزاها
المبارك⁽¹⁾
 - ي يريد أن يأكل منها...يالك من فلاح....يا لك من ثور...إذا لم يكن لديه ما يأكله
فهل يريد أن يأكل من موزي وأرزي؟
 - أبعده عن الطريق..اذهب ..يا لقرونـه...يا إلهـي...في يوم من الأيام سـيقتل أحدـاً
ما بـقـرـونـه هـذـه.

انطلق الكاهن متعدداً فاراً بجبله وحمله الثمن.

استدار "غفور" نحو "ماهش"... وتأمله عدة لحظات... كانت عينا الحيوان السوداوين الغائرتين واللطيفتين محملتين بالألم والجوع.

⁽¹⁾ إشارة إلى أن الرزمة التي يحملها الكاهن قد جرت مباركتها في حفلة طقوس دينية.

خاطب "غفور" الحيوان:

- انه لم يعطني حتى قبضة واحدة من الطعام... انه يملك الكثير ومع ذلك فلم يعطني شيئاً علينا ألا نسامحه أبداً.
- وقف "غفور" ... مختنق الصوت والدموع تسيل من عينيه... اتجه نحو الحيوان وبدأ يربت على عنقه بحنان ماسحاً رأسه وظهره.. أخذ يددمد بصوت مخنوق مخاطباً الحيوان.

- "ماهش" ي...يا "ماهش" ي..أنت ولدي...كم كبرت خلال هذه السنوات الثمانية التي أمضيتها بصحبتي...كم عملت بجد لإطعامنا...وهاؤنذا الآن لا أستطيع أن أقدم إليك شيئاً تأكله...آه يا بني...انك تعلم مع ذلك كم أحبك ..
- ردًا على "غفور" مد "ماهش" عنقه وأغلق عينيه سعيداً ...
- تابع "غفور" دمدمته...ساكباً دموعه على ظهر الحيوان :

- هذا الزمندار...انتزع منك غذاءك الوحيد جبًا بالمال...لقد باع العلف في سوق المقبرة في هذه السنة الجدباء القاسية ، قل لي يا "ماهش" كيف أستطيع أن أحافظ بك ؟ لو تركتك حراً فانك ستضع خطرك في اجران الآخرين ، سوف تذهب لتأكل أشجار موز الفلاحين..أنا لا أعرف أبداً ما علي أن أفعله بك ...
- إنك ضعيف ولن يحبك أحد...طلبوها مني أن أذهب لأبعنك في المسلح.

دموع ساخنة سالت من عينيه حينما باح "غفور" بكلماته الأخيرة..
جفف "غفور" دموعه وانتزع قبضة من القش المسود الذي يغطي سطح الكوخ..
بعد أن تلفت خلسة جوار كوهه...عاد يضعها أمام "ماهش" هامساً بحنان:

- كل...كل بسرعة يا ولدي...و إلا.
- سمع صوت ابنته تناديه : يا بابا؟
- ماذَا يا حبيبي؟؟
- تعال كل...رددت أمينة وقد ظهرت أمام باب الكوخ...بعد أن راقبت والدها لحظة قصيرة قالت عاتبة :

- ها أنت قد اقتطعت القش من سقف الكوخ للمرة الثانية لطعم "ماهش" !!
 هذا ما كان "غفور" يخشاه... راح مسوّغاً فعلته وقد أحريجه تساؤل ابنته يقول
 معذراً:

إنها يا ابنتي قبضة من القش من قش السقف وهي ستسقط وحدها على كل
 حال..

- كلا... لقد سمعتك وأنت تنتزع قش السقف.
 - لم انتزعه تماماً يا ولدي.

- ولكنك تعرف بأن الجدار سوف ينهار يا بابا.

صمت "غفور" .. إنه يعرف ذلك أكثر من أي إنسان آخر... لم يبق في الكوخ سوى
 غرفة واحدة، وعما قريب إذا ما تابع انتزاع قبضات القش عنها، فلن يبقى لهذه الغرفة
 من وجود.. ولكن ماذا يمكنه أن يفعل غير هذا !!!!

- تعال كل يا والدي... لقد حضرت لك الرز.

- أولن تعطيني بعض ماء الأرض لأسقى "ماهش"؟

- لم يبق اليوم شيء من ماء الرز... لم يبق منه سوى ما يكفي لطبع الرز.

- لا ماء... ظل "غفور" (صامتاً).

ولكن الطفلة ذات السنين العشر كانت تعرف أنه بدا في هذه الأيام الصعبة..
 ضائعاً. تائهاً.

نهض "غفور" وعاد إلى الكوخ.... كانت هناك كمية من الرز الأبيض موضوعة في
 صحن من الفخار... وكانت أمينة تجلس أمام قدر.

تردد "غفور" .. ومن دون أن يجلس قال لابنته بهدوء:

- يا أمينة... لا أزال أحس بالبرد... هل من الصواب أن آكل وأنا محموم؟

- ولكن أمينة القلقة على صحة أبيها ردت قائلة:

- ولكنك قلت لي قبل قليل إنك تشعر بالجوع كثيراً.

- نعم لقد قلت ذلك من برهة...ربما لم أكن أشعر بالحمى حينها.
- ردت أمينة : لاحتفظ بطعمك هذا إلى المساء.
- ـ هز "غفور" رأسه قائلاً :
- ـ يا أمينة...إن الرز البارد سوف يؤجج الحمى.
- ـ ما العمل حينئذ يا أبي.
- ـ تظاهر "غفور" بالتفكير وكأنه وجد الحل راح يقول لابنته :
- ـ افعلي يا أمي الصغيرة ما سأقوله لك : أعط حصتي لماهش ... أو تفعلين ذلك من أجلي؟!!
- ـ ألا تستطيعين أن تسلقي لي قبضة من الرز آكلها مساء حينما تخفي عنني الحمى؟!!

حدجت أمينة والدها للحظة ثم ردت عليه بحركة عتاب : نعم يا بابا.
احمر وجه "غفور"...ربما كان هنالك شاهد على هذه الخدعة الصغيرة البريئة بين
هذا الأب وابنته الصغيرة شخص ثالث غير مرئي ولكنه كلي الوجود.

* *

بعد سبعة أيام من المرض...وقف "غفور" أمام باب كوخه قلقاً..لم يكن "ماهش"
هناك عند الفجر عندما رأت أمينة والدها يهم بالخروج خرجت من الكوخ لتفتش عن
الحيوان ، فتشت في كل مكان فلم تجده...و قبل أن يحل المساء عادت البنت منهكة إلى
الكوخ ، وبلهجة خاتمة راحت تقول لوالدها :

- يا والدي...لقد قبض آل غوش ghosh على ("ماهش"نا) وقد وادوه إلى الزريبة.
- لا لا يا ابنتي...ربما خدعوك من قال هذا.
- لا يا والدي لم يخدعني أحد...لقد همس خادمهم بأذني سراً: أطلبني من
والدك أن يذهب لتفتيش عن الحيوان في زريبة داريا بور.

- ولكن ماذا ارتكب "ماهش" بحقهم ؟
- لقد دخل إلى بستانهم وأتلف نباتاتهم وكسر بعض أشجارهم.
- بقي "غفور" جاماً ومخدراً تخيل كل الشرور التي يمكن أن تحدث ل Maher إلا أنه لم يخطر بباله أن يحدث مثل هذا الذي حدث.
- كان "غفور" إضافة إلى فقره ساذجاً فهو لم يكن يشك بأن أحداً من جيرانه قادر على أن يوجه إليه هذه الضربة، وبخاصة جاره مانيك غوش الذي كان ولاه لل Kahn مضرب المثل، كولاته تماماً واحترامه لجنس البقر.
- قالت الطفلة : يا بابا سيحل المساء قريباً ، ألن تذهب للبحث عن "ماهش"؟.
- رد الولد قائلاً : لا.
- ولكن يقال إن الثور الشارد سيعاود للمسلح في ظرف ثلاثة أيام من ضياعه.
- مثل بعضاه.
- لم تكن أمينة تعرف ما معنى الكلمة مسلح..إضافة إلى أنها كانت شاهداً على قلق والدها وعصبيته ، حين كان الجيران يتحدثونه عن اقياط "ماهش" إلى المسلح في هذا اليوم ، لم ينطق بكلمة ونهض واقفاً وخرج من كوخه مبكراً ليتجنب شرح ما سيفعله لابنته.

في عتمة الليل ذهب خلسة إلى دكان "بانشي" وحاطبه مباشرة من دون مقدمات :

- يا عم "بانشي" أرجوك أن تقرضني روبيه لقاء رهن هذا...ومد له قصعته النحاسية التي لم يعد يملك غيرها.

كان العم "بانشي" يعرف جيداً وزن هذه القطعة النحاسية ، ويعرف سعرها ذلك أنه كان خلال العامين الأخيرين ، قد رهن قصعة "غفور" أكثر من خمس مرات مقابل روبيه واحدة ، وفي هذه المرة لم يعرض على قبول الراهنة.

في صبيحة اليوم التالي كان "ماهش" واقفاً في مكانه مربوطاً بالشجرة نفسها وبالحبل نفسه.... وأمام المعلم الفارغ نفسه... بعينيه نفسيهما وبنظراتهما السوداويتين العميقتين الجائعة والخونية دائماً.

أمام "ماهش" كان يقف رجل عجوز مسلم يتفحص الثور بعينيه الخبيثتين...، بينما كان "غفور" يجلس مقرضاً ساكناً لا ينبع بنت شفة قريباً من ثوره. انتهى الشاري من تفحص الثور، ثم فك العجوز كمره وأخرج منه ورقة عشر روبيات مسدّها وربت عليها بخنان قال مقترباً من "غفور".

- خذ يا "غفور" ورقة الروبيات العشر هذه..إنها أكثر من سعر الثور..احتفظ مع ذلك بالباقي.

- أخذ "غفور" ورقة النقود من دون أن يتحرك من مكانه وظل مقعياً، جاماً في مكانه صامتاً إلا أنه حين اقترب رفique الشاري العجوز، ليقتادا الثور... هب "غفور" واقفاً مندفعاً مزجراً بصوت مهدد - اسمعاً تركا الحبل فوراً أقول لكم لا تلمساه. ارتد الرجل قافزين أما الشاري العجوز فقد سأله مدھوشًا: ولكن لماذا؟ وبصوت مشحون بالغضب رد "غفور":

تسأل لماذا ؟ الثور ثوري وأنا أرفض بيعه....هذا كل شيء...انه يسعدني ألا أبيعه
هذا كل شيء...رمي "غفور" في وجه الشاري ورقة النقد...

- ولكنك بالأمس كنت قد قبلت الرعبون الذي أعطيتك إياه.
رد "غفور" رامياً روبيتي الرعبون.

- خذ...إليك أيضا المال الذى أعطيتني إياه بالأمس.

ظناً من الشاري العجوز أن "غفور" يريد مساومة جديدة على سعر الثور
اقترب العجوز من "غفور" وعله شفتيه اتسامة مفعولة مقدماً سعاً حديداً للثورة

- آه....آه فهمت عليك ، أنت تبد أن تبتنا بـ بادرة رـ وستن عـلـمـ السـعـ ... انتظـ

لنعطي إذا ابنته الصغيرة روبيتين آخرتين تشتري بهما السكاكر، هل يرضيك هذا؟
رد "غفور" رد حازما : لا.

- ولكنك تعرف بأنه مهما كانت الظروف ، فلنعطيك أي شارِ غيرنا فلساً واحداً : بادرة عما دفعناه أنت تعف عن هذا ؟

- لا ... رد "غفور" هازاً رأسه بحزم وتصميم.

- رد الشاري العجوز على "غفور" بسخط وهو يهز رأسه بقوة وحزم.. لا؟.... أعرف أنه ليس في هذا الثور شيء له قيمة سوى جلده، وما عدا ذلك فليس فيه ما يساوي فلساً واحداً هذه هي الحقيقة...
- شتائم مقدعة انفلتت فجأة من فم "غفور"... وبطরفة عين كان قد اختفى داخل كوكبه.

ومن هناك بدأ يهدد الشاريين بأنه سيجلب أعون الزمندار الذين سيجبرونهم برفسات الأقدام على الانسحاب، إذا لم يغادروا القرية فوراً⁽¹⁾، وفي الفوضى التي تلت اختفى التجار.

بعد فترة استدعى "غفور" للممثل أمام حضرة الزمندار... عرف "غفور" عندها أن هذا الأخير قد أصبح على علم ب مجريات الأحداث. في مجلس الزمندار كان يوجد بعض بورجوazi المدينة وبعض الفلاحين.

عنف السيد شيبو الزمندار المتهם بنظرية قاسية :

- غفور.. إنني لم أجد حتى الآن العقاب الذي يناسب جرمك.. أنت تجهل أين تعيش؟ (إشارة إلى أنه مسلم يعيش في قرية هندوسية).
- رد "غفور" ويداه مضمومتان.
- إنني أعرف.... ولكن لم يبق عندي شيء آخر.. ولو لا ذلك لكتبت دفعت كل الديون والغرامات التي تريدها.
- كانت الفضيحة قد انتشرت وعرفها الناس... وكانوا يعرفون أنهم أمام رجل عنيد ذي طباع فظة.

تضرب "غفور" وهو على وشك البكاء.

- بابو (يا سيدنا) لن أكررها ثانية أبداً صفع "غفور" نفسه وزحف، ووجهه إلى الأرض من طرف ساحة المجلس إلى طرفها الآخر، سامح شيبو بابو "غفور" على ذنبه ولكنه أضاف بلهجة حازمة.

⁽¹⁾ تحريم بعض الفرق الهندوسية إيزاء أي كائن حي ، كما تعد بعضها الثور المقدس من الآلهة الهندية ومن أهم أسباب الاضطرابات في الهند عدم احترام المسلمين لقادسية الثور.

- حسناً...حسناً عليك ألا تعيدها أبداً.

أبدى المجلس إعجابه بهذا القرار الحكيم الذي نطق به السيد...ولم يكن أحد من الحاضرين في المجلس يشك بأن هذا المذنب الكبير لن يخضع لهذا القرار إلا نتيجة للتأثير المقدس للزمندار.

والكافن التاراكارانتا الذي كان هناك بدأ يشرح للحضور قيمة الماشية وقداستها، (مستشهاداً بالنصوص الدينية) وأنهى الكافن كلمته بقوله : إنه لا يجب أبداً السماح لـإنسان غير هندوسي بأن يعيش في قرية هندوسية.

وافق "غفور" صامتاً على كل الإدانات القاطعة بمحقده وعاد إلى كوخه خلي البال ذاهباً قبل ذلك إلى أحد جيرانه، ليقترض ماء الرز. بعد عودته توقف أمام "ماهش" ماسحاً ظهره مربتاً على رأسه وقرنيه ساكباً في أذنه ألف وعد ووعد..

* *

ها هو شهر حزيران يكاد ينصرم.. ومن لم يكن شاهداً على تلك الوحشية الرهيبة التي أظهرتها الطبيعة منذ شهر أيار/مايو، لا يمكنه أن يتصور القسوة المدمرة التي لا ذرة من الرحمة فيها، كان يبدو للناس أنه من المستحيل التصور، بأن هذه النار التي تسكبها السماء الملتئبة لن تنتهي أبداً، وأنها ستستمر وستستمر إلى الأبد إلى أن تبيد الخلقة.

في أحد أيام حزيران هذه وعند الظهيرة، عاد "غفور" إلى كوخه، ولم يكن من عادته الذهاب لحراثة أرض الآخرين...كانت الحمى التي أصابته قد زالت منذ أربعة أو خمسة أيام ، ولكنه يشعر بأنه لا يزال تعباً وضعيفاً...ومع ذلك فقد ذهب باحثاً عن عمل، إلا أنه لم يوفق ، إلى ذلك كان يرى أنه إذا لم يكن يتالم ، وهو يعمل تحت أشعة هذه الشمس (القاسية) ، فإنه كان على وشك الانهيار تحت تأثير الجوع والعطش والتعب. حين وصل إلى ساحة كوخه نادي ابنته :

- هل جهزت طبق الرز يا أمينة ؟

خرجت أمينة على مهلها من الكوخ ، وقفـت صامتة مستندة إلى عضادة الباب ، أغضـب صـمتـها هـذا "غـفـور" فـسـأـلـها : هل الرـزـ جـاهـزـ؟ ماـذـاـ؟ أـلمـ تـجهـزـيـ الطـعـامـ؟ وـمـلـاـذاـ؟

- لم يعد عندنا أرز يا أبي.

- لم يعد عندنا أرز؟ لم تقولـي هـذا منـذ الصـبـاحـ؟

- ردـتـ أمـيـنةـ : ولـكـنيـ قـلـتـ لـكـ هـذـاـ الـبـارـحةـ مـسـاءـ.

مـقـلـدـاـ صـوتـ اـبـنـتـهـ وـمـقـطـبـاـ وـجـهـ رـاحـ "غـفـورـ" يـصـرـخـ :

قلـتـ لـكـ الـبـارـحةـ ... قـلـتـ لـكـ الـبـارـحةـ ... وـلـكـنـ كـيـفـ يـكـنـ ليـ أـتـذـكـرـ ماـقـيلـ ؟! ليـ؟!

كان صـوتـ اـبـتـهـ المـبـحـوـجـ قدـ ضـاعـفـ منـ غـضـبـهـ فـقطـبـ وـجـهـ بـصـورـةـ أـكـثـرـ
بـشـاعـةـ... صـارـخـاـ :

- الأـرـزـ ، كانتـ هـذـهـ الـبـائـسـةـ تـلـتـهـمـ الأـرـزـ أـرـبـعـ أوـ خـمـسـ مـرـاتـ فيـ الـيـوـمـ ، منـ
دونـ أـنـ تـهـمـ فـيـماـ إـذـاـ كانـ قـدـ بـقـىـ مـنـهـ شـيـءـ لـوـالـدـهـاـ أـمـ لـمـ يـبـقـ... مـنـ الـآنـ وـصـاعـداـ
سـأـضـعـ الرـزـ فيـ حـرـزـ أـمـينـ قـبـلـ أـنـ أـخـرـجـ !!

هـاتـيـ كـوبـ مـاءـ... كـادـ العـطـشـ يـقـتـلـنـيـ ماـذـاـ؟ حـتـىـ المـاءـ لـاـ تـوـجـدـ مـنـهـ وـلـاـ قـطـرـةـ؟
ظـلـتـ أمـيـنةـ صـامتـةـ خـافـضـةـ بـصـرـهـاـ إـلـىـ الـأـرـضـ حـزـينـةـ النـظـرـاتـ. بـعـدـ زـمـنـ... وـقـدـ
تـأـكـدـ أـنـهـ لـاـ تـوـجـدـ حـتـىـ قـطـرـةـ مـاءـ وـاحـدـةـ فـقـدـ "غـفـورـ" سـيـطـرـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ رـكـضـ نـخـوـهـاـ
وـصـفـعـهـاـ عـلـىـ خـدـهـاـ صـفـعـةـ مـدـوـيـةـ صـارـخـاـ :

- أـيـتـهـاـ الـحـمـقـاءـ ماـذـاـ كـنـتـ تـفـعـلـيـنـ طـيـلـةـ النـهـارـ؟ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـوـتـونـ عـطـشاـً
وـيـكـنـ أـنـ تـوـتـيـ أـنـتـ أـيـضاـ.

وـدـونـ أـنـ تـرـدـ الـبـنـتـ بـأـيـةـ كـلـمـةـ ، حـمـلـتـ الـجـرـةـ الصـغـيـرـةـ وـانـطـلـقـتـ لـتـجـلـبـ المـاءـ تـحـتـ
أـشـعـةـ السـمـسـ الـحـتـرـقـةـ ، وـمـاـ أـنـ اـخـفـتـ الـبـنـتـ عـنـ نـاظـرـيـهـ حـتـىـ شـعـرـ بـغـصـةـ نـدـمـ جـارـفـ
تـطـبـقـ عـلـىـ صـدـرـهـ.

كم من العقبات والصعوبات واجه ليتمكن من تربية هذه الطفلة بعد موت أمها قد يجهلها الآخرون ولا يشعرون بها أما هو فكان يعرفها جيداً.

ففكر "غفور" مراجعاً نفسه : ولكن هذه الصعوبات كلها ليست من أخطاء ابنته ، هذه البنت الجدة والهادئة والعطوفة ، ما ذنبها إذا لم يكن لديه من الأرز ما يكفي ليسد من آلام جوعها؟ وإذا لم يكن هناك من الماء ما يكفي لإطفاء عطشها؟ إن أكياس الأرز القليلة التي جناها من أرضه قد نفذت...إنها ما كانت لتكتفيهما لأكل وجبنين في اليوم ؛ بل إنها أحياناً ما كانت لتكتفيهما لأكل وجبة واحدة..أما اتهامها بأكل أربع أو خمس مرات في اليوم ، فهو اتهام غير معقول ؛ بل إنه مستحيل...كان يعرف تماماً لماذا ينقصهما الماء...إن النبعين أو الثلاث الموجودة في القرية كانت قد جفت تماماً أما تلك البئر ، التي بقيت خلف منزل الزمندار شيبو ، فلم تعد تحتوي إلا على القليل من الماء. إلا أنه كان محظياً على الناس الاستسقاء من هذه البئر وفي كل مكان إذا ما وجدت بقية الماء ، فإنك ستري حولها جمعاً كبيراً من الناس يتقاذلون للحصول على الماء ، وابنته المسلمة لا يسمح لها بالاقتراب من الماء...عليها أن تبقى متظاهرة حتى ينتهي الآخرون من الاستسقاء ، إلا بعد عدة ساعات من العذاب. كان بعضهم يسبك لها شفقة عليها عدة جرعات من الماء ، تعود بها إلى المنزل ، كان "غفور" يعرف هذا كله...والآن من هذا اليوم ربما لن تحصل على الماء وقد لا يكون في ذلك الجمود الساخط المتجمد حول نبع الماء شخص يشفق على هذه البنت. كان يعرف هذا كله...شارعاً بالندم والمحسنة. ثم بدأ بالتحبيب.

في هذه اللحظة ، وكما لو كان نذير شؤم حل ، دخل أحد رسل الزمندار إلى ساحة كوخ "غفور" صارخاً :

- غفور...يا "غفور"...هل أنت هنا ؟
- نعم أنا هنا لماذا ؟ رد "غفور" بنبرة حزينة مليئة بالأسى :
- المعلم يستدعيك...تعال معني.
- رد "غفور" : لم آكل حتى الآن...وسأذهب إليه فيما بعد.
- لم يستسغ الرسول هذا الرد وبهذه الجرأة.

بعد شتيمة بذيئة أضاف الرسول.

- أمرني المعلم أن أقودك إليه برفسات من قدمي .
طاش صواب "غفور" وغلا دمه فقد برودة أعصابه...بدأ بدوره يقذف مسباته ثم راح يرد إهانة الرسول بحدة :

لا يوجد إنسان يستعبده إنسان آخر في الإمبراطورية التي تحكمها جلالة الإمبراطورة فيكتوريا. أنا أدفع الضرائب لصالح حكومتها...لن أتحرك من مكاني.

في عالم الهند هذا كان من الخطير أن ترد على لسان إنسان بسيط كغفور كلمات كهذه ، وإنه ليسعد جلالتها أن أصواتاً ضعيفة كهذا الصوت ، لا تستطيع أن تصل إليها لأن هذا لو حصل لقطع شهيتها عن الطعام ولحرمتها من النوم ، ونحن لسنا بحاجة إلى توضيح ما حصل من كل هذا ...بعد ساعة من الزمن عندما عاد "غفور" من عند الزمندار تعدد لينام بصمت ، كان وجهه وعيشه منتفختين ، كان "ماهش" هذه المرة أيضا هو السبب في العقاب الذي ناله ، ذلك أن "غفور" حينما ذهب ليقتش عن عمل يعتاش منه كان "ماهش" قد قطع رسته ، وأخذ يلتهم نباتات حقل الزمندار ، ويفسد ربطات نباتات الأرز المعدة للتجميف ، وحينما حاولوا الإمساك به ، رمى بنت المعلم الصغيرة وفر هارباً ، لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يفعل بها هذا ، ولكنه كان ينجو دائماً من العقاب شفقةً بصاحب الفقير ، وإذا كان "غفور" قد جاء كعادته دائماً ليستجدي عفو الزمندار فلربما كان سيحصل على هذا العفو...ولكن شيبوبابو لم يكن يستطيع التسامح مع واحد من رعاياه يتجرأ على القول إنه ليس عبداً لأحد....

في هذا اليوم لم يعترض "غفور" على التوبيخ وعلى ضربات العصي لقد لاذ بالصمت...لدى عودته إلى كوخه لم يكن ينبع بنت شفه...كان رأسه فارغاً ؛ بل إنه نسي جوعه وعطشه...كان قبله فقط هو الذي يشتعل كما تشتعل شمس الظهيرة. من يعلم كم بقي على هذه الحالة من الوقت حينما طرق سمعه فجأة صوت ابنته الباكي فقر واقفاً وأسرع نحوها.

كانت أمينة مددة على الأرض...والماء ينسكب من جرتها المحطمة وماهش يعب الماء بنهم كما تتصس رمال الصحراء قطرات الماء.

لم يتحمل "غفور" ما رأه ، فقد صوابه وكشهاب انقض على سكة المحراث التي كان قد فصلها صبيحة ذلك اليوم ليقوم بإصلاحها ، أمسك السكة وانقض بضربة قاتلة على رأس "ماهش" الذي كان يعب الماء ..

حاول "ماهش" مرة بعد مرة أن يرفع رأسه وجسده منهك من الجوع... ومن جانب عينيه سقطت عدة قطرات من الدموع... وانشق من أذنيه خيط رفيع من الدم ، ثم هزت جسده رعدة ومد قائمته الأماميتين والخلفيتين ونفخ آخر نسمة من نسمات الحياة ...

- صرخت أمينة : ماذا فعلت يا والدي ماذا فعلت؟ لقد قتلت "ماهش" نا ... لم يتحرك "غفور" ، لم يقل شيئاً ... كان يتطلع بنظرات ثابتة إلى عيني الثور الجامدين المغلقين بسواد غامق ، ظل يقف جاماً كما لو كان تمثلاً من الحجر . أخيراً وبعد ساعتين وصل حذاؤو القرية ربطوا "ماهش" وأخذوه إلى المسلح ارتعد "غفور" حين رأى السكاكن التي تلمع بين أيديهم أغلق عينيه وزم شفتيه بينما كان الجيران ييررون :

- طلب الزمندار من الكاهن أن يقوم بالاحتفال الطقسي المناسب ، قائلاً : أما أنت يا "غفور" فتحن نرى أنه لم يعد لديك ما تباعه ، بما في ذلك كوكح لتغطية نفقات استمطار الرحمة على روح "ماهش" .

لم يرد "غفور" بشيء... بقي مقعياً واضعاً ذقه بين ركبتيه ، وفي الربع الأخير من الليل أيقظ ابنته

- قومي يا أمينة ... تعالى سنغادر ... سنترك هذه القرية ، كانت البنت متمددة في شرفة الكوخ ... نهضت وهي تفرك عينيها من أثر النعاس سالت والدها :
- إلى أين سنذهب يا والدي؟

- رد عليها : سنذهب للعمل في مصنع الجوت في فولبيريه .
كانت أمينة مندهشة... كان والدها فيما مضى رغم كل تعاسته ورغم كل بؤسه برفض الذهاب إلى العمل في مصنع الجوت .. كان يكرر مرات عديدة ويعيد التكرار : إن

من يعمل في المصنع يفقد مبادئه ، لأنهم في المصنع لا يحترمون كرامة الإنسان وقدسيّة المرأة... .

قال "غفور" لابنته حاثاً إليها :

- أسرعِي يا ابنتي أسرعِي..هيا تعالي ، أمامنا طريق طويلاً لنقطعه. ذهبت أمينة (لتلم) ما بقي لهم من الممتلكات التافهة ، القلة النحاسية التي يشربون منها والصفحة القدية التي كانت تقدم فيها الطعام لأبيها ، ولكن "غفور" منعها منأخذ أي شيء.
- اتركي كل هذا يا أمي الصغيرة...هذه الأشياء سيتم بيعها لإنفاقها على دفع نفقات الاستغفار على روح "ماهش".

* *

في هدأة الليل ترك "غفور" كوهه مسكاً بيد ابنته الصغيرة...لم يكن له في القرية أي أقرباء...لا أحد ليقول له وداعاً.

اجتاز الساحة ، وتحت شجرة الأكاسيا الهرمة الواقعة على طرف الطريق أخذ "غفور" يبكي للمرة الثانية ثم تطلع إلى السماء المظلمة المرصعة بالنجوم وأخذ يتمتم :

عقبني يا رب السماء كما تشاء ، فلا راد لم شيئاً ، ولكن "ماهش" ثوري مات جائعاً وعطشاناً فما ذنبه.

أما من حرمك من عشب حقولك ومن مياه ينابيعك ليطفئ عطشه ، أرجوك يا رب السماء ألا تسامحه أبداً .

الصِّدِيقَةُ

A Woman Friend

ماري لافين*

ترجمة: مها حسن بحبح

انتهى التحقيق. غادر غرفة الإدارة وهو يفكّر، كان يمكن للأمور أن تعود الآن إلى سابق عهدها – لولا «بينا». ما من شك في أن المشكلة انتهت على ما يرام، وما من شك في أنه تفادي المخنة التي كان يخشى حدوثها في تلك الليلة الكالحة حين فارق الصبي الحياة ووجد هو نفسه يطرق باب بينا ليوقظها فجراً. تم استبعاد تهمة الإهمال بعد انقضاء خمس دقائق فقط على بداية الجلسة، فقد كان الصبي سيفارق الحياة في كل الأحوال. كان التشخيص خاطئاً، لكنه لم يكن مسؤولاً عنه لأن المستوصف الريفي هو من حول الصبي إلى المستشفى لاستصال الزائدة الدودية. وكيف يتمنى له أن يتتأكد من أن تشخيصه ربما كان مختلفاً لو تمكن المريض من الاتصال به في منتصف تلك الليلة؟

* ماري جوزفين لافين Mary Lavin (حزيران/يونيو 1912 - آذار/مارس 1996) كاتبة وروائية إيرلندية رائدة. كانت غالباً ما تتناول في كتاباتها قضايا نسوية رغم الجو الأدبي التقليدي الذي كانت تعيش فيه والذي كان يتمسّ بالهيمنة الذكورية والكسيبة.

الآن وقد خلص التحقيق إلى هذه النتيجة، صار غيابه عن غرفته لحظةً كانت الممرضة تتصل بالغرفة في محاولة لاستدعائه، يبدو بالنسبة له ضربة حظ ، في حين أنه بدا آنذاك كارثياً نظراً للطريقة التي تصرف بها المسؤولون في المستشفى ، لكن منظر الأم الثكلى التي صادفها وهو يصعد الدرج عدواً في ساعات الصباح الأولى بعد أن فارق الصبي الحياة ، ربما كان أكثر ما أوهن عزيمته في تلك اللحظات العصيبة.

ربما كان منظر الأم هو ما دفعه للتصرف على ذلك النحو السخيف في شارع باغوت ، من دون أن يعني ذلك أن ما قالته «بينا» من أنه يجهد نفسه بالعمل بما يتتجاوز طاقته لا يحمل في طياته بعض الحقيقة. فلو لم يكن يعني أصلاً من الإجهاد ، لما كانت الفتاة المسكينة البائسة قد خطرت بياله في المقام الأول.

مع ذلك كان يتعين عليه أن يثق بسمعته المهنية. فالتحقيق لم يؤد سوى إلى ترسيخ تلك السمعة ؛ إذ تم التركيز على مدى اهتمامه بعمله – الزيارات التي يقوم بها إلى أجنحة المستشفى في ساعات الليل المتأخرة واهتمامه البالغ برعاية المرضى بعد إجراء العمليات الجراحية.

ولكن لا مناص من الاعتراف بأنه شعر بالارتباك لحظة سُئل لماذا لم يُجبْ عندما اتصلت به الممرضة أكثر من مرة رغم أنه كان قد قال إنه عائد إلى غرفته. وبما أنه كان يشعر أن الكفة ، عموماً ، كانت راجحة لصالحه ، وجد الفرصة سانحة للتساؤل عما إذا كانت الممرضة قد اتصلت بالرقم الصحيح ، فقد تذكر فوراً أن لوحة تحويل المكالمات الهاتفية في المستشفى تعاني منذ فترة عطلاً فنياً. بدا ذلك الاحتمال وارداً لأن الممرضة تمنت لاحقاً من الاتصال به في ساعات الصباح الأولى. وعندما شعر أن ما قاله لقي آذاناً صاغية ، مضى إلى حد شن هجوم معاكس على المستشفى : "الم يخطر بيال أحد أن يرسل شخصاً ما إلى غرفتي لاستدعائي ؟ ساحة فيتز ويليام لا تقع على مسافة مئة ميل ! لم يكن الأمر ليطلب سوى ثوان ..."

وهنا قاطعه المدعي العام قائلاً : "دكتور أندرسون ، لو أنهم أرسلوا شخصاً لاستدعائك كما تقترح ، فهل كان سيجدك في غرفتك ؟"

هنا بلغ التحقيق ذروته. ساد الغرفة صمت مشحون بالترقب وبدأ المدعي العام مغبطاً بذكائه الحاد. لا ريب في أن الرجل تمكن من الإبطاق عليه.

"أجاب هو: "دون شك
رجاء، أجب بلا أو بنعم".
نعم."

"دكتور أندرسون، أنت تعي بالطبع أنك تحت القسم؟"
طبعاً، أقصد نعم."

لكن جوابه الأول كان دقيقاً ووافياً بالغرض، لأنهم كانوا ، من دون شك ،
سيتمكنون من العثور عليه ؛ فقد كانوا ، على الأغلب ، سيلاحظون سيارته الرابضة
 أمام الباب من دون أن يضطروا للذهاب إلى المدخل ، وحتى لو ذهبوا إلى غرفته ولم
 يجدوه فلا بد أن وجود السيارة كان من شأنه إثارة تساؤلاتهم ودفعهم للنظر داخلها .
 وبالتالي كان بالإمكان تفادي إرباك الجميع .

في كل الأحوال ، لم يكن بالإمكان إنقاذ الصبي . تلك كانت الفكرة الأساسية .
وعندما تم إثبات هذه النقطة لم يعد أحد يلقي بالأسئلة عدم إجابته على الهاتف .
فمن المؤكد أن النزاهة في أداء العمل تؤخذ بالاعتبار ، ولا ريب في أنهم كانوا
سيصدقونه لو أخبرهم بالحقيقة ، ولكن في تلك الليلة -أو في الساعات الأولى من
الفجر- عندما انهار في شارع باغوت ، بدا احتمال تصديق لجنة التحقيق قوله إن
النوم غلبه ، ضرباً من الخيال .

عندما قالت «بينا» إن ذلك كان أمراً طبيعياً ، بدا قولها صائباً للغاية . لكن «بينا»
تظل «بينا».

قالت بينا: "هذا أمر متوقع. كنت دائماً أخشى أن يغلبك النوم في إحدى الليالي
وأنت على عجلة القيادة في طريقك إلى المنزل بعد أن تغادرنا".

كان هو أيضاً يخشى أن يحدث ذلك يوماً ما ، وعندما صعد إلى السيارة في تلك
الليلة ، تحديداً ، كان يشعر بإرهاق شديد . كان وصوله إلى المستشفى بمنزلة المعجزة ؛
ولم يكن ليشعر بالاستغراب لو أنه استيقظ من نومه ليجد أنه مازال داخل السيارة
الموقفة عند مدخل الفندق المتواضع في شارع باغوت .

اعتماد أندرسون الإقامة في ذلك الفندق عندما كان طالباً. وبعد تخرجه، صار يتردد إلى هناك من حين لآخر، كما وعد «بينا» ووالدتها، للطمأنة على أحوالهما. كان جو الفندق يغمره بالدفء والحميمية، وكان يأتي لزيارتھما في ساعة متأخرة من الليل عندما تكون «بينا» قد انتهت من أداء واجباتها اليومية في الفندق. ففي الساعة العاشرة مساء كان الماء يلف الفندق، وتتأوي الخادمات إلى غرفهن بعد وضع أكياس الماء الساخن في أسرة النزلاء. وعندما فقط تهبط «بينا» الدرج إلى غرفتها الصغيرة في القبو، حيث تنعم بالخصوصية، إذ أنها لم تكن تسمح للنزلاء بزيارتها هناك. (عندما كان هو نزيلاً في الفندق، لم تطأ قدماه غرفة بينا مطلقاً). كان الدرج المفضي إلى الغرفة ضيقاً ومظلماً وشديداً يعترضه باب تغلقه «بينا» بإحكام ليلاً ثم تطفئ نور الدرج لتحول الغرفة الصغيرة إلى ما يشبه الكهف.

كانت «بينا» ووالدتها تجلسان مساء في كفهما الصغير وقد غاصت كل منهما داخل مقعدها أمام الموقف يحيط بهما كل ما يمكن أن تحتاجانه خلال السهرة، بحيث لا تضطران لمغادرة مقعديهما إلا للإيواء إلى السرير. كانت هناك غلابة صغيرة من الصفيح لتسخين الماء من أجل أكياس الماء الساخن لتدفئة الفراش، أو من أجل صنع كوب من الشاي، وفردة جورب صوفي قديم رمادي اللون مدلة من مقبض الملقظ للإمساك بالغلابة، والطريف أن الجورب كان رجالياً؛ بل إنه قد يكون أحد جواربه القديمة. عندما غادر الفندق للإقامة في المستشفى ترك وراءه بعض أغراضه، وكان واثقاً من أنه سيأتي لزيارتھما من حين لآخر، لأنه كان يعلم أن ذلك يعني لهم الكثير.

بعد مغادرته الفندق غمره إحساس بالانفصال عن جو أليف، لكن إمكاناته لم تكن تسمح له بتأجيل البدء بالعمل طويلاً. كانت مؤهلاته تسمح له بالعمل في مستشفى فيتز ويليام، ولكن كان عليه بذلك جهود جباره كيلا يتجاوزه الآخرون. وهذا ما فعله. فقد أثبت وجوده بين الأطباء ذوي المكانة: لم يكن المستشفى مختلف عن غيره من المستشفيات، غرفة الانتظار وغرفة فحص المرضى في الطابق الأرضي، والقسم المخصص لإقامة الأطباء في مكان آخر من المبنى. كانت الغرفة المخصصة له لا تختلف في شيء عن غرفة أي طبيب اختصاصي في المدينة، الكاببة هي ذاتها. لكنه لم يكتثر

فقد كانت الغرفة والأثاث متناسبين مع الرصانة الجديرة بالحياة المهنية. وهو على أية حال لم يكن يطيل المكوث في الغرفة ؛ بل إنه أخبر «بينا» ذات يوم أنه لم يكن يجلس مسترخياً في مقعد إلا عندما يأتي لزيارتها. ولم يكن يجافي الحقيقة في قوله هذا ؛ إذ أنه لم تكن لتوافر له الفرصة للجلوس والاسترخاء. فقد كان يقضى ساعتين كل صباح في غرفة العمليات ليتوجه بعد ذلك إلى العيادة. وكان يقضي شطراً لا بأس به من بعد الظهر في زيارة المرضى الراقددين في أجنبية المستشفى ، ومن ثم يقضي الزمن ما بين الثالثة والسادسة في معاينة مرضاه ، لتبدأ بعد ذلك الزيارات المسائية للمرضى. وبالطبع كان هو وحده الملام على هذا الوضع. فقد اعتاد في بداية ممارسته للطب – انطلاقاً من دوافع الطموح أو التزاماً بما يليه الضمير المهني ، لا يستطيع الآن أن يت肯هن بالسبب – القيام بجولات على المرضى في المستشفى في ساعات متأخرة من الليل قبل أن يأوي إلى سريره.

لكن القيام بتلك الجولات كان خطأ رغم أنها أسهمت في تعزيز مكانته في المستشفى ، لأنها أضافت إلى مسؤولياته وجعلته يعاني إجهاداً كان بغنى عنه. فقد اعتاد العاملون في المستشفى على جولاته المسائية وبدؤوا يتصرفون على هذا الأساس ، وصارت القرارات التي كان يتعين على رئيسة الممرضات أو الجراح المناوب اتخاذها تظل بانتظاره للبت بأمرها. وبمرور الوقت ، بدأ الجميع يتصلون من مسؤولياتهم بـ إلقاءها على كاهله. والأسوأ من ذلك أنهم نسوا أيضاً أن جولاته تلك كانت طوعية ، ففي حال تختلفه عن المحب ، كان ذلك يُعد إهمالاً لواجبه.

الآمال الكبيرة لا تتحقق إلا ببذل الجهد الشاقة. لم ينس ذلك الشعار عندما وصل إلى القمة. لكن الوصول إلى القمة لم يكن كافياً : كان عليه البقاء في موقعه هناك ، واكتشف لدهشته أن البقاء في القمة كان يستدعي الاستغناء عن كل وسائل الراحة إلى الأبد.

كان كثيرون من بدؤوا العمل معه قد تراجعوا قانعين بمكانة متواضعة لقاء المتعة الجسدية. وكان ذلك يعني الزواج بالطبع. وللحظ أن زوجات الأطباء الاختصاصيين كان مختلفات عن زوجات الأطباء العاديين. وعندما قام ببعض التحريرات شعر بالدهشة لدى معرفة الأمكنة التي جاءت منها بعض تلك الزوجات. زوجة مانديفل ، مثلاً ،

كانت صاحبة فندق صغير، لكنه كان فندقاً في منتجع على شاطئ البحر، ولا بد أن ذلك يجعلها مختلفة، فلا يمكن للمرء أن يتخيّل «بينا» وقد أصبحت السيدة مانديفل. هذا لا يعني الانتقاد من قدر «بينا» بالطبع، لأنّه كان شديد الإعجاب بها؛ بل إنه كثيراً ما تساءل بينه وبين نفسه عن سبب عدم زواجهها. كان يشعر أنها لا بد وأن تتزوج رجلاً لائقاً، رجل يؤمّن لها حياة كريمة وبيتاً توفر فيه أسباب الراحة. لأن «بينا» معتادة على حياة الدعة. لكنها لم تكن تبذل أي جهد لاكتساب أصدقاء أو صديقات. كانت تفتقر للطموح، وعندما بدأت تقدم في السن، خطر له أنها قد تتزوج رجلاً متوسط العمر من نزلاء الفندق.

كان معظم نزلاء الفندق من الرجال، فوالدة «بينا» كانت ترفض استقبال الطلاب، ولا سيما طلاب الطب. مع ذلك قبلت استضافته لأنّها شعرت بالشفقة عليه. وما أن استقر هناك حتى شعر بالراحة فقرر البقاء. لم تعرف المرأة في البداية أنه كان طالب طب، فقد أقنع الأم باستضافته قبل أن يخبرها بالحقيقة. وتذكر من إقناعها بعد أن أثار في نفسها مشاعر الشفقة عندما حدثها عن الأماكن البائسة التي أقام فيها، وخصوصاً الغرفة التي كان يضطر فيها إلى سد النافذة المكسورة بجواريه، وإلى وضع سجادة فوق أغطية السرير عليها تبعث الدفء في جسمه. غلبتها مشاعر الأمومة ودفعتها طيبة قلبها للموافقة على استضافته في الفندق لبضعة أسابيع. لكن السيدة كوسين سرعان ما اكتشفت أنه كان مختلفاً عن غيره من الطلاب: كان شاباً رصيناً جدياً، كما أثار إعجابها الطموح الذي كان يميّزه. كانت امرأة داهية ولا بد أنها أدركت أنه لن يقنع إلا بالوصول إلى القمة. وما إن شرعت بالاهتمام به، حتى أدرك هو أن الحظ حالفه ووصل إلى مبتغايه. ولو لا الرعاية التي أحاطته بها «بينا» ووالدتها طوال تلك السنوات، لما كان قد تستنى له تحقيق ما حققه. كانت السيدة كوسين تعني به كما لو كان ابنها ولم تكن بینا تؤوي إلى سريرها قبل أن تحضر له كوباً من الحليب الدافئ.

لم ينس هو رعايتها له، لأن ذلك كان يُعدّ جحوداً من جانبه. لكنه بعد أن انتقل للإقامة في المستشفى، لم يستطع التردد عليهم بكثرة كما وعد. ومع ذلك كان يلقى ترحاباً حاراً كلما ذهب. وكم كان مؤثراً استقبال «بينا» له عندما عاد لزيارتهم لأول مرة.

صرخت «بينا» حين رأته : "أهذا أنت؟" بدت غير مصدقة. ثم قالت : "تعال إلى القبو". واقتادته إلى الغرفة الصغيرة تحت الدرج التي كانت تأويها والدتها. ما يزال يذكر حتى الآن كيف كانت تهبط الدرج المفضي إلى غرفتها، وهي لا تشيح بنظرها عنه. قالت له : "لقد ازداد وزنك قليلاً، بذلتك الجديدة رائعة". غمره شعور بالدفء والحميمية. فاضت مشاعره عندما سمعها تنادي والدتها قائلة : "أمِي، جاءَ الدُّكتُور لُو". بعد تخرجه وانتقاله للإقامة في المستشفى، لم تعد المرأة تناديهانه "لو"، بل "دكتور لو". وكان ذلك يعني الكثير بالنسبة له، لأنَّه كان يشعره بمدى أهميته. الواقع أن مشاعرهما باللَّهود والصداقة لم يكن قد طرأ عليها أي تغيير، لكنهما كانتا تدركان الفرق بين الحميمية وبين الألفة، ولا سيما «بينا». فقد كانت السيدة كوسين تتباطس معه في الحديث من حين لآخر، لكنه لم يكن يستهجن ذلك.

قالت له يوماً : "أنت تجهد نفسك بالعمل. لا تنس ، أنت لم تعد شاباً". لا شك بأن قولها هذا كان يتتجاوز حدود الألفة، لكنه كان يدرك أن مشاعر أمومتها هي ما دفعتها لقوله. كانت تفخر به كما لو كان ابنتها، ولم تكن تنكر ذلك. وعندما لاحظ ذات ليلة صورته الموضوعة فوق رف الموقد، لم تربك «بينا» للحظة؛ بل قالت : "أما آن الأوان لكي تعطينا صورة لائقة، كي لا نضطر للاكتفاء بصورة قدية وجدناها في غرفتك بعد ذهابك".

لم يكن حب التملّك من سمات «بينا». لاحظ هو ذلك في أكثر من مناسبة. عندما أصبيت والدتها بجلطة، ولم يعد باستطاعتها النزول إلى القبو، لم تكن «بينا» تجد حرجاً في اصطحابه إلى الغرفة الصغيرة ولم يدر بخلدها أنه لم يكن من اللائق تواجدهما معاً وحيدين إلى ساعات متأخرة من الليل. كانت تلك طبيعة «بينا»؛ لا تفكّر بنفسها على الإطلاق، أو كما كان يعتقد هو، لا تمتلك أي طموح. كان يتعجب من كونها لا ترى فيه سوى صديق قديم، رغم أنه لم يكن يرى نفسه غير ذلك. لكنه في إحدى الليالي، وبينما كان جالساً معها في الغرفة الصغيرة، خطر بباله أنه لم يعد ليمانع في بقائه هناك بدل الخروج إلى الشارع البارد للذهاب إلى غرفته في المستشفى. لم تشعره الفكرة بالإثارة، بالطبع؛ بل إنه لم يفكر بها بوصفها مكنة الحدوث؛ بل بوصفها قد تحدث.

لم تكن «بینا» لتكترث سواء بادلها الحديث أم لزم الصمت. كان بوسعي الجلوس معها وقد مد ساقيه من دون أن ينبع بنت شفة، إذا لم يكن راغباً في الكلام. ولم تكن هي تفرض عليه القيام بأي شيء مهما صغر.

كيف إذاً تبدّلت تلك الصورة بسرعة؟ بل خلال بعض دقائق إن جاز القول، ليلة فارق الصبي الحياة؟ هذا ما لم يتمكّن من فهمه.

لا ريب في أنه كان يشعر بقلق شديد في تلك الليلة؛ بل إن شعوره بالقلق هو ما دفعه للتوجه إلى شارع باغوت. بدت «بینا» مختلفة؛ بل شديدة الاختلاف، عن أية مرة سبق له أن رآها فيها، وقد أثر فيه ذلك من دون شك. كانت بثياب النوم ولم تكن ترتدي نظارتها. فتحت له الباب بنفسها وصرخت حين رأته: «يا إلهي، لو» ماذا حدث؟ قال بغلظة: «دعيني أدخل أولاً وسأقص عليك ما حدث». كان جل همه في تلك اللحظة أن يدلّف إلى الفندق مخلفاً وراءه الشارع المفتر بمبرaciحه الخافتة التي كانت تُفاصِم من غرابة وضعه. لكن «بینا»، ولدهشته، ترددت قليلاً.

قالت: «أنا لا أرتدي ثياباً لائقة». رمّقها بنظره حادة فتراجع إلى الخلف وفتحت له الباب على مصراعيه. هل خطر لها أنه كان على درجة من الحماقة بحيث يؤثر فيه نظر امرأة بثياب النوم؟

أجاب ساخراً: «لا أعتقد أنها المرة الأولى التي أراك فيها مرتدية هذا الزي الأنيق»، فقد لاحظ رغم كل ما يشعر به من اضطراب الحالة المزريّة للرداء الصوفي القديم المغطى بالبقع، الذي كانت تلف جسدها به، لكنه لم يأبه كثيراً؛ بل إنه ذكره بالأيام التي قضتها في الفندق، وبالتالي بدا قدومه إلى هذا المكان في وقت الشدة أمراً طبيعياً للغاية. لا بد وأنها ترتدى تحت الرداء ثوباً لا يخطر بالبال، وقد يكون من قماش الفانيلا. لم يكن يخطر له أن هناك نساء ما تزال ترتدي ثوباً مصنوعة من الفانيلا. كانت أمه -رحمها الله- ترتدي ثوباً من الفانيلا عندما تهرع إليه إذا ما أيقظه كابوس في منتصف الليل. وعندما كان يدفن وجهه في طيات الفانيلا الدافئة، كانت السكينة تغمر روحه.

دهمته رغبة جامحة في دفن وجهه في صدر «بینا». تمالك نفسه. فهو في تلك اللحظة لم يكن يريد أكثر من أن يكون بقربها؛ بقرب شخص أليف يعرفه.

قال: "بينا" ، ثم غطى وجهه بكفيه وأضاف: "أنا في ورطة كبيرة". كانا ما يزالان واقفين في الردهة ، شعر بالخرج ، لو كان في الفندق شخص مستيقظ فلا بد أنه سمع ما قاله. ثم أردف: "لتهب إلى القبو". وبدأ يسير نحو الدرج المفضي إلى غرفتها. لكن «بينا» ترددت ، ولوهله خطر له أنها ترمه بنظرة غريبة. لعلها كانت تظنه ثلاً ، فهي لم تكن ترتدي نظارتها. لم يسبق لها أن رآها من دون نظارة ، وكان دائمًا يتساءل كيف تبدو من دون النظارة ؛ بل خطر له يوماً أنها إذا تزوجت فلا بد أن زوجها سيراهما من دون النظارة ، وسوف يكون ذلك أحد مظاهر الحميمية بينهما. لكنه كان مخطئاً في ظنونه بشأن شكوكها بأنه قد يكون ثلاً ، لأنها هرعت إلى قاعة الطعام لتخرج وبيدها زجاجة وكأس.

عندما همت بملء الكأس أوقفها بحركة من يده. "أرجوك ، لا داعي ، فقد تفوح من أنفاسي رائحة الكحول".

عندما فقطر أدركت «بينا» أن ثلة ما هو خطير. والمدهش أنها قفزت مباشرة للاستنتاج بأن الموضوع يتعلق بالصبي.

سألته : "هل هو الصبي الذي أخبرتني عنه ليلة أمس ، الذي حضر للمستشفى عندما كنت تهم بالغادر؟"

هز رأسه بالإيجاب. لم يملك سوى أن يتأثر باهتمامها ، فهو لم يتذكر أنه أخبرها بالكثير ، ولكن لا بد أنه أشار إلى أنه سيجري عملية استئصال زائدة دودية في الصباح.

سألته بهدوء : "هل فارق الحياة ؟"

هز رأسه بالإيجاب. صمتت برهة ثم قالت : "لو ، يا صديقي المiskin". كاد أن ينفجر بالبكاء. تلك كانت صديقة حقيقة ، غلبته مشاعر التأثر. تأثر بمدى ولائها له ؛ لم تنتظر سماع ما حدث : كانت في صفة. كم كان الوضع مختلفاً عن الجو العدائي في المستشفى.

قالت «بينا» : "أنت لا تلتقي باللائمة على نفسك طبعاً ، لقد أخبرتني أكثر من مرة أنه لا وجود لعملية فاشلة ، وأن الضرر يحدث قبل وقت طويل من وصول المريض إلى غرفة العمليات".

شعر بالتوتر، ألا يمكنها أن تمنحه الفرصة لشرح ما حدث. قال بفظاظة: "لم يكن ذلك ما حصل. أنا لم أجرب العملية". لكنها لم تكن من النوع الذي يتراجع.

"هل تعني أنهم لم يستدعوك في الوقت المناسب؟ لماذا، ألا يُعد ذلك إهاماً جرمياً؟"

أجاب نافد الصبر: "لم يكن خطؤهم. حاولوا الاتصال بي أكثر من مرة. «بينا» أرجوك لا تقاطعني، دعيني أخبرك بما حصل".

لكنها لم تكن تصغي إليه. سحب وجهها فجأة: "لو، هل كت مريضاً؟" ثم سارت باتجاهه وكأنها تهم بمد ذراعيها نحوه، لكنها توقفت. أجابها: "كلا، لم أكن مريضاً، على الأقل بالمعنى المعروف للكلمة". صمت برهة، سحب نفساً ثم قال: "بينا، كنت نائماً في سيارتي، خارج مبني المستشفى". كانت مصارحتها بالأمر صعبة، فما بالك بمصارحة لجنة التحقيق. بدا الأمر لا يصدق، بالغ الحماقة. تابع الحديث: "لو كنت داخل المبني لا شك بأنني كنت سأسمع رنين الهاتف، لكنني غفوت فوق مقدور السيارة. لا بد أنني أغفلت عيني لبرهة عندما ركنت السيارة عند حافة الرصيف، ولم أفتحهما حتى الصباح. عندما دخلتُ الغرفة كان جرس الهاتف يرن، أخبروني أن الصبي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة".

انتابته رعدة عندما تذكر كيف استيقظ من نومه متsshجg الأطراف ، وكيف سار متsshجg إلى غرفته ليتقط سماعة الهاتف ويسمع ما حصل نتيجة إهماله.

بدت عليها الصدمة عندما تراها صورة الصبي المتوفى. لكن أفكارها سرعان ما عادت لتركتز عليه. قالت: "لو، لم يكن لك يدي ما حصل. فكّر في مئات الأشخاص الذين أفقدت حياتهم". لم تكن بعد قد استوعبت مدى خطورة الموقف.

قال هو بحده: "يبدو أنك لم تستوعبي الأمر: سيجري استجوابي أمام لجنة تحقيق". قالت: "هل تعني أنهم سيلقون باللائمة عليك بسبب ما حصل؟" ظهر عليها الارتباك لأنها كانت تتصرف كالحمقاء، ثم أردفت: "كيف يلقون باللائمة عليك؟ إذا كان هناك من يتحمل مسؤولية الخطأ فهو المستشفى — أنا أعني ما أقول — أنت ترهق

نفسك بالعمل فوق طاقتك ، أنت تعرف ذلك من دون شك ، لقد أخبرتك أنا بذلك مئات المرات ، وكذلك أمي المسكينة. كنت دائماً أقول لها كل ما أتمناه أن يعترفوا بالجميل ، لا أتمنى أكثر من ذلك...". كان هناك قسط من الحقيقة في ما قالته.

كانت تتكلم بحماس جعله يتأملها بدهشة ، فقد كانت على حق في ما قالته ، لا شك بأنه مجهد بالعمل فوق طاقته. وقد اعترف بذلك أكثر من مرة عندما كان ثلاثة يجلسون حول الموقد في تلك الغرفة الصغيرة الدافئة المريحة. كم كانت تلك الأمسيات تغمر قلبه بالسعادة ، هل يمكن أن تعود ثانية ؟

صرخ بها : "بينا ، أنت لا تستوعبين الأمر مطلقاً ، قد تكون هذه الحادثة نهايتها كطبيب. رجل في موعدي لا بد وأن يكون له أعداء كثر تماماً قلوبهم الغيرة ، أنت لا تعرفين شيئاً عن هذه الأمور : إنهم ينتظرون أول خطأ أرتكه ليتكلّبوا عليّ".

كان ما قاله صحيحاً ، وبينما كانت الكلمات تتدافع من فمه عادت لتجتاحه تلك الرغبة في دفن وجهه في طيات الفانيلا الدافئة على صدر «بينا». لكن الواقعية الصرفة التي كانت تتصرف بها أخدمت رغبته.

أجابته : "ماذا تقول ؟ أنت تُشعرني بالدهشة. هل فقدت الثقة بكل شيء ؟ عليك أن تثق بالمستشفى أيضاً ما دامت الأمور قد وصلت إلى هذا الحد".

"لم يملك سوى الإعجاب بها. فقد عززت في نفسه التماسك والثقة. تابعت هي : "سيجري تحقيق إذا ! ... هل تعرف ما نوع التحقيق الذي ينبغي أن يجري : تحقيق لمعرفة متى كانت آخر إجازة حصلت عليها ! "لو" ، أنت تشير دهشتني. عندما تعيد التفكير بالأمر ، سوف تشعر بالخجل من نفسك. لن يكون هناك تحقيق ، وحتى لو أجري تحقيق ، فسرعان ما سينسى ولن يتذكره أحد".

كانت تتكلم بثقة. خرجت من الغرفة ووقفت أسفل الدرج ثم قالت : "أعتقد أنني سمعت حركة الساعة السابعة تقريباً ، لا بد وأن الخدمات استيقظن. لن يكون من اللائق أن يريني هنا ، إضافة إلى أن ذقنك بحاجة للحلقة. هل ستعود إلى المستشفى ؟ عليك أن تستحم وتبدل ثيابك لأن مظهرك مريع" وأشارت إلى المرأة.

نظر إلى المرأة. لا شك بأن مظهره كان مريعاً. أجمل من فكرة خروجه إلى الشارع بهذا الشكل ، ولكن كان يتمنى عليه الذهاب.

قال : "أعتقد أن علي العودة إلى المستشفى".

أجبت «بينا» وهي تفتح باب الردهة : "هكذا تكون الشجاعة".

كان الوقت قد تأخر أكثر مما توقع. فور أن فتحت «بينا» الباب تلاشى شعوره بعدم الرغبة في الذهاب ؛ بل إنه شعر برغبة قوية في الخروج إلى الهواء النقي في الشارع. كان الهواء خالقاً داخل الفندق ولكن لم يكن باستطاعته الخروج على نحو مفاجئ. فقد أيقظ «بينا» من نومها ، ولم يعد باستطاعتها العودة للنوم وستقضى يومها في العمل. كانت مظاهر الإنهاك تبدو عليها منذ تلك اللحظة ، أحس بوخز الضمير وهو يتأملها - لم تعد بینا شابة بالطبع. شعر فجأة برغبة قوية في التصرف بطفف ، في التعبير عن امتنانه. لقد منحته الكثير خلال محبته في نصف الساعة الماضية. قد تكون على حق في اعتقادها بأن الأمور ستنتهي على خير ما يرام ؛ بل إنه بدأ يرى الأمور من منظور مختلف عن المنظور الذي كان يراها منه عندما قرع باب «بينا». لولا «بينا» - لم يكن يرغب في مجرد التفكير بما كان يمكن أن يحدث لولا «بينا». لقد ساعدته على تجاوز أسوأ لحظات حياته.

قال من أعماق قلبه : "بینا ، أنت صديقة مخلصة".

شعرت بالسرور. لاحظ هو مدى شعورها بالغبطة ، لكن ذلك لم يكن كافياً.

"بینا ، أتمنى لو كان هناك ما أستطيع أن أفعله لأجلك".

ينبغي أن تعرف «بينا» مشاعره. كان يعني ما يقول. سألها بهجة تحمل الرجاء :

"هل هناك ما أستطيع أن أفعله لأجلك؟"

ولكن ، مازا يمكن أن تكون لديها احتياجات يستطيع هو تلبيتها؟

قالت «بينا» بهدوء : "اعتن بنفسك. هذا أفضل ما يمكن أن تفعله لأجلني".

مستّ كلماتها شغاف قلبها. شعر بالضعف أمام هذه المشاعر المترفة عن أية أناية.

أجاب ببساطة : "سوف أعتني بنفسي".

مع إنسانة مثل «بينا»، ينبغي أن تكون بسيطاً. خرج إلى الهواء النقي ثم استدار ومد يده فأمسكتها «بينا».

قالت له: "لو، عندما تنتهي هذه الأزمة، عليك أن تذهب في إجازة طويلة".

شعر أنه مدین لها بأخذ اقتراحها على محمل الجد، فقد كان اقتراحاً مناسباً.

قال لها: "أعدك، عندما ينتهي كل شيء، سوف أذهب في إجازة طويلة".

كانت فكرة رائعة؛ فقد كان بحاجة للراحة.

كرر ما قاله مؤكداً: "سوف أذهب في إجازة، ليس لبضعة أيام فقط؛ بل إجازة حقيقة. قد أذهب لبضعة أشهر إلى أوروبا فالجو مناسب للإجازة الآن". سحب نفسها عميقاً، كانت كل ثانية تمر ترفع من روحه المعنوية. نسي اللحظات التي كان فيها الاضطراب يسيطر عليه. تمنى لو أن المسؤولين في المستشفى لم يلاحظوا اضطرابه. إذا كانوا قد لاحظوا، فالأفضل أن يعود بأسرع وقت ليروا وضعه النفسي الجديد. قال لها: "بينا، أكرر شكري".

هبط درجتين.

قالت «بينا»: "لن تسنى الذهاب في إجازة، أليس كذلك؟"
أجابها: "لن أنسى". كان يقف على الرصيف، كان يرغب بشدة في الابتعاد قدر استطاعته. "لكتني سأزورك قبل الذهاب في الإجازة".

لا شك بأنها لم تكن تتوقع منه أن يعاملها بهذه الدرجة من الإلفة. ولكن، كان ذلك ما سيفعله على الأغلب إلا إذا... إلا إذا؟ ... في اللحظة التي كان يهم فيها بالابتعاد بثقة عن الباب، دفعته هذه الكلمة للتوقف. لنفترض أنه كان يبالغ في الثقة؛ لنفترض أن الأمور اخندت مساراً معاكساً، لا شك بأنه سيعود بأسرع ما يمكنه. صحيح أنه قال لها إنها صديقة مخلصة، لكنها كانت أكثر من ذلك، كانت صديقته الوحيدة. إذا اخندت الأمور مساراً معاكساً، إذا توجب عليه حزم أمتعته، فسوف يحتاج إنساناً يذهب معه أنني اتجه. لن يكون بمقدوره أن يعود ليبدأ من الصفر من دون إنسان يقف إلى جانبه ويشد أزره. لن يستطيع وحده تأسيس مهنة جديدة في مكان جديد. كانت «بينا» على وشك إغلاق الباب.

إذا أغفلت «بينا» الباب فسوف يكون وحيداً في العالم. ركض على الدرجات بسرعة.

قال بلهفة: "بينا، هل ستكونين في الفندق طوال اليوم؟"

قالت والخوف بادٍ على وجهها: "أعتقد ذلك".

ألقت نظرة سريعة إلى الخلف. في أية دقيقة يمكن أن تصل الخادمات إلى الردهة.
سألته بشروط: "لماذا؟"

أجاب: "لأنني قد أعود". أحس بأنه لن يشعر بالأمان إذا غادرها على هذا النحو. عليه أن يكمل الشوط إلى النهاية. "بينا، انتظري لحظة، لا تذهبي. أود أن أطلب منك شيئاً. هل تأتين معي — أعني في الإجازة؟"

شعر بالرضا عندما لاحظ الذهول الذي استولى عليها. لم يدفعه أحد إلى القيام بأي شيء، فعل ما فعل باختياره. كان ذلك آخر ما يمكن أن تتوقعه «بينا». لكنه كان باختياره.

"أضاف: "بينا، هل تتزوجيني؟ مهما حصل وكيفما انتهت الأمور؟"
لم يكن ثمة سبيل آخر. فلا يمكن أن تطلب من امرأة انتظار انتهاء الأمور، ولا حتى من امرأة مثل «بينا».

الشيء الوحيد الذي يدعوه للأسى هو أنه لم يكن هناك مجال لأن تسوء الأمور. لو أنه حافظ على رباطة جأشه لأدرك أن المشكلة ستنتهي على خير. كانت مجرد سحابة صيف، وسرعان ما كانت الأمور ستعود إلى سابق عهدها — لولا «بينا». لم يكن بالطبع يشعر بالندم، فقد كان بحاجة ماسة للإجازة على أية حال.

المسرح

- الفائضون فيليب لوله ت : د. نبيل حفار

الفائضون

فيليب لوله

ترجمة: د. نبيل حفار

الكاتب في سطور:

ولد الكاتب والمخرج المسرحي الألماني فيليب لوله Philip Löhle عام 1978 في بلدة رافتسبورغ شمال شتوتغارت ، لكنه نشأ وتلقى تعليمه في مدينة بادن – بادن ودرس في جامعة «فريدريش ألكسندر» في إرلانغن – نورنبرغ العلوم المسرحية والأدب الألماني وعلوم وسائل الإعلام. انتقل بعد ذلك إلى برلين حيث شارك في عدة دورات تدريبية في مجالات الدعاية والصحافة وتطوير البرامج التلفزيونية ، وعمل محرراً مساعداً في UFA للإنتاج السينمائي. عاد في عام 2006 إلى بادن – بادن ليعمل مخرجاً مساعداً ثم مخرجاً في مسرحها المركزي ، حصل بعدها على منحة سنوية للعمل في «مسرح القصر الملكي» الشهير في لندن. وصار منذ موسم 2008/2009 كاتباً متفرغاً في «مسرح مكسيم غوركي» في العاصمة برلين.

من أعماله:

- «أرض التسوق» ، عرضت عام 2005 في مسرح إرلانغن.
- «المدعو 蒐سوبودين» عرضت عام 2007 في مسرح بوخوم ، ثم في ميونيخ وحصلت على عدة جوائز.

- «القراصنة أو اهْدِم البناء وابن سفينة» ، عرضت عام 2008 في قُبَّينا.
- «الشريك الكبير» ، عرضت عام 2008 في برلين.
- «ليلي لينك أو أوقات عصبية أمام الثورة» ، عرضت عام 2009 في قُبَّينا خلال «أيام ورشة العمل المسرحية» ثم في هايدلبرغ حيث حصلت على جائزة لجنة تحكيم النصوص المسرحية.
- «الفائضون» ، عرضت عام 2010 في «مسرح مكسيم غوركى» في برلين.

الفائضون

– مسرحية وسترن بالاستناد إلى وقائع حقيقة –

«إِنْ ابْتَغَى إِنْسَانٌ أَمْرًا وَاحِدًا فِي الْحَيَاةِ، فَسِيَحْصُلُ عَلَيْهِ.»
المستشار السابق غير هارد شرودر

«[البقية غير مقرؤة] It starts with a غرافيتي على جدار قيتزبرغ

الأدوار:

- إدي سباتشي زويں
- إلن
- أوڤه ، شقيق إدي
- فيتس ، مزارع أشجار حور وقس
- كريس ، الشريف وساعي البريد

- البنك

- مديرية شركة الشامبو

- برانكو، الملقب بالتركي

تجري الأحداث في :

بلدة لو^كه Lukke على نهر لو^ك Luk (حرف h للمد فقط ، ولا يلفظ).

ملاحظة:

يُجدر الانتباه إلى إظهار شقة زمنية طويلة بين تخلف لو^كه وبقية العالم.

الكلام الوارد بين /.../ يُنطق أثناء كلام المتحدث آنياً.

- 1 -

(إِنْ عَلَى رَصِيفِ الْمَحْطةِ. تَعْبُرُ عَدْهُ قَطَارَاتٍ. ثُمَّ يَتَوَقَّفُ قَطَارٌ، يَتَابِعُ سَفَرَهُ. لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ. يَصِلُ إِدِيًّا. يَقْفُ.).

إِنْ: إذا كنت تبحث عن البنك الصغير الأخضر، هناك إلى اليسار.... ومن هنا تصل إلى بليغن. في الماضي كانت هناك لوحة طرقات، لكنها لم تعد موجودة... وإذا مشيت قليلاً فالمنعطف الثاني للدرجات إلى اليمين يوصلك إلى ديسن. أليس معك دراجة؟ هل وصلت بالقطار؟ من دون دراجة؟ المسافة حتى بليغن لا بأس بها، ثم هناك الريح المعاكسة. تأتينا من الغرب. تهب هنا دائماً، قوية من الغرب.

(يَقْنِي وَاقْفَأُ. يَنْظُرُ.).

إِنْ: في الماضي كان هناك قطار، يصل لوكه بليغن. فخر المنطقة. من اختيارنا نحن للعالم كله. بسكة واحدة. في الوسط. ميد إن لوكه. إذا مشيت إلى بليغن، ستري ما تبقى منها، هكذا يقال. تحت الحشائش. من النحاس. تتلاًأ تحت الشمس بحمرة بنية. كقطع العملة العتيقة، لكنها السكة الأحادية الخط إلى بليغن.

(يَقْنِي وَاقْفَأُ. يَنْظُرُ.).

إِنْ: إذا أردت، سأريك السكة. لا مشكلة. السكة توازي أعمدة الكهرباء دائماً. كلما وجدت عمود كهرباء تجده السكة إلى جانبه. أم تزيد الذهب إلى ديسن؟ على كل حال. هنا اخترعوا قطاراً أحادياً، أي بسكة وحيدة، جربوه وأنتجوه! وقد اشتغل. وحسب هذا المبدأ يمكن للإنسان اليوم أن يبني جميع القطارات. ولن يحتاج كل قطار إلا إلى سكة واحدة. أي أن الإنسان بالسكل الموجدة حالياً، يمكنه أن يضاعف المسافة.

إِدِيًّا: لكنه لم ينجح.
إِنْ: لا.

- إدي: لأنه مكلف.
إلن: لا. لأن مبيعاته كانت قليلة جداً.
إدي: لأنه مكلف.
إلن: لا، لأن الوضع كان رديئاً. فالإنتاج الأسوأ كان يباع بسعر أرخص، علمًا بأن الإنتاج الأحسن إذا اشتري أكثر من الإنتاج الأسوأ فسيكون بالرخيص نفسه. كان سيكون. ولكن أفضل.
إدي: والآن باتت الحالة عامة/.
إلن: لأنه بسكة واحدة وليس بستين، تثبيته أسهل ، حالة ميلانه أفضل. وقد تكون أكثر أماناً. جرب الانحراف وأنت على سكة أحادية ، لن تنجح ، أليس كذلك؟
إدي: صحيح.
إلن: ثم : توقف الإنتاج. فتحت البوابة. سُرّ العمال. أغلقت البوابة. انتهى الحلم. (يبقى واقفًا. ينظر).
إلن: إذا أردت الوصول إلى بلينغن اليوم ، فعليك أن تمشي منذ الآن. لا تستخف بتأثير الريح.منذ أن هدموا منطقة العمارات الجديدة ، صارت تهب قوية من الغرب.
إدي: الهنود.
إلن: ماذا؟
إدي: الهنود طلبو القطار الأحادي السكة. لألفي كيلومتر تقريبًا. كالذى جُرب هنا.
إلن: لا.
إدي: لكنهم لم يدفعوا ماركاً واحداً، أبداً. كل تلك السكك. ذهب الجهد كلها هباء.
إلن: لا.
إدي: ربما كان يمكن أن تنجح ، لكنها لم تنجح.
إلن: بالعكس. القطار نجح.
إدي: حتى السكك تم تسليمها لهم.
إلن: لكنهم مدّوها بصورة خاطئة ، الهنود.
إدي: لم يعدوا أي شيء إطلاقاً. طلبوها فقط. ثم رموها كومة واحدة.

- إِنَّمَا: لا. الأرض كانت مستنقعية. الهند كلها مستنقعات.
- إِذْنِي: إنجاز المستقبل ذهب في مهب الريح بعد أول طلبية.
- إِنَّمَا: هذا غير صحيح!
- إِذْنِي: ومنذ ذلك الحين هناك كومة سكر تملأً في الهند.
- إِنَّمَا: كف عن هذا.
- إِذْنِي: ألفا كيلومتر، وليس من لوگه حتى بلیغون.
- إِنَّمَا: لحظة! وما أدرك أنت بهذا كله؟
- إِذْنِي: هذا يتعلم هنا كل طفل يذهب إلى المدرسة.
- إِنَّمَا: (يبقى واقفاً. ينظر).
- إِنَّمَا: لا. عندك الآن عندك! هذا... لا أصدق... لا... لا! انتظر انتظر انتظر: إذني؟
- إِذْنِي: إدي سباغتي؟ أنت؟ هنا؟ ياللـ... لم يعد مستغرباً أنك من دون دراجة... هل عرفتني فوراً؟ يا خنزير... وتتركني أقف هنا وأثرثر، وأنت تعرف كل شيء بنفسك... هذا غير معقول. ما... ما... ماذا تفعل هنا؟ ومن أين أتيت؟ كيف حالك. يا رجل، قل كلمة. كم مضى على غيابك عنا حتى الآن... دهور.
- إِنَّمَا: سمعت أنك كنت في الخارج، هل هذا صحيح؟ أما زلت مقيناً هناك؟ يعني... لا أعرف... النرويج أو ما شابه ذلك؟ هذا فعلاً لا يصدق، تهبط علينا هكذا من السماء. ماذا... ماذا... ماذا تفعل هنا؟
- إِذْنِي: مات والدائي.
- إِنَّمَا: آها. صحيح صحيح. هذا... مؤسف... سمعت ذلك.. من أوقيه... صحيح... واضح، هذا سبب حضورك إذن... آه، رغم ذلك يسعدني وجودك. حقاً.
- إِذْنِي: إدي... ها نحن نلتقي مجدداً.

- 2 -

(إدي، أوفه.)

إدي: كيف تبدو الأحوال هنا؟ ألا يقوم أحد بعمل ما؟ حتى لوحات طرقية لا يوجد. إذا وصل أحدهم خطأً إلى هنا، فإنه لن يعرف مكان وجوده ولا كيف يخرج من هنا، ولا إلى أين سيصل إذا وجد المخرج. وإذا وضع إصبعه على جرس بناء ما، سيتهاوى البناء كله. كل شيء هنا خراب.

أوفه: نحن خيرون بمنطقتنا، فلاحتاج إلى لوحات طرقية.

إدي: أنتم لا. ولكن إذا جاء شخص ما، من خارج المنطقة.

أوفه: ولكن ليس هناك من يأتي.

إدي: أنا مثلاً.

أوفه: أنت خير بالمنطقة مثلنا.

إدي: صحيح. ولكن قد يأتي شخص مختلف تماماً.

أوفه: أخذت خشب حور. هو يقارب المستوى اللائق.

إدي: المسألة لا تتعلق بنوع الخشب، حقاً.

أوفه: اضطررت لأخذة. هذا في حد ذاته رهيب كالموت.

إدي: الأمر فعلًا سيّان.

أوفه: كل الأشياء الأخرى كان لا بد من طلبها. من... مكان آخر. كان الأمر زكيًّا موحد. بما أنه لا يوجد عند فيتيس سوى الحور، لا يستطيع أحد أن يتبااهي.

إدي: وصل التبااهي إلى أمغار الإنسان الأخيرة. يا له من سلوك... جنائزى.

أوفه: كانت ماما تقول دائمًا إن رغبتها هي أن نشر رمادها في نهر لوك. سألت عن الموضوع فإذا بالنهر محميَّة بيولوجية. حتى الصيد هناك ممنوع. إضافة إلى أن إحراق الجثمان مكلف، فهنا لا يوجد فرن، لذلك لا بد من نقل الجثمان... إلى مكان آخر... لـ...

إدي: أتعرف واحدة بنية الشعر، رشيقه، وجميلة، وذات نظرة واخزة...

أوّله: نظرة واخزة؟
 إدي: نعم. قد... تكون زرقاء العينين أو...
 أوّله: لا فكرة لدى.
 إدي: أظن أنها كانت في صفك في المدرسة، ليس في صفي على أية حال. أو في
 الصف الأدنى.
 أوّله: كلامك لا يذكرني بأحد.
 إدي: إدي... لقد عرفتني فوراً.
 أوّله: إذا أردنا يمكننا طلب تسعية الجثمانين لإلقاء النظرة الأخيرة. ما رأيك.
 إدي: كانت واقفة في المحطة. أرادت إرسالي نحو بلیغن.
 أوّله: في المحطة...
 إدي: رغم هذه الريح.
 أوّله: هذه إلن.
 إدي: إلن... إلن صالون الحلاقة؟ حقاً؟ كانت فوقی بصف، ولكن تختك بصف،
 أوّله: أليس كذلك؟ وما الذي تفعله في المحطة؟ هل هي عاهرة لوکه، أم ماذا؟
 لا أظن أن من يريدها بهذه الطريقة، يرغب في ذلك على مرأى من الناس.
 على كل حال. يا لها من توأبیت... من حور. يمكن تبطينها بوسائل هوائية، إذا
 رغبت، حیثما تشاء. يا لها من توأبیت... والتدخين غير مرغوب فيه. كان
 عليك رؤية وجه بابا.
 إدي: إنها فتاة قصة العسل.
 أوّله: إدي.
 إدي: إنها هي. حفلة عيد الميلاد المفاجئة بمناسبة بلوغها السادسة عشرة. اختبا الجميع
 في الخزانة مع قصاصات الورق الملون، ثم تدخل إلى بيتهما، تدهن عضوها
 بالعسل وتدع القط يلحسه، ونصف الصف يحلق من الخزانة.
 أوّله: هل فعلت ذلك حقاً!
 إدي: طبعاً فعلت ذلك. لم يكن الأمر مزحة. وها قد باتت الآن عاهرة لوکه. علائم
 ذلك كانت واضحة منذ صغراها.

أوفه: لا أعرف أحداً من شهدوا ذلك.
إدي: توبى ، هانس ، وال... ما اسمه ... مصلح الأحذية ... كريس ...
أوفه: ألا تبالغ ؟
إدي: بقوا خمس ساعات في الخزانة ، إذ لم يجرؤ أحد منهم على أن يصبح
مفاجأة !
أوفه: هراء .
إدي: أما زال كريス يعيش هنا ؟ اسأله إذاً ، لقد كان هناك .
أوفه: من دون تسجية تصبح الكلفة أرخص . ما هذا الذي نفعله ...
إدي: علينا أن نصمم الآن ، أوفه ...
أوفه: ما كان يتوجب علينا ذلك ، لو لم تكن كل هذه الشوارع مشجرة على
جوانبها . عندها ما كان ليموت أحد على الطريق الزراعي . لكنهم يملؤونها
بالأشجار ثم يقولون ، على الإنسان ألا يقود السيارة بسرعة . هذا منتهى
السخف . هذا شارع ، والشارع لا يحتاج إلى أشجار . على الأوتستراد لا توجد
أشجار ، بل شتلات ورود ومنصّفات ، أما في طرقات السفر عندنا فإنهم
يزرعون الأشجار ، وكأنهم لا يجدون لها مكاناً آخر . تصور ، لولا وجود
الحور ، لأنحرفت بهما السيارة إلى حقل ربيا ، أو لاصطدمـا ببقرة ، تعويضات
إتلاف وضرر لا أكثر من ذلك ، أما الآن ؟ كان عليك أن تراهما ... كان عليك
أن تراهما ... كان عليك أن تراهما ...
إدي: نعم ... أوفه ... شكرأ لأنك ...
أوفه: والسيارة !
إدي: أعرف ...
أوفه: حتى ثمنها لم يُدفع بعد .
إدي: لا تشغل بالك بهذه الأمور .
أوفه: أنا أبني ملعب كرة قدم وليس مصنع مسامير . أما الطرقات العريضة المشجرة ...
إدي: لولا الأشجار على جانيه لما سمي طريقاً مشجراً ؛ بل طريقاً وحسب .

أوفه: حتى عندما يقود الإنسان السيارة وحده، فتظلم وتضيئ طوال الوقت، كما في الديسكو، وهذا خطر مؤكد، وغير ضروري بتاتاً. أضف إلى ذلك تساقط الأغصان والأوراق المستمرة على الزجاج الأمامي، وحتى الشمار أحياناً. وإذا أمطرت يصير هذا كله زلقاً... كالشحوم، فلا فرصة أمامك للنجاة.

إدي: /نعم... إنه.../

أوفه: ومن هذا المنظور، نتلقى سروراً بنجاتهما خلال الأسبوعين الأخيرين رغم السوقة.

إدي: نعم... من واجبنا أن نحاول الشعور بالسرور.
أوفه: وفوق هذا كله ها هم يبدؤون هناك من جديد. لأن هذا لا يكفي. اللعنة. والآن سيدفنان في نعشين من الحور أيضاً.

أوفه ينحب بصمت. إدي يتنتظر.

إدي: هذا ليس عدلاً... هذا ببساطة ظلم...
أوفه: والحياة أيضاً غير عادلة، أوفه. إنها ليست عادلة.

إدي يتحب بصوت عال. إدي يتنتظر.

إدي: لا بأس أوفه. لا بأس بكل شيء. أفرغ ما بداخلك. إهداً. لقد أحسنت صنعاً.
إدي: إهداً.

إدي: لا بأس. أنا هنا. سنتجاوز المخنة. معاً.
أوفه: لماذا كتب اسمك؟

أنا الأكبر. كنت معهما هنا في البيت. طوال الوقت. ساعدتهما في كل شيء حتى آخر لحظة. أنا أنسأت مع بابا هذا المتجر. أنا من ساعده في إعداد هذه المجسمات الطبوغرافية اللعينة. كانت مجسماتي أنا أيضاً. حتى إني عرضت عليه الركوب معه ومساعدته أثناء الجولات، لكنه رفض. في البداية خرج في الجولات وحده، ثم أخذ ماما معه.

إدي: هل أرادت الخروج معه؟

أوفه: كانت أفضل هدية يمكن تقديمها إليها. قالت إنها فرصة للتجول في المنطقة. وأشارت بالسرور. وبيناء عليه بقيت في المتجر للاهتمام بالزهور...

- إدي: /نعم... يا جمالها.../
أوفه: قمت بكل شيء. كل صباح كنت أناقش معهما الجولة والمغزى منها، و كنت أحدهما على الخريطة.
- إدي: /ظننت أن معهما مجسمات طبوغرافية.../
أوفه: ثم كنت أنتظر. عندما يكون الطعام جاهزاً على الطاولة. أنا كنت موجوداً هنا، على مدار الساعة. ابن وأم في الوقت نفسه. لكنهما كتبوا اسمك أنت.
- إدي: أين كتاباه؟
أوفه: كيف علمت بالأمر؟
- إدي: ... هناك طبيب خابرني، كنت أقود السيارة، وكان الاستقبال رديئاً، لم أفهم شيئاً، وهو يكرر ويكرر: هل أنت السيد غششت. كلما ذكر اسمي أسمع غششت. صوت وشيش. قطعت الاتصال لظنني أن المتكلم إما شخص بذيء أو من لعبة الحظ. بعد قليل، عاود الاتصال: هلو، هل أنت السيد غششت. قلت له: أنا لا أفهمك. عندها تهجاً بالإسم، فعرفت رغم خطأ التهجئة أنني المقصود، فتابع: والداك... سيارة... حور... وسط منطقة المشاة أمام وجهه مبتسماً على لوحة دعائية نصبناها هناك...
أوفه: كان هذا صباحاً.
- إدي: في أجمل طقس.
أوفه: لم أعلم بالأمر إلا بعد الظهر.
- إدي: غير معقول بتاتاً.
أوفه: لأنهما كتبوا اسمك /.
- إدي: جمدت في مكاني.
أوفه: /إدي زويس/.
إدي: جموداً كاملاً.
- أوفه: أخبروك برقياً وبالجوال. وعنّي أنا ولا كلمة.
إدي: الموت حق آت لا ريب فيه. لكنه بكر قليلاً هذه المرة.

- أوفه: /نص البرقية معٍ هنا./
 إدي: ولم يكن ضرورياً في وسط منطقة المشاة.
 أوفه: /هذا نكران للجميل. أتعرف كيف أشعر؟ أشعر بأنني خُدعت./
 إدي: ماذا؟
 أوفه: كان بإمكانهما ذكري ، على الأقل في الموقع الثاني.
 إدي: لكنه ليس مكاناً مناسباً.
 أوفه: طبعاً لا ، فيما أتختبط أنا هنا وحدي. أمارس رعاية العجزة ، ومرافقتهم ،
 الضلع الثالث للمثلث ، وعلام أحصل لقاء ذلك : على إدي الخراء سباغتي.
 إدي: /لا/
 أوفه: يعلم في حال الوفاة. شكرًا جزيلاً. السيد لا يتنازل بأن يربينا وجهه أبداً ، لأنه
 على سفر في أرجاء الدنيا الواسعة ، في النرويج ! لكن سباغتي العزيز...
 إدي: /كف عن هذا/
 أوفه: يجب إخباره رجاءً ، عندما نرحل من هذا العالم. أتعرف تأثير ذلك ؟
 إدي: أوفه. أنت لا تملك حتى جهاز تلفون.
 أوفه: كصفعه من العالم الآخر.
 إدي: كيف عليهمما أن يخبراك. أنت الشخص الأول ، المباشر... أنت ... ما اسمه...
 صلة الوصل ، وستعلم في كل الأحوال.
 أوفه: في كل الأحوال. وهل سيخبرني الطير بالأمر ، أم كيف ؟
 إدي: لا طبعاً ، ولكن عندما لا يعودون حتى المساء ، ستلاحظ ذلك ، أما أنا فلا .
 أوفه: لأنك غير موجود.
 إدي: تماماً.
 أوفه: ولأنك لا تخابرنا.
 إدي: طبعاً. ولكن عندي ...
 أوفه: وحتى تجدهما يكونان قد صارا مخللاً.
 إدي: هذا غير صحيح.
 أوفه: أما أوفه المخوب فهو موجود هنا ويكن ...

- إدي: /لم يقل أحد أنك مخوب/
- أوفه: أن يتضرر ويشغل باله بأسباب غيابهما ، بينما إدي سباغتي...
إدي: /أوفه!
- أوفه: تصله الأخبار بتفاصيلها الكاملة وهو في بابوا غينيا الجديدة.
إدي: لم يجعلك أحد على البقاء هنا.
- أوفه: يمكن للإنسان أحياناً أن يُقدم على فعل شيء بملء إرادته.
إدي: بملء إرادته... هذا كسل.
- أوفه: ييدو أن حرية الإرادة أمر غريب عنك.
إدي: لو أنك لم تستسلم للكسل ، لما سمنت بهذا الشكل.
- أوفه: هكذا إذن؟ وهذا لا يتناسب مع تصورك عن النجاح ، آ؟ في النرويج لا يوجد سِمان ، آ؟
- إدي: لم يسبق أن كنت في النرويج أبداً.
- أوفه: السِّمان موجودون أيضاً . والأبناء الذين يرعون آباءهم.
- إدي: ومع ذلك يمكن للإنسان أن يحرك نفسه.
أوفه: ويمكن أيضاً أن لا يتحرك.
- إدي: لا أحد يعترض على ذلك ، ولكن لماذا بقيت هنا؟ لماذا لم تغادر أيضاً؟ لتغيير الجو على الأقل.
- أوفه: وأتركمهما وحدهما؟ مثلك؟
إدي: كانوا بالغين راشدين كفاية.
- أوفه: أنا رأيتما إدي.
- إدي: ما الذي تبغيه هنا؟
أوفه: أنا تعرفت على جشتيهما.
- إدي: وأنا من قتلهمما ، أليس كذلك؟
أوفه: لا ، لكنك كنت غائباً وحسب.
- إدي: أتعرف كم يقضى الإنسان على الطريق حتى يصل إلى هذا المستنقع؟
أوفه: لم تكن ملزماً بالحضور.

إدي: هناك قطار واحد في اليوم إلى هنا.
 أوفه: /من سيدفن هما والدك وحسب/.
 إدي: كفى هذا الآن!
 أوفه: لن أسمح لك بإفساد الجنازة. إدي سباغتي!
 إدي: أوفه!
 أوفه: إدي سباغتي!
 إدي: أوفه! لا أحد يريد إفساد الجنازة. وكف عن مناداتي بإدي سباغتي!
 أوفه: سباغتي، سباغتي، سباغتي...
 إدي: أوفه! (سكر بوزك).
 أوفه: اهرب. فأنت لم تأت أصلًا إلا لالقاء التحية ولتغادر ثانية. هذا كله بالنسبة إليك سيان. بلدك.

-3 -

(الدفن : صليبيان خشيان في أرض ممتد بلا حدود. احتمال وجود صقور. سكان لو كه كلهم هناك. نظرات ، همسات ، مغازلات خفيفة. أوفه هو الوحيد الغارق في نفسه.).

قد لا نستطيع أحياناً... تجنب القدر ، لأنه... لا يمكن التنبؤ به ، مثل... الله... فيتis:

(يجهد فيتis باحثاً عن كلمات ، لكنه لا يجد لها. يختصر الخطاب.).
فيتis:

من التراب جتنا... وإليه نعود.

(لا يجد أي شيء يقوله بعد ذلك).

فيتis:

أيرغب أحد في أن يقول شيئاً؟... أوفه؟... إدي؟

إدي:

(نظرة من أوفه. إدي يهز رأسه نافياً).

- 4 -

(إدي، إلن. رصيف المحطة.)

إلن: والآن ستعود إلى العالم الكبير الواسع.

إدي: حتى الساعة عاطلة.

إلن: هل كنت حقاً في نيوزيلندا؟

إدي:

من علامات الأمكنة الصغيرة أن الزجاج البلاستيكي الذي يغطي مواعيد القطارات الواضحة جداً، يكون مخدوشًا عمداً بشكل يصعب معه قراءة المواعيد. ما هذا العمل المعيوب؟ هل هناك حقاً من يدفعه الملل القاتل مثل هذه الفعلة؟

إلن:

- آآ.

إدي:

إلن:

إدي:

وهل هناك من لا يعرف متى ينطلق القطار؟ في الثالثة إلا ربعاً. قبل قليل رأيت رجلاً بعين واحدة، أو يغطي عينه الأخرى بقطعة ما، توقف فجأة أمامي ونظر إلي نظرة اخترقت جيبي. ظنت للوهلة الأولى أنه مسحور، ثم سألني: أذهب إلى المحطة، إدي؟ طبعاً سأذهب إلى المحطة، إنْ حاد عن طرقه. ظنت أنه سوف يهاجمني، ولكن عندما اقتربت منه ببطء، انزاح جانباً وكأنه ستارة، وبعد بعض خطوات، عندما التفت، رأيته واقفاً هناك مصالباً ذراعيه. كان يعرف اسمي.

إلن:

هذا كان السيد كامبر.

إدي:

كامبر؟ معلم المدرسة؟ ولماذا يغطي عينه بهذا الشكل؟

إلن:

معك حق. لكنه يضعها منذ مدة طويلة.

(يقفان. يتظاران.)

إلن:

وماذا عن أوفه؟ هل ستزوره يوماً ما؟ بات وحيداً تماماً الآن.

إدي:

إنه ليس وحيداً. عنده كراج ممتليء بالمجسمات الطبوغرافية.

إِنْ: يكُنْكَ زيارته، رغم ذلك.

إِدِيْ: أَمْلَ أَنْ يُحرِّكَ نَفْسَهُ أَتَعْرَفُينَ، أَنَا فَقِدْتُ وَالدِّيْ، وَهَذَا مَؤْلُمٌ، أَمَا هُوَ فَقِدْ بَاتَ الْآنَ كَامِلُ الْيَتَمِّ. كَانَا شَغْلَهُ الشَّاغِلُ، مَسْوِغٌ وَجُودَهُ. وَهُوَ الْآنَ أَمَامُ مَرْحَلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَامًاً. هَلْ كُنْتِ مَعَهُ فِي الصُّفَّ نَفْسَهُ؟
إِنْ: لَا، كُنْتُ تُحْتَهُ بِصَفَّ وَفَوْقَكَ بِصَفَّ.

إِدِيْ: هَذَا مَا قَلْتَهُ.

إِنْ: لِمَنْ؟

إِدِيْ: لِأَوْفَهُ طَبْعًاً.

إِنْ: أَوْفَهُ أَهَا.

إِدِيْ: مَا الَّذِي جَرِيَ لِلْمَحَظَةِ؟

إِنْ: الْبَيْتُ الْوَاسِعُ، لَهُ وَحْدَهُ كُلِّيًّا.

إِدِيْ: مِنْ تَقْصِدِيْنَ الْآنَ؟

(يُقْفَانُ. يَتَظَارُ).

إِدِيْ: أَمَا زَالَ أَبُوكَ يَدِيرُانَ صَالُونَ الْحَلَاقَةِ؟

إِنْ: لَا، وَمِنْذَ مَدَةٍ طَوِيلَةٍ. كُلُّ الْمَقْصَاتِ بَاتَتْ مَثْلَمَةٍ. كُلُّ فَرَدٍ هُنَا يَقْصُ شَعْرَهُ بِنَفْسِهِ.

إِدِيْ: وَأَنْتَ؟ مَاذَا تَعْمَلُينَ؟

(يَدْخُلُ الْقَطَارَ الْمَحَظَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَكَّنَ إِنْ مِنِ الإِجَابَةِ).

- 5 -

(إدي في مكان عمله. يمكن الاستعانتة ببرنامج Powerpoint. هاتفه الجوال يرن.).

إدي: ياه... الآن الوقت غير مناسب... عندي تقديم عرض، نعم، سأخبارك بعده... طيب، العرض أيضاً مهم...
 (ينهي إدي المكالمة. يبدأ تقديم العرض).

إدي: الزملاء... الأعزاء... لدينا هنا إذاً سوائل الغسول: الشامبو، المرطب، المسيل، والمقوي. تماماً كما نعرفها. ولكل الحالات... يعني... للشعر الطبيعي، الشعر الأجدع والشعر الأملس. ستحاول ربما استبدال «ال الطبيعي» بين أقواس بـ «مُوج»، والاختبارات تجري حالياً لمعرفة أي الكلمتين أكثر جاذبية.
 هذه المنتجات معروضة في الأسواق بصورة جيدة، صارت معروفة، 74٪ من سُئلوا يعرفونها، بأنواعها الأربع، وهذه حالة استثنائية فعلاً، و69٪ جربوها ولو مرة على الأقل. وبذلك نحن نقدم على دوف ولوريال. ملاحظة على اليماش: في ثلاثة حالات من عشرة نحن نتقدم حتى على ماركات البيرة الإقليمية. وهذا يعادل النزرة الأوروبية. أي إن انطلاقتنا جيدة جداً. العبوات، ولا سيما ذات اللون الليليكي تلاقي إقبالاً ممتازاً، يفوق اللون السماوي ذاته، ولكن بنسبة بسيطة... بوسمعنا تحديدها كمياً... بـ 84 إلى 79. فهو إذن فارق هامشي حقاً، يمكن التغاضي عنه، لأنه لا يشكل وزناً. فعلى الرغم من ذلك ثمة تماثل مع وجود اختلاف كلي. نحن ما زلنا في المتاجر على الرفوف العليا فعلاً، كما في (مولات) ليديل، كايizer، بوني، و بلوس آند ريايل. لسبب ما نزلنا في (مول) إدِكا إلى الرفوف الوسطى، أي بارتفاع السرة، لكننا نتفاوض معهم. مازالوا يضعون دوف في الرف الأعلى. نحن جميعاً نعرف السبب، لكننا لا نلجأ إلى هذه الوسائل.

(جوال إدي يصدر صوت الارتجاج. إدي لا يستجيب، كيلا يضطر للإقرار بأنه جواله.).

هذا ما لدى مبدئياً فيما يتعلق بعرضنا. الآن، السؤال الذي طرحتنا على أنفسنا عند تقديم منتوجنا الجديد إلى السوق، كان: كيف نصيب شعور مستهلكنا بدقة أكبر. وما ابتكرناه كجواب هو: خطوة تالية في تحديد عرض منتوجاتنا. سأخذ العناصر الناجحة ونضمنها في شعور جديد. تثير اهتمام المستهلك بشيء ما، لا يعرف عنه شيئاً بعد، والذي يمكن أن يلتفت إليه إذا عبأناه في ألوان مشرقية. سندغدغ عواطفه. ما سنتمنحه إياه ليس منتوجاً بقدر ما هو شعور. وكلمتنا السحرية لذلك هي: إرهاق!

(برهة للتصفيق).

شكراً. شكراً جزيلاً. لقد فكرنا طويلاً بهذه الكلمة ونحن نجدها الكلمة الممكنة الوحيدة. ومرة ثانية شكراً لفريق العمل. مصطلح إرهاق يصيب عين الصواب ويصيب المستهلك في قلبه. الإنسان الحديث: مرهق. هذا هو إحساسه بالحياة. إرهاق! مصطلح ينطوي على الإحساس بالضغط والإجهاد، لا يوحي بالاسترقة أو الاستبعاد، ولا يوحي بال بشاعة والأخلاق. المهم في المقام الأول هو أنه دقيق سياسياً: إنه الكلمة الخديئة لشعور الإنسان الحديث. إرهاق. والآن قبل أن نكشف عن (النيولوك)، هناك لقسم المنتوج الجديد أيضاً، سوائل شامبو ومرطب ومسبل وقوى، للشعر الطبيعي والأجدد والأملس. وهناك تفكير بخط إنتاج للأطفال: إرهاق للأطفال، لا يحرق العيون... لكنني لا أريد أن أزيد من عذابكم. ها هو إبداعنا الجديد:

(عرض بالفيديو أو شريحة ضوئية على شاشة أو (بالباور بوينت) ثانية، يتراافق

مع تصفيق ثم صوت ارتجاج جوال إدي).

إدي: جزيل الشكر... شكرًا... ونحن نعمل منذ الآن على لحن موسيقي. (يحاول إدي أن يصفر. يصغر ليغطي صوت ارتجاج الجوال. ثم يفتح الخط بينما يشرب الجميع (شمبانيا)).

إدي: أوفه... هلو... يا رجل... ما الأمر... أنا لا أفهم ولا كلمة، لأنك تسرع في الكلام... قلت لك إني سأعاود الاتصال بك... ماذ؟... لا تلهث بهذا الشكل... قل لي، هل تركض؟... أوفه... إهدأ قليلاً الآن... أوفه؟... ما القصة؟... المسممات؟... ما بها؟... أوفه؟... خابرني عندما تنتهي من الركض لا تنسَ...

(ينهي إدي المكالمة).

شكراً. شكرًا جزيلاً. طبعاً. لقد نجحت نجحنا فعلاً.

- 6 -

(إدي وكريس وفيتس)

فيتس: كم ستبقى؟

إدي: لست أدرى. بيت كهذا. لو كان في مكان آخر لشكل ثروة.

فيتس: أترغب بجرعة؟

إدي: شكرًا.

كريس:

طبعاً. مثل هذه المخازن الواسعة التي عمرّها الناس قدماً.

إدي:

كان جدي يحكى دائمًا إنه من حسن الحظ بقاء هذا البيت صامداً، لأن قاذفات القنابل الإنكليزية في الحرب العالمية الثانية وهي في طريق عودتها إلى الوطن، كانت ترمي ما تبقى من ذخيرتها ما لم تستخدمه في المعركة، هنا فوق لوكه، بكل بساطة. كان الطيارون يظنون أن المنطقة أرض خاوية.

إدي:

لوكه كانت حينها أصغر من الآن.

فيتس:

وقال إنها كانت الأكثر إصابة من جميع القرى الأخرى في المنطقة، وسبب ذلك كان بسيطاً جداً. طيارو القاذفات الإنكليزية كانوا يعودون إلى إنكلترا فوق يادِبُوزن، ولأنهم كانوا يستخدمون خرائط ألمانية للتطابق مع خرائط الألمان، كانوا يقرؤون على هذه الخرائط يادِبُوزن. وهذه الكلمة يقابلها بالإنكليزية خليج الغانيات. كان الإنكليز على طريق عودتهم يقرؤون على الخرائط الألمانية اسم يادِبُوزن. ورغم كونهم قد نسوا كل ما كانوا قد تعلموه، بسبب الخوف في المعارك، بقي في أذهانهم أن بوْزن الألمانية تعني أثداء وضروع وحُلّمات...

إدي:

كريس: وأنهم كانوا متلهفين على العودة بسرعة ليسجلوا نتائج معاركهم. كانوا يفتحون بوابات القنابل، لأن تخفيف الحمولة يزيد سرعة الطيران. فتسقط القنابل على لوكه ويصل الطيارون إلى إنكلترا.

- إدي:** الكل يتذكر هذه الجملة تحديداً من كلامه. كان جدي يضحك دائماً بصوت عال عندما يروي هذا.
- كريس:** كل جد، إدي. كل أجدادنا رروا ذلك. وإذا أخطأ الإنسان مثلما كانوا يخطئون، فسيحتاج إلى حكاية مقنعة ليغطي خطأه.
- غيتis:** إدي، ...
- إدي:** كنت أنا وأوفه نقلده دائمًا في هذه الحكاية.
- (يظهر عليهم الحزن. يتظرون).
- فيتis:** إدي... اسمع... ما زال هناك وقت، طبعاً، لكن... خشب الحور لأبويك، يعني... كان أوفه يريد التسديد من بيع هذه... هذه الأجهزة والأدوات. والآن يضاف مزيد من الخشب من أجله هو؛ أي ثلاثة نعوش من خشب الحور... ما زال هناك وقت، لكنني أردت أن أحبطك علمًا لا غير... قبل أن تسافر... وقد نجد إمكانية لتخفيض الثمن.
- إدي:** كان يريد أن ينجز شيئاً ما. لا أن يسوق السيارة عبر الريف، ولكن هنا. في البلدة. لكن السيارة باتت حطاماً. أن يفتح محلًا صغيراً.
- كريس:** عندنا محل في البلدة. يديره صيني في الشارع الطويل. في قبو مجلس البلدية.
- إدي:** في قبو مجلس البلدية؟
- كريس:** للماكولات الحقيقة إضافة إلى آلات الغسيل. لديه مساحة واسعة تحت طاولة البار.
- إدي:** حانة مجلس البلدية يديرها صيني؟
- كريس:** اسمه ياسمين.
- فيتis:** هو في الحقيقة فيبيتنامي.
- كريس:** عنده تحصل على كل شيء. سكائر. إلكترونيات. ثياب فاخرة. هل زرت "السوبرماركت" عندنا؟
- إدي:** /الصيني.
- فيتis:** فيتية. سامي. ما يقصده كريス هو أنه لدينا ما يكفي. إذا كان رهان أوفه صحيحًا... والمجسمات الطبوغرافية... لا يحتاج إليها أحد.

- إدي: هل أيقظ نفسه يا تُرى؟ من ذاك السبات. وهو اليتيم الكامل؟ حتى أنه بدأ يمارس الركض.
- كريس: يمارس الركض؟
فيتس: أوفه؟
- كريس: لم يكن قادرًا على المشي بشكل مستقيم.
إدي: وإن حلقت له شعره.
- فيتس: نعم. أحياناً تكون ضربات القدر، هي...
(انتظار).
- إدي: لكنه كان على حق. الشارع الرئيسي هو الأمثل. الكل يجب أن يمر منه. الميناء، المحطة، الشارع الرئيسي. ليس هناك مثيل لها في أي مكان آخر. مواقعها استراتيجية.
- فيتس: لكن هذه كلها مخربة. الحفر فيها بسعة أحواض الحمامات.
إدي: لكنها توسيعت طبعاً.
- كريس: لأن المعلم على النهر. والمحطة على الطرف الآخر.
- فيتس: متى يجب أن تعود؟
إدي: علي أو لاً أن أنظم الأمور. أستكشف. أرتب.
- فيتس: ألا يحتاجونك هناك.
إدي: أخذت إجازة مفتوحة.
- كريس: ماذا تبيع؟
إدي: ما أبيعه هو أن تبدو الأشياء بصورة أفضل مما هي عليه. حالياً شامبو.
- فيتس: شامبو. لكن هذه الأشياء للبنات. يمكننا إنهاء مسألة خشب الحور في نهاية الأسبوع. أو بالبريد.
- إدي: لكنني موجود هنا.
فيتس: هكذا إذا...؟
(انتظار).
- كريس: إذا كنت بحاجة إلى مساعدة. في أي وقت.

- فيتس:** إدي؟ هل الأمور واضحة ، إدي؟
إدي: في حال الوفاة يعلم : إدي سباغتي زويس. كتب إدي سباغتي. كي يفحمني.
فيتس: كصفعة من العالم الآخر.
إدي: هو حتماً لم يقصد ذلك.
- فيتس:** بل قصدها ، هذا هو قصده تماماً. لكنني لا أظن أنه كان يعرف أن البرقية
ستصل إلى يدي بهذه السرعة.
- فيتس:** نعم...القدر... إنه ...
إدي: آخر ما قلته له كان : خابرني عندما تنتهي من الركض.
- كريس:** لقد بالغ كثيراً. إذا مارس الإنسان الركض بصورة صحيحة فإنه لن يتعرق.
فيتس: لكن هذا فظيع.
- إدي:** وأنه تحمل حتى وصل إلى البيت...
كريس: أوفه كان صليباً. أقصد أنه كان صليباً دائماً. يبدأ بالتدمر منذ الصباح الباكر ،
لكنه لا يتوقف بالسرعة نفسها.
- (انتظار).**
- فيتس:** يفضل أن تفادر مجدداً إدي. هذا المكان لا يناسبك.

(إدي يشعر بوحدة شديدة، ثم يتمشى عبر البلدة إلى المحطة ويلتقي يالن. يقفان هناك.)

إلن:

يارجل، مرحبا إدي، كيف الحال؟ ماذا تفعل مؤخراً؟

إدي:

يعني، عندما يأخذ منك القدر العائلة كلها، فماذا بوسعك أن تفعل؟ بكل صدق.

إلن:

طبعاً، يعني، هذا... اعذرني...

إدي:

كنت في البيت. كنت أجلس في الشرفة. لا شيء طوال أيام سوى أرض منبسطة. لا يصطدم النظر بأي شيء في أي اتجاه. بازلاء مع اللحم والدهن على النار. هذا المهدوء. رائع.

إلن:

يقولون هذا إنك تستطيع سماع ضراط البراغيث. بسبب السكون. المكان الوحيد هنا الذي يضج أحياناً، هو المحطة.

(سكون).

إلن:

اسمع. ما جرى لأوفه... إنه... حتى أوفه الآن... إنها... الدوالي. في هذه السن. وكنت قد قصصت له شعره.

إدي:

إن لم يكن في الموت، فمتى يريد الإنسان أن ييدو بهيئة جيدة؟

إلن:

أتعرف أن الشعر يستمر في النمو. أقصد ، بعد... الآن.

إدي:

تتواجدين كثيراً في المحطة.

إلن:

نعم، أجد المكان هنا جميلاً، بل الأجمل.

إدي:

وماذا تفعلين هنا؟ طوال الوقت؟

إلن:

أحب ببساطة أن أكون هنا. أنتظر صيحات القطارات.

إدي:

وحدك؟.

إلن:

أحياناً يأتي أحدهم. مثلك.

- إدي: نعم... إم... إن... يعني... أنا عادة لا أقوم بمثل هذه الأمور، لكن... هل لك...
ربما... أنا أحتاج إلى...
إلن: واضح إدي. كما تريده.
- إدي: ونحن نعرف بعضنا منذ زمن... بعيد... وأنا... ليس الأمر وكأننا غرباء عن بعضنا... وأنا لا أريد أن أستغل هذا الجانب... لكي... لأنني طبعاً... إذن:
تفضلي...
(إدي يخرج نقوداً. إلن تنظر. ينتظران.)
- إدي: هل تفضلين القدوم إلى بيتي؟
إلن: إلى متى ستبقى هنا؟
- إدي: لا أدرى... لا أعرف... مبدئياً أخذت إجازة مفتوحة. لكنه فارغ جداً. البيت
والمكان... وكأنه قد... أُخلي.

8

(إدى في البنك).

وكأنه منذر. هل تجولت سابقاً هنا في البلدة. نوافذ مغلقة بالمسامير، أبواب مغلقة بالمسامير. الستائر في كل مكان. ستائر و(أوركيديا) بلاستيكية. لا يمكنك أن تعرف ما إذا كان البيت مسكوناً، أو صاحبه ميت وراء الباب، أم أن هذا كله مجرد واجهة، مظهر، من دون بيت حقيقي وراءها.

البنك: /سب طلب للحدث معك/

إدي: حتى الحانة «المرساة» مغلقة دائمًا ، لكنها من الداخل مجهزة لكل شيء. مثل ديكور فيلم. ولكن هناك فيتنامي في مجلس البلدية.

البنك: /نعم... ام.../

في السوبرماركت لم يكن هناك أحد وراء الصندوق. كنت وحيداً تماماً في المحل. سكون عجيب. فجمعت حاجياتي، توجهت إلى الصندوق وانتظرت. ماذا عليّ أن أفعل، فأنا لا أريد سرقتها. صحت «هلو، إن لم يكن هناك من سيحاسبني، سأمشي». ثم انحنيت فوق السير المتحرك نحو صندوق المحاسبة وضغطت على جرس النداء. لكنه لم يرن ولم يكن هناك صندوق محاسبة الذي يحتوي على النقود. غير موجود.

البنك: /نعم.../

البنك: ما كان ذلك؟.. إم...

إدي: الكامرات،

البنك: كامب ارت

- إدي:** مثبتة في السقف. في الزوايا. غرز. كل حركة. كل شيء. كانت تراقبني طوال الوقت. ربما كان المكان نوعاً من مشاريع الخدمة الذاتية التجريبية.
- البنك:** السوبرماركت نعم.
- إدي:** فحسبت المبلغ بمنفسي ووضعت النقود على السيارة المتحركة وأنا ألقى تحية على (الكاميرا) بود، ثم غادرت.
- البنك:** يعني أنك دفعت. على ذكر النقود...
- إدي:** لقد مضى وقت طويل نسبياً على وجودي، هنا حقاً لا يحدث أي شيء. والناس القلائل الذين ما زالوا يقيمون هنا، لا يراهم المرء أبداً. حالة كالجنون تماماً. إنهم يعيشون هنا جميعهم كلّ بمعزل عن الآخر. في مكان ما بين هذه الأنفاس. كلّ لنفسه. إلى جانب بعضهم أكثر مما مع بعضهم.
- إذن يا سيد زويس.**
- إدي:** مضى عليّ أسبوع لم أتكلّم خلاله. أنا آسف. أعرف، إسهال من المكان الخطأ، ولكن أتعرف في هذا البيت الواسع... الحديقة... الخراء... أحياناً قد تسمع صريراً أو صوت أنين.
- البنك:** صوت ماذا؟
- إدي:** أنين. البيت. يئن.
- البنك:** هكذا، نعم. معظمها بيوت رائعة. إنها فعلاً... طريقة بناء نادراً ما يُعثر عليها الإنسان بهذه الصورة، بلا ترميم. وبهذا نصل إلى موضوعنا. أقصد أجهزة المسح الطبوغرافي...
- إدي:** وصباح اليوم فجأة «حركة» وكأنهم على موعد ليحضروا جميعهم إلى هنا.
- البنك:** نعم، عندما توجد النقود، يروننا وجوههم. وكما تبين لك شخصياً، لا جدوى هنا من وجود فرع حقيقي للبنك. فالثروات غير موجودة إلا نادراً.
- وبهذا المعنى لا وجود أبداً لحسابات جارية. ولهذا أقوم بدور المراسل المتنقل وأجلب المبالغ شهرياً. الدولة لا تنسى أحداً. ولا حتى في أقصى زاوية. لن تتخلّى عن أي إنسان أو قرية أو منطقة، حسب وزير الواصلات. والمبالغ أحضرها دائماً نقداً، كاش. هذا الأسلوب هو الأريح لنا كبنك، لأن معدل

النمو في منطقة كهذه يعادل الصفر. وما ينقصنا كلياً هو التفكير في النمو، بصفتنا كبنك. لم يعد ممكناً وضع أي شيء في الحساب إلا أساساً. عائلتك على هذا الصعيد حالة استثنائية، وإن لم تكن الأولى. الأمر يتعلق فعلاً بـ... صفقة... محاولة إقامة متجر... ما قام به والدك... وأخيراً أخوك... .

إدي: المدن لا تتقلص أبداً. عدد الناس فيها هو فقط الذي يتقلص.
البنك: ما نمنحه هنا يا سيد زويس هو نوع من (ميکرو) قرض وفقاً للمبدأ الأفريقي. لا أدرى إنْ كنت تعرفه، إنها حقاً، قروض، غير مرحبة بالنسبة إلينا كبنك، فهي أقرب إلى أن تكون مسألة خيرية، ولا سيما وأنها لا تُطلب، وإذا طُلبت... ليس ثمة ما ينجح هنا. كم تقدر عدد الحالات التي دعمناها هنا؟ لكن معظمها مات، قبل أن تُعلق اللافتة على محل... هذا هو الواقع. على كل حال الميكرو قروض يفترض بها أن تتيح الفرصة لبناء شيء ما، على أصغر مستوى ومن دون مخاطرة. ولا بأس عندها إذا فات بالحيط.

إدي: أو بشجرة حور.
البنك: نعم. الشخص الوحيد هنا الذي لديه دخل خاص هو مزارع الحور.
إدي: فيتنس.
البنك: صاحب فكرة أجهزة المسح الطبوغرافي هو والدك. بسبب الراتب التقاعدي. وقد عدتها، أي كحالة استثنائية، عدتها فعلاً فكرة جيدة. فعلاً. لأن... إذا قاد الإنسان سيارة هنا... طريق مشجر، مشجر، مشجر. كل شيء متشابه. وهو كذلك... على كل حال منحت والدك استثناء، لا أقدمه في الحالات العادية مثل هذه الأفكار... كان المبلغ... ما أريد قوله، هو أن أجهزة المسح الطبوغرافي هي في حد ذاتها الضمان. نحن كبنك يمكننا في كل الأحوال تضمينها في الحساب، بما يغطي الجزء الأكبر من تكاليف التجهيز، لكن السيارة. وفاة... أقصد أن جميع أفراد... العائلة... هذا حقاً... على كل حال... لم يحسب أحد حساباً... بهذه السرعة. الأمر هو أن... الديون تنتقل بالتوارث! للأسف. ما أريد قوله، لديك خلال ستة أسابيع بعد دخول الإرث فعاليته، إمكانية رفضه. بإعلان ذلك شخصياً لدى محكمة التركات. وعندها لا ترث شيئاً. ولا

الديون. فالإرث في طريقه الآن ليُنقل إلى أخيك. سنعمل ببساطة على إنهاء هذه المسألة، وبذلك يُختتم الملف. وعندما تكون قد خرجت منه سالماً.

إدي: لوكه غير مذكورة فيها.

البنك: ماذا؟

إدي: في الخرائط الطبوغرافية. لوكه غير مذكورة. ولا حتى **بلیعن**. ولا **نیسن**. «لا توفر معلومات خاصة بهذه المنطقة». المعلومات غير واردة في السجلات. لن يشتري أحد خريطة لا توجد منطقته عليها.

البنك: يعني، إذا كنت ت يريد الاحتفاظ بها حقاً. لا أدرى كيف تبدو الأمور عندك مهنياً. أم أنه لديك أرصدة أخرى، سمعت، أنك تعيش في الخارج؟

إدي: اسمعني، سأبيع البيت وأسدده بثمنه ديونك. انتهينا.

البنك: البيت إذن...

إدي: تمام.

البنك: لن يشتريه أحد.

إدي: من يقول ذلك؟

البنك: الناس يسكنون في أي مكان يجدونه خالياً. وعندما يهدم يتبعون الانتقال. مثل السرطانات ذات البيوت الحلزونية. إنه مجهز بكل شيء. ولن تجد من يقتلع لك تلك الأشياء من أماكنها. ثم من سيدفع تكاليف ذلك؟ ستبقى هناك إلى أن تأخذها الطبيعة.

إدي: لكنه ليس كأي شيء آخر. هذا بيت أهلي. بُني قبل الحرب، وجدي كان دائماً يحكى لي أن الطيارين بسبب **یادبوزن**...

البنك: أكيد، طبعاً، ولكن ألم تفهم؟ إن حالفك الحظ فستجد من يأخذه منك هدية، ولكن حسب وصفك أنت تماماً، لن تجد هنا من تهديه إيه.

إدي: سأبيعه إذن لشخص من خارج البلدة.

البنك: يا سيد زويس. عليه عندها أن ينتقل إلى هنا.

إدي: ولم لا؟

- البنك:** لا تقلب الأمر مزاحاً! ارفض الإرث. ضع ساقيك تحت إبطك وارحل إلى المكان الذي جئت منه.
إدي: إنه هنا. أنا جئت من هنا.
- البنك:** لكنك ما زلت شاباً. أتريد أن تصبح مثل هؤلاء... الناس هنا؟ لقد رأيتمهم بنفسك. جرب أن تفتح حديثاً مع أحدهم.
- إدي:** مضى علي أسبوع حتى الآن هنا ووجدت المكان رائعًا للاستجمام. لم أمر بمثل هذه التجربة سابقاً. هذه السكينة. الحقول، المروج، زقرقة العصافير. عليك أن تمضي أسبوعاً على الشرفة. ينتاب الإنسان فعلاً شعور بالتطهر. روحاً. هذه السكينة... وهذا... هذا لا يعادله أي ثمن.
- البنك:** لا تخطئ بحق نفسك. فعلاً. أمامك ستة أسابيع.

- 9 -

(إدي وكريس مستلقيان على بساطين هوائيين ينتفخان تلقائياً.)
 إدي: فكرت بالأمر. أنتم تعالجون الأمر بشكل خاطئ. أنا أقول ذلك طبعاً لأنني من خارج البلدة، ولكنني أمضيت زماناً هنا. وأرى أن هذا خطأ. كيف تستسلمون وتسترخون. كيف الجميع هنا يسترخي. إلن تسترخي في المحطة، فيتس يسترخي عند حوراته وأنت... هذا صحيح، يمكن للإنسان أن يسترخي هنا بصورة رائعة. إنها نوعية استرخاء عالية. ولكن أنتم لا يجوز أن تسترخوا. على الآخرين أن يسترخوا هنا.

كريس: بعيدون مغمضة. على الظهر. كلما فعلت ذلك أخاف أن يسقط شيء ما على خصيتي.

إدي: يجب أن تنتظر. واترك العنان لنفسك.
 كريس: أحاول ذلك.

إذن: السؤال ليس ما عليك أن تفعله بالمنطقة، السؤال هو: ماذا تفعل المنطقة بك. لا يجب أن يفتح الإنسان هنا ملأ أو أن يدخل الصناعة أو القطار أحادي السكة. هذا بات جزءاً من الماضي. والخرائط. إنسها. ليس هنا. هنا لا يوجد شيء، وهذا هو الأمر تماماً. كل ما تحتاج إليه هو بعض البسط.

كريس: إدي!
 إدي: سأترك لكم الموضوع لتشتمروه وحدكم. أنا آتي بالفكرة فقط. بضعة بسط لا غير.

كريس: إنس الموضوع.
 إدي: ألا تجدها مريحة؟

كريس: هكذا تبدأ الأمور دائماً: لا تحتاج إلا لهذا. لا تحتاج إلا لذاك. كل شيء سهل. لكننا ما عدنا راغبين بذلك. الفشل دائماً أفضل، هكذا قالوا قديماً. لم نسمع إليهم. هنا ما عاد أحد يقول ذلك. سنفشل في المرة القادمة فقط،

ولكن بصورة تامة. لا نريد أن نغير أي شيء، ونحن موافقون على ألا نغير أي شيء. أن نتظر شيئاً ما، أن نتوقع أمراً ما. لقد أقلعنا عن ذلك نهائياً. نحن نعرف ، أنه لن يأتي أي شيء.

إدي: ولكن بوسع الإنسان أن يبني شيئاً ما.
كريس: آخر مرة رأيت فيها ورشة بناء هنا ، كانت قبل خمسين سنة تقريباً ، وإن وجدت ورشات اليوم فهي ورشات هدم.

إدي: /أنا لا أقصد ورشة بناء /
كريس: ومع كل بناء يهدم يزداد عصف الريح. هذا ما يحدث هنا : تلاش بالتقسيط .
إدي: هذا ما أقصده تماماً. ولكن لكل فرد: تلاش بالتقسيط ! أن يخرج. أن يبدل .
كل شيء متوفّر. إنها الجنة ، إن قيل بها الإنسان كما هي عليه: لا شيء ،
بكر.

كريس: لكنها ليست بكرة.
إدي: ما هي إذن؟ إنها ليست هراء ، ليست فارغة ، ليست ممتهنة ، ليست قبيحة ،
ليست قدية ، ليست جديدة ، ليست حاضرة ، ليست غائبة. إنها.. بؤس
العالم ، على الأقل بؤس العالم ، لكن حتى هذا غير موجود هنا. هنا
بساطة... لا يوجد أي شيء إطلاقاً.

كريس: هذا غير صحيح. هنا يوجد تقىض شيء ما. الجانب الآخر. المقارنة. لا وجود
للخير من دون شر لا فوق دون تحت. لا مليء دون فارغ. لا يوجد هنا
الجانب إلا لاختلافه عن الجانب الآخر. إذا ربح شخص ما ، فلا بد لشخص
آخر أن يخسر.

إدي: وهنا تجري الخسارة؟
كريس: على طول الخط.

إدي: وأنت تبقى هنا وتتجد أن الخسارة أمر مثير ، أم ماذا؟
كريس: لا علاقة للأمر بكونه مثيراً أو غير مثير. بل هكذا هي طبيعة الأمور. لم يعد
أمامنا خيار بين ما هو كائن وما يحتمل أن يكون. نحن لم نعد سوى حالة
الكينونة. وحتى هذه سرعان ما ستتلاشى.

إِنْ بَقِيَ وَاحِدٌ مِّنْكُمْ فَقْطُ ، فَلَنْ تَتَلاشُوا أَبَدًا .
وَيَكْنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْلِ المشَكَلَةَ بِأَنْ يَقْبِلَ بِهَا . نَحْنُ نَسَدُ الْفَجُوَاتِ بِتَكَافِنَا .

إِدِيَ : كَرِيسَ :

مَاذَا ؟
إِدِيَ : كَرِيسَ :

مِنْ جَهْتِي ، أَنَا كَائِنٌ . دَائِمًا يَظْهُرُ شَيْءٌ جَدِيدٌ . بِلَا تَوقُفٍ . وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ هُنَاكَ
مِنْ يَبْقَى عَلَى الطَّرِيقِ .
إِدِيَ : كَرِيسَ :

هَذَا مَحْضُ هَرَاءُ . كَرِيسَ . أَنَا أَرْوَجُ فِي أُورْبَا كُلَّهَا لِمَارْكَةِ شَامِبُوْ تُوحِي
بِالْأَرْتِيَاجِ ، بِالْأَنْتِعَاشِ ، وَبِالْأَسْتِرَخَاءِ . وَهَذَا كُلُّهُ مُتَوْفَرٌ هُنَا . وَبِصُورَةٍ أَصِيلَةٍ .
لُوكَهُ هِيَ وَطَنُكَ .
إِدِيَ : كَرِيسَ :

كُلُّ مَا هُوَ مُوْجُودٌ هُنَا ... سَكَانُ الْمَدِنِ ؛ لَا بَلْ سَكَانُ الْعَالَمِ كُلُّهُ يَتَوَقَّونَ إِلَيْهِ
مِثْلُ هَذَا . نَحْنُ نَجْلِسُ هُنَا عَلَى عَرْقِ ذَهَبٍ . أَنْتُمْ تَجْلِسُونَ هُنَا عَلَى عَرْقِ ذَهَبٍ .
وَأَنَا أَسَاعِدُكُمْ فَقْطًا فِي الْكَشْفِ عَنْهُ .
لَا . لَا أَظْنَنَا نَرِيدُ ذَلِكَ إِدِيَ . هَذِهِ الْبُسْطَةِ .
إِدِيَ : كَرِيسَ :

- 10 -

(إدي ومديرة شركة الشامبو).

إدي: لا يمكنك تصور ذلك. كوكب آخر. والناس... ملائكة. أعرفهم من السابق... لكنهم من العصر الحجري. يتحركون... كل شيء هناك يتحرك بإيقاع بطيئ... حتى فكريًا... يعني عقلياً... محدودون.

المديرة: لكنك ولدت هناك بينهم؟

إدي: صحيح. لكنني لم أبق هناك. أما هم فلم يغادروا مكانهم أبداً. ولهذا هم كالمحدرین. مغفلون نفورون. رؤوس خاوية. يبدو الأمر وكأن... الدماغ يخدم السلوك الاجتماعي فقط، ومن دون سلوك اجتماعي لا يوجد دماغ. إنها حالة كالخط الحلواني. لو كانوا مغلوبين على أمرهم، لكان هذا تطوراً. لكنهم يجلسون هناك ويقولون بأنهم فخورون بأن يتلاشوا. ولهذا لا يريدون مغادرة المكان. إنها مرحلة سابقة من تطور الإنسان. إنهم من طور الإنسان الأول.

المديرة: أنت تأسف لحالهم.

إدي: طبعاً. الجميع يأسف لحالهم. لأنهم خارج التطور. على الهاشم كلية. والمنطقة أيضاً. هذا هو الحال.

المديرة: أي حال؟

إدي: ما وراء الخير والشر. انظري إلى. ماذا ترين؟

المديرة: تبدو وسيماً.

إدي: إنها... نبع الشباب ، صرت قادراً على اقتلاع شجرة بيدي ، لأنني استرخت في ذلك الفراغ. ولا تنسى أن أفراد عائلتي كلهم قد ماتوا مؤخراً. المديرة: ومع ذلك تبدو حقاً مسترخياً مرتاحاً.

إدي: من لم يكن هناك بنفسه، لا يمكنه تصور الأمر أبداً. إنها الدرجة الملكية لحالة انعدام الاستفزاز.قضاء يوم واحد هناك يعادل شهراً في مكان آخر. لهذا أشعر بمثل هذا الاسترخاء.

المديرة: جيد أنك على ما يرام.
إدي: لا بد أن تزوري المكان. الكل يجب أن يزوروا المكان. بشرط ألا يطيلوا الإقامة هناك.

المديرة: لا وقت لدي مثل هذه الأمور. سأكون سعيدة لو استطعت البقاء في بيتي مدة أطول.

إدي: لهذا السبب تحديداً. قضاء نهاية الأسبوع في لوكه تعادل إجازة أسبوعين. إنها الطبيعة. والحياة البسيطة. التأمل بدل الإرهاق. حياة بداوة. تنسك. زهد. لا مآخذ للإنترنت ولا للهواتف. من الذي قال مرة: «ما دام عندي برميل نبيذ، ولا أحد يحجب عنِي الشمس، فإني أملك كل ما أحتاج إليه». هذا يؤدي إلى التطهر.اكتشفي البساطة. تقشفِي. اخرجِي من نفسك. هوّي دماغك بهواء الريف المنعش. تخلي عنِ حياتك اليومية. اصغِي إلى زهرة عصافير البلد، إلى خرين نهر لوك المهدى، إلى النبض في أذنك ، استلقِي ليومين على فراش بسيط ، إلْجَئِي إلى المهدوء ، انطلقي من هنا. «لوكه. إنها التلاشي بالتقسيط !»

المديرة: تخلي عن حياتك اليومية. جميلة هذه. عليك أن تركز طاقاتك مجدداً على الشامبو.

إدي: هذه هي المسألة، هذه الطاقة التي يُنميها الإنسان في هذا البطء. قد يفيدك هذا. لا أقصد أنك عديمة الطاقة لكن البطارية تحتاج إلى شحن جديد.

المديرة: لدى أفكارٍ الخاصة بما يمكنني عمله في أوقات فراغي.

إدي: إذن. جربِي مرة ببساطة أن تخرجي.

المديرة: تكوين عائلة مثلاً.

إدي: ماذَا؟

المديرة: أو بدء علاقة أو إنجاب طفل على الأقل.

- إدي: يكفي. لم يكن هذا قصدي أبداً.
- المديرة: ولكن قصدي أنا.
- إدي: لا أقصد أن تغييري حياتك ، بل مجرد أن تخرجي في نزهة.
- المديرة: نزهة. هناك ألف مكان تقريباً أفضل أن أزوره قبل أن أخرج إلى... إلى... ما اسمها؟
- إدي: لوّكه.
- المديرة: لوّكه.
- إدي: السكينة وحدها يبدو لا تكفيكِ؟
- المديرة: لا وقت لدى للسكينة.
- إدي: ولكن... في نهاية الأسبوع ...
- المديرة: في نهاية الأسبوع لدينا تقديم عرض في شركة نايكل في فرنسا.
- إدي: نهاية الأسبوع التالي إذاً.
- المديرة: إدي. جميل أنك قد عدت ثانية.
- إدي: بعد التالي.
- المديرة: وجميل أنك على ما يرام ، أما الآن فعلينا أن نستمر.
- إدي: ولكن عليكِ فعلاً زيارة المكان ولو مرة. الأمر يستحق.
- المديرة: إدي !
- إدي: ستتصدقيني حالما تصبحين هناك.
- المديرة: إدي !

- 11 -

(إدي يروج).

إدي: إذا لم يكن عند الإنسان وقت، فلا بد له من أن يقتطعه عنوة. ولن تندموا على ذلك. ستعوضون عن ذلك بسخاء. ستنعمون بشعور لذذ، لم تحسوا به مثله من وقت طويل. لستم مضطرين للسفر كأفراد. شركة القطارات الألمانية تقدم بطاقات جماعية. والبسط ستكون بخدمتكم بطبيعة الأمر، هناك. وإذا كنتم تفضلون فرشات، فيمكنكم الحصول عليها أيضاً طبعاً. لن يشكل ذلك أي عباء، فعلاً. المكان يبعد ساعة تقريباً من هنا، وستجدون عالماً مختلفاً كلياً. هيا أخرجوا مرة... ومارسوا العطالة. الاسترخاء. حتى على صعيد المناظر الطبيعية، المنطقة لؤلؤة. ومفتوحة للجميع... إم... You can go there with your friends. It's something completely different. Relaxation in an underdeveloped part of the world. Enjoy the nothingness. The silence of the Lükke... إم... Une village ou en peut faire activement rien! Contemplation. Forget la Dolce Vita and venga Lükke Il courre della silenzia. إم... هنا... إم... No cuesto mucho. Comprende?

ولا حتى هذا. هذا هو الأمر. اللاشيء لا يكلف شيئاً. لا شيء. علماً بأنه كثير. والبسط ستكون في خدمتكم. ماذا؟ هنا، تحركوا، يا ناس! لا أحد؟ على سبيل التجربة.. كالجز التجريبي الجانبي... اذهبوا مرة إلى هناك، استلقوا واستعيدوا أنفسكم!... كانوا منفتحين قليلاً مرة على ما هو جديد... لا أحد؟ باريس، فينيسيا وميلانو،؟ No لن تقدموا على الأمر إلا بأقل من ذلك، أم ما السبب؟ ما هذه الحالة؟

(يستلقي إدي أثناء حديثه على بساط ثم يتظر).

إدي: حقاً لا أحد. ولماذا لا؟

- 12 -

- (إدي يستخدم مطرقة حِدادة «مهَدَّة» لهدم حجارة بيت أبوه).
الن: ظنت أنه قد غير رأيه. العودة إلى الوطن مثل ضربة على الرأس، نوعاً ما.
كريس: جميعهم، ودائماً تخطر على بالهم أفكار عجيبة، ويكونون متلئين بالمشاعر
ويرغبون مبدئياً بالبقاء وبـ «العودة إلى الوطن». مر علينا الكثير من هذه
الأشكال.
- فيتس: لكن، لا أحد منهم يبقى. لأن، حالما يغادر واحدهم... ولا بد من القول،
إنْ أنتَ غادرتَ لوَكَهُ، فقد اختفيتَ بلا أيِّ أثر، وكأنَّكَ لم توجد أصلاً.
كريس: كل شيء غير موجود في لوَكَهُ، يُعدُّ عملياً غير موجود لسكان لوَكَهُ.
فيتس: والعكس صحيح.
- الن: العُرف عندنا هو أن الشغرة التي تتركها وراءك تحل محلك بشكل تام.
فيتس: ما الذي يفعله هناك؟
كريس: ماذا تفعل هناك؟
- إدي: (لوَكَهُ التلاشي بالتقسيط). لقد رتب الأمور كلها.
الن: وما هي؟
إدي: أنا أحكي الآن عن الموضوع للكل. كنت في معامل نايكه في فرنسا. وفي
بروتانيا بسبب مشروع مشترك. وقد حكى الجميع عن لوَكَهُ.
الن: وهل تتكلم الفرنسية؟
- فيتس: كريス، أحق له أن يخطم البيت، هكذا ببساطة؟
كريس: لست أدرى، ولكن أنت إدي، هل تعرف؟ فأنا هنا أمثل... القانون.
إدي: ماقصد؟ هذا بيتي. أفعل به ما أشاء.
الن: ولكن لماذا تحطمته؟
- إدي: بسبب حجارته، إنـ. البيت يبدو كحطام لا قيمة له، لكن الحجارة.
كريس: لهذا السبب عدت؟
فيتس: لربما أطللت الإقامة هنا أكثر مما ينبغي. على الإنسان أن يتحمل ذلك.

- إدي: أنا أتحمله.
- إلن: ماذا ستفعل بالأحجار؟
- إادي: سكُون في سلام. طمأنينة داخلية. هذا هو الشعار الجديد. يجب أن نوجد حفزاً. يجب على الإنسان قسر البشر على ملاقة سعادتهم.
- فيتis: ما الذي تقصده بذلك؟
- إدي: (بلوئر مل)، إنها بلدة صغيرة منسية لمدة طويلة في منطقة بروتانيا الفرنسية.
- فيتis: يعني؟
- إادي: هاها: النحات الروسي سوراب زيرتلي رئيس أكاديمية الفنون الجميلة في موسكو، روسيا، نحت لهم تمثالاً.
- فيتis: روسي؟
- إلن: تمثال؟
- إادي: تمثالاً برونزيأً ليوحنا بولص الثاني ، ينتصب هناك في الساحة الرئيسية.
- فيتis: /ساحة رئيسية/
- إادي: هناك لوحة على التمثال كتب عليها: «عملاق القرن الماضي الذي أسقط الشيوعية».
- فيتis: في فرنسا!
- إادي: ومن حينها اكتظ المكان مجدداً. لأن التمثال صار عامل جذب للسياح.
- كرييس: عامل جذب للسياح؟
- إادي: ونحن بكل بساطة سنبني تمثالنا الخاص للبابا. في ساحة لوكه الرئيسية. ولكن ليس من برونز؛ بل من حجارة بيوتنا. سقطت هذا التمثال من لحمنا. رأس الكنيسة الكاثوليكية على أرضٍ كافرة منحوتنا من كل ما نملك؛ من لحم ودم. وعندما سترى الإقبال.
- فيتis: /ولكن، مسألة الدين هذه.../
- إادي: الصحفيون، الحجاج، السياح. بالتتابع. الجميع يطلب السكون في السلام. والطمأنينة الداخلية. وأين سيستعيدون طمأنيتهم؟ افتحوا أبواب حانة «المرساة» ثانية.
- كرييس: لكنك لم تسألنا رأينا مطلقاً.
- إادي: صدقوني يا جماعة. السياحة هي صناعة المستقبل. وهي ستجلب معها العمر

- المديد.
- فيفيتس: نحن لا نرغب في الأجانب هنا.
- إدي: ولكن يجب أن نقدم لهم شيئاً.
- كرييس: هذا المكان ليس مكانك.
- إدي: هنا... أصلي من هنا! ولن أسمح لأصلي أن يتلاشى.
- كرييس: عليك أنت أن تتلاشى. اذهب لتخرى في مكان آخر، إدي.
- إلن: لا. كرييس. يمكنك أن تبقى، ولكن مثلنا فقط. هذا هو عرفنا هنا.
- فيفيتس: بالنسبة للغريب عنا، نحن نخطئ دائماً في كل شيء، أتفهم. يجب أن يكون الإنسان مثلنا، لكي يفهمنا.
- إدي: أنا على عكسكم، أنا جلت في العالم وأدركت. الأمر مثل الشامبو. علينا هنا أن نبني صورة تخاطب الخيال، تخاطب الشعور. عامل جذب. واضح طبعاً أنه لن يأتي أحد، إذا ظن الجميع أن المكان هنا مأهول ببعض اليمينيين المنظرفين الخائرين المعادين للأجانب.
- فيفيتس: نحن لا نريد أن يأتي إلينا أحد.
- إدي: ولكن أنا.
- كرييس: لست إحدى ماركات شامبو شركتك.
- إدي: لكنني أريد أن يأتي الناس. هذه بلدتي. يجب أن يراها الناس. لا بد من أن يُملّوا أعينهم ويجدواها جميلة.
- (يتلفتون في ما حولهم).
- إدي: أم أنكم تجدون هذا جميلاً؟
- فيفيتس: لكنك لا تجيد النحت، أليس كذلك؟
- إدي: وإن يكن. أتجيد أنت إلقاء موعظة؟
- كرييس: أنا لا أستحسن الموضوع. أرى أنه لا بد من مناقشته مع الجميع.
- إدي: إذن أحضر الصيني والمعلم الآخر، فوقتي محدود.
- فيفيتس: الفيتنامي ...

إقصاء أول : أمثلة الحاضنة المعقمة

كارول آن ديفيد جوزف فتر الإبن أنجبا طفلهما الأول إلى هذه الدنيا في عام 1968. كان الطفل بتتاًًاً أسموها كاثرين. وبعد ستين أنجبا الطفل الثاني. صبياًًً أسموه ديفيد جوزف فتر الثالث. ولد ديفيد جوزيف فتر الثالث مصاباًً بمرض ضعف مناعة نادر AIDS، باختصار Acquired immune deficiency syndrome. لوجود هذه المتلازمة فإن جسم ديفيد الصغير لا يتمتع بأي نوع كان من المناعة، لا ضد الأشياء ولا ضد الأشخاص. بما أن النخاع الشوكي لأخته كاثرين يناسب النخاع الشوكي في جسم ديفيد جوزف فإنه يزدري تعويضياً لنقل شيء من نظام المناعة أخيه إليه. بعد سبعة شهور على ولادته مات ديفيد جوزف فتر الثالث لأن الوقت قد فات. كان المرض في طور متقدم ، وقبل أن يبدأ النخاع الشوكي الجديد مفعوله ، كان الصغير قد مات. بعد أسبوع قليلة على وفاته حملت كارول آن فتر مجدداً. وقد شرح الأطباء للزوجين أن كل طفل جديد، إذا كان صبياً، فسيولد إلى هذه الدنيا مصاباًً بمتلازمة AIDS بنسبة خمسين بالمائة. وعلى تقدير ذلك فإن ولادة بنت لا يشكل أي خطر. كما عرض الأطباء على الوالدين في حال ولادة صبي مصاب بمتلازمة AIDS أن يضعوه في حاضنة معقمة إلى أن تجري عملية ازدراع النخاع الشوكي من أخيه كاثرين له.

بتاريخ 21 سبتمبر 1971 ولد ديفيد فيليب فتر. وبعد عشر ثوان فقط على ولادته وضع في حاضنة معقمة هواؤها مفلترة معقمة فكان ديفيد فيليب في داخلها محماً من آية جرائم. فحصبه الأطباء وتبيّن لهم أنه مثل أخيه المتوفى مصاب بـ AIDS ، كما تبيّن لهم إضافة إلى ذلك أن نخاع أخيه الشوكي لا يناسب الأخ هذه المرة. والحلُّ الوحيد هو: بقاء ديفيد فيليب في الحاضنة البلاستيكية إلى أن يكتشف الطبيب علاجاً لهذا المرض أو إلى أن يبدأ نظامه المناعي بالعمل من نفسه. الاحتمالان متوفران ولكن بصورة نادرة جداً. ومنذئذ أخذ الصبي ينمو جسدياًً في حاضنته البلاستيكية

معزل تام عن العالم الخارجي. وعندما بلغ الثالثة من عمره ألحت بالحاضنة الرئيسية حاضنة ثانية كغرفة للعب. بدأ يتلقى الدروس التعليمية ويلعب مع الأطفال ، ولديه جهاز تلفاز أيضاً داخل الحاضنة الاصطناعية التي يمنع دخول أي كان إليها بطبيعة الحال ، ولكن هناك على الجدار الخارجي للحاضنة قفازان متذليلان إلى الداخل يمكن بهما الإمساك بديفيد فيليب.

عندما بلغ السادسة من عمره صُممَت له وكالة الناسا بدلة فضاء على مقاييسه كي يتمكن من المشي خارج الحاضنة ، لكنه رفض ذلك ، ولم يستخدم بدلة الفضاء الباهظة الثمن أكثر من ست مرات ، لأنَّه كان يفضل البقاء في الحاضنة. إنه لم يعرف الريح ، وتصوره عن العالم أحادي ، لكنه على ما يرام.

مضى اثنتا عشرة سنة على ولادة ديفيد فيليب ولم يتوصل الطب بعد إلى علاج لمرض AIDS ، لكن عملية ازدراع نخاع شوكي باتت ممكناً ، وإن لم يكن هذا النخاع الشوكي مناسباً تماماً. في شهر أكتوبر عام 1983 تم ازدراع نخاع كاثرين الشوكي لديفيد فيليب. ومع نهاية السنة تدهور وضعه الصحي ، بسبب وجود فيروس في نخاع أخيه الشوكي لم تتبه إليه الفحوص المسبقة. ظهرت انبثاثات على جسم الفتى كلَّه ، واضطروا في شهر فبراير 1984 إلى إخراجه من حاضنته لعدم تحكمهم من معالجته وهو داخلها. وهذه طبعاً هي النهاية ، إذ توفي ديفيد فيليب فِتر بعد خمسة عشر يوماً ، فقط لأنَّهم أرادوا إخراجه من هناك ، في حين أنه لم يرد ذلك ، فقد كان سعيداً في الداخل.

- 14 -

(إدي وإن. بعد ذلك ينضم إليهما كريس.)

إدي: هل رأيت حجارتي؟
إن: حجارتك؟.

طبعاً، أو... هل مرت شاحنة من هنا؟ أو سيارة نقل صغيرة، بيك آب مثلًا؟
هل عندك هاتف. أنا ليس عندي تغطية.

إن: ومن سأخابر به؟
إدي: هل عند فيتس هاتف؟
إن: فيتس عنده حور.
إدي: وكريس؟

إن: كريス عنده. عنده هاتف فضائي أو ما شابه ذلك. لكنه الآن معطل.
إدي: يجب أن أعرف، حجارتي عند من.
إن: أما زلت ت يريد إقامة التمثال؟
إدي: سأخذ حجارة أخرى إذاً.

(يتناول إدي مطرقة الحداده ويبحث عن بيت ي肯ه تحطيمه. وعندما يتحمّى للضرب...)

كريس: إدي!

إدي: كريس. هل رأيت حجارتي؟
كريس: ما بها حجارتك، إدي؟

إدي: هناك معهد شحن يريد نقلها، لكنها اختفت. إن لم أجدها فسيكون مجئه إلى هنا عبثاً.

كريس: من تنقل كل شيء هنا؟
إدي: إنه يقوم ببعض النقليات أحياناً. أعرفه منذ دهر.
كريس: أخبره بإلغاء الشحنة إذاً.

- إدي: نعم، اللعنة. ليس عندي تغطية هنا. وكشك (التلفون)، وراء السينما المغلقة، هناك تسكن بعض الحيوانات.
- كريس: إنها قنادس من نوع الكِبُّ الذي انقرض تقريرياً. لم تعد موجودة إلا في كشك (تلفون) لوكه. الفيتلامي جلب معه واحداً، هرب منه. عجيب كيف تكاثر منذ ذلك الحين...!
- إدي: لا يمكن لكومة هائلة من الحجارة أن تختفي هكذا ببساطة.
- كريس: صحيح. لكن هذا غير معقول.
- إدي: غير معقول نهائياً.
- كريس: أعني أن تحطم البيوت.
- إدي: أنت هنا تمثل القانون. بودي أن أقدم شكوى.
- كريس: ضد من؟ ضد نفسك؟
- إدي: لا، ضد... مبدئياً ضد مجهول.
- كريس: لا يوجد هنا مجهولون. الكل يعرفون بعضهم هنا.
- إدي: ساعدنـي بطـريقة ما يـا رـجل.
- كريـس: آسفـ، لاـختـفاء حـجارـتكـ. آـسفـ فـعلـاًـ. سـأـفـتحـ عـيـنيـ، وـحـالـماـ أـرـاهـاـ فـيـ أيـ مـكانـ -
- إدي: أـتـسـخـرـ مـنـيـ؟
- (إدي على وشك تحطيم البيت بالمطرقة).
- كريـس: اـرـفعـ يـدـيكـ عـنـ بـيـوـتـنـاـ!
- إدي: إـنـهـ خـاوـ.
- كريـس: إـنـهـ لـيـسـ مـلـكـاـ لـكـ.
- إدي: وـلـاـ مـلـكـكـ أـنـتـ.
- كريـس: لـكـنـنـيـ القـانـونـ، إـديـ.
- إدي: فـيـ غـرـفـةـ الـجـلوـسـ تـنـموـ زـهـورـ صـفـراءـ.
- كريـس: أـنـاـ أـمـلـهـ هـنـاـ حـقـ أـصـحـابـ الـبـيـتـ.
- إدي: لـكـنـهـمـ غـيرـ مـوـجـودـينـ إـطـلاـقاـ.

- كريس:** إذا كانوا غير موجودين ، فملكية البيت تعود للبلدة ، وأنا أمثل البلدة. يمكن أن يعود أصحاب البيت في أي وقت ويطالبون باستعادة حقهم.
- إدي:** ولكن ليس هناك من يعود إلى هنا.
- كريس:** وماذا عنك؟
- إدي:** -
- كريس:** لذلك يوضع البيت تحت الحفظ.
- إدي:** لكنه خرابه.
- كريس:** هذه هي القواعد.
- إدي:** هل أنت أبله ، أم ماذا؟ هل سمعت فعلاً ما قلته؟ أتعرف ما أريد أن أفعل من لوكه؟ وأنت تضع البيوت تحت الحفظ؟!
- كريس:** من جهتي يمكنك أن تمدد هنا على بساط ، ولكن دع البيت وشأنه.
- إدي:** إذا سأقدم طلباً إلى البلدة. والأفضل من هذا. سأشتري البيت ، فوراً. خذ هذا الأورو.
- كريس:** ما هكذا تسير الأمور.
- إدي:** خذ خمسين أورو.
- كريس:** لا بد من وجود خبير تخمين ، ليضع سعراً لبيع البيت ، ولا بد أن نجد صاحبه.
- إدي:** /مائة أورو. لا أملك أكثر.
- كريس:** وعندما يمكنك تقديم طلب شراء ، ثم تستطيع شراءه. في حال موافقة مالكه ومجلس البلدة. ولا بد من عقد شراء وسجل عقاري.
- إدي:** هل أنت غبي؟ البيت أنقاض بآنفاض. تماماً مثل هذا المكان (الخزائي).
- كريس:** ربما كانت لوكه صغيرة. لكنها ليست منطقة محايده لا يملكونها أحد.
- إدي:** كريス يا رجل.
- كريس:** لا يمكنك هنا أن تفعل ما تشاء.
- كريس:** (يرفع إدي المطرقة ويتحمّي).
- كريس:** إذا فعلت ذلك ، ستضطرني إلى اعتقالك.

(يخرج كريس القيد الحديدي.).

إدي:

أأنت جاد؟

(كريس يومئ برأسه.).

إدي:

اللعنة!

(يقفان لبرهة.).

إدي:

إنني أفعلها من أجلكم. وليس من أجلي أنا.

كريس: لست مجبراً على القيام بأي شيء من أجلنا.

(يرفع كريス القيد الحديدي بيده عالياً.).

إدي:

الآن ترغبون أبداً في أن يحدث شيء ما هنا؟ لا تدركون! هناك مخرج. أعرف

أنكم لا ترونـه ، ولهذا أنا هنا. كـي أـريـكـمـ المـخـرـجـ.ـعـنـدـمـاـ نـتـهـيـ منـ إـقـامـةـ

الـتمـثـالـ سـتـكـوـنـونـ مـتـنـتـيـنـ لـيـ ،ـ كـريـسـ.ـ إـلـنـ ،ـ قـولـيـ شـيـئـاـ.

(إـديـ حـامـلاـ مـطـرـقـهـ ،ـ كـريـسـ حـامـلاـ الـقـيـدـ الـحـدـيـديـ.ـ وـكـأـنـهـماـ يـتـرـصـانـ

بـعـضـهـمـاـ.ـ ثـمـ تـعـمـ.ـ يـهـبـطـ اللـيلـ.ـ إـديـ يـسـتـسـلـمـ.).

إدي:

الـلـعـنـة~!

(إـلـنـ تـواـسـيـ إـديـ.).

- 15 -

(إدي، فيتس.)

فيتس: أراك هنا. هل نمت هنا، مع هذه الريح؟ تهب دائماً من الغرب، منذ أن أزيلت منطقة البناء الجديدة. أحضرت لك قهوة، مع كبسة كحول. ستحتاجها الآن حتماً. لا حاجة لأن تدفع لي ثمنها، فما زلنا هنا نعاون بعضنا.

إدي: البارحة كنت في بليشن.

فيتس: في بليشن. حقاً؟ هل مشيت؟

إدي: أما زال يعيش أحد هناك؟

فيتس: طبعاً. بليشن، ديسن، شوغ، صعوداً حتى بوكيشن. نعم هناك البعض في كل هذه الأماكن.

إدي: لكنني لم أجد أحداً هناك.

فيتس: هم. يتحمل أنك لم ترهم وحسب. تعرف موضوع الغرباء... أنا... نحن لا نجد وجود الغرباء. أو الأجانب، من خارج البلاد...

إدي: والفيتنامي؟

فيتس: آ، ذاك... إنه فييتامي، ونحن نحتاجه. لأن السوبر ماركت... ولكن إلى الاجتماعات.. لا يحق له... أقصد أنه هو لا يرغب في ذلك أبداً... أقصد الحضور... أو أن يلعب معنا الورق.

إدي: لعب الورق؟

فيتس: غالباً نلتقي في بيتي. مساءً على كل حال. عندما تظلم الدنيا. كيف سنمضي الوقت؟ فنلعب الورق. يمكنك أن تلعب معنا. هذه فكرة جيدة. أتعرف لعبة الجدي والقدر؟

إدي: الجدي والقدر؟ لم أسمع بها أبداً.

- فيتis:** بسيطة جداً. توزع اثنين وخمسين ورقة ، سبعة لكل لاعب ، الجوكر تضمه جانباً فوراً. والذي معه سبعتان يبدأ.
- إدي:** أها.
- فيتis:** نعم.
- (فيتis يريد أن يغادر).
- فيتis:** أخ ، غاب عن ذهني كلياً.
- إدي:** ما هو؟
- فيتis:** لهذا كنت أبحث عنك. جاءتك برقية.
- إدي:** من؟
- فيتis:** لحظة لأرى... هنا مكتوب : سبعة وخمس وثلاثون دقيقة.
- إدي:** صباح اليوم.
- فيتis:** وهي على حسابك أنت. عليك أن تدفع لكريس ستة أورو وعشرين سنتاً.
- إدي:** لماذا لم يخبرني أحد أنه يمكن إرسال برقيات من هنا؟
- فيتis:** ظننتك تريد أن تخابر هاتفيًا.
- إدي:** نعم، أريد أن أتصل بمعهد النقل. فالنحات والتركي ما زالا يتظاران الحجارة ، يا رجل.
- فيتis:** ستة أورو وعشرين سنتاً ، وإلا سيوبحبني كريس.
- إدي:** ماذا؟
- فيتis:** إنه دقيق جداً في هذه الأمور.
- فيتis:** (إدي يعد ستة أورو وعشرين سنتاً من جيب بنطاله ثم يأخذ البرقية. يقرأ.) وأنا أيضاً فهمتها على هذا النحو. معهد النحليات لم يجد الحجارة. ولا يمكن له طبعاً أن يجد لها لأن التركي بنفسه قد أخذها. ألم يعرف التركي أن المعهد كان مكلفاً بنقلها؟
- إدي:** هل قرأتها؟
- فيتis:** الجميع قرؤوها.
- إدي:** ليس أن المعهد لم يعثر على الحجارة ، وإنما لم يعثر على لوكي نفسها.

فيتس: لا مشكلة إذن، ما دامت الحجارة عند التركي.
إدي: لكنها ليست عنده. لو كانت عند التركي في حين يعرف المعهد أن التركي يبحث عنني، لكان التركي قد أخبر المعهد بأن الحجارة عنده.
فيتس: لكنه لم يقل ذلك. قال فقط إنه يبحث عنك.
إدي: علمًا بأن نصف الحجارة يجب أن يتسلمهما النحات.
فيتس: هل يعرف التركي النحات؟
إدي: النحات يحصل على الحجارة مني أنا. حتى المعهد لا يعرف النحات.
فيتس: إذن يجب على النحات الآن أن يحصل على الحجارة من التركي. المسألة بسيطة جداً.
إدي: ولكن لو كان التركي هنا، لكتُ رأيته... أو لرأه أحدكم..
فيتس: بالتأكيد. لكن لو كه في الواقع أكبر مما تبدو عليه.
إدي: كان اتصل بي على الأقل.
فيتس: كيف؟
إدي: (ينتظران).
فيتس: يمكنني انتظار القطار معك. يصل في الثالثة إلا رباعاً.
إدي: خراء.
إدي: (ينتظران).
فيتس: لا تكن حزيناً. معظم المشاريع في هذه المنطقة لا تسير على ما يرام. وقد حدثت أمور أخرى كثيرة... قالوا قديماً: الفشل دائمًا أفضل. طبعاً، يالها من نكسة. تشير الأعصاب. لكنك ستعتاد عليها. وفي حال انقطعت خيوط مشاريعك كلها، يبقى عندك العمل الآخر. الشامبو. واو. إنه يشبه حوراتي، أي إبني واثق دائمًا أنها بحوزتي. أتعرف إبني لا أزرع سوى حور ألماني، حصرًا؟
إدي: ما عدت قادرًا على سماع هذا. فعلاً. هذا العلك الخرائي. أوضاعنا سيئة جداً، أوضاعنا سيئة جداً. أوضاعكم زفت وقطران. أم أنها في العالالي يا ترى!

- فيفيتس: أو ضاعنا ليست بهذا السوء ، حقاً .
إدي: بدلاً من أن تؤازروني . لا تكادون تفتحون أفواهكم حتى يندلع منها هذا الحنين الخرائي إلى الماضي . لم يعد هناك من يرغب بسماع هذا ! أتسمعني ؟ في الماضي كان كل شيء أفضل ، كان عندنا قطار أحادي السكة .
فيفيتس: /أنا لم أذكر هذا أبداً .
إدي: واو ، قطار أحادي السكة . هذا لا يهم أحداً . انظروا إلى الأمام . المكان هنا جميل حقاً . إنه رائع . الحياة لا توقف . ولكن على الإنسان أن يستغلها يا رجل !
فيفيتس: أنت لا فكرة لديك عن أحوالنا .

- 16 -

(إيدي، برانكو.)

برانكو: ها هو جوكرنا.

إيدي: صَحْ، إِذَاً...

برانكو:

أتعرف مدى صعوبة الوصول إلى مثل هذه الحجارة؟ ما أعنيه هو أننا لسنا صينيين، أليس كذلك؟ كل ما ينسخه الصينيون ويقلدونه تكتشف من مسافة مئة متر، أنه مقلد. أسئلة دائمة، ما إذا كان الصيني لا يرى مدى سوء تقليده، أم أن الأمر بالنسبة إليه سيّان. أفهم؟ وحسب الحالة، إما أن يكون الصيني عقريًا أو غبيًا. وحجر من هذه النوعية ليس تي - شيرت، أليس كذلك؟

إيدي: /برانكو /

برانكو:

بطاقات بريدية بصور أحجار جدار برلين، ظروف، رسائل بأحجار الجدار، فناجين قهوة بأحجار الجدار، فازات، أباريق، لمبات، كل شيء. كل شيء من أحجار الجدار. للإنكليز والبولونيين والأميركيين والكنديين والمقدونيين والإيطاليين والإسبان... للعالم كله. أنا من يبيع تاريخكم الخرائي، وليس الصينيين.

إيدي: /صحيح، لكن... /

برانكو:

ما زلت أحافظ بكرامتي، أفهم! هناك فارق في نهاية الأمر بين أن أستغبى شخصاً ما، وهو يعرف أنني أستغبى، أو أنه لا يعرف. علماً أنه بوسع الإنسان أن يدرك فجأة أن حجارة الجدار التي بيعت، حجمها أكبر بكثير من حجم الجدار الذي كان قائماً. أعني بعد عشرين سنة على وجوده... فمن أين أنت؟ بصدق. أتعرف متى بعنا آخر حجر أصلي من جدار برلين؟

إيدي: هُم...

برانكو:

عام 1991. في بداية عام 1991.

- إدي: صحيح، ولكن... يعني... إنها ليست عندي.
- برانكو: ما الذي ليس عندك؟
- إدي: الحجارة.
- برانكو: الحجارة؟
- إدي: نعم، ... لقد اخترت.
- برانكو: اخترت؟
- إدي: طارت.
- برانكو: طارت؟
- إدي: نعم، في البداية ظنت أن المعهد...
- برانكو: وماذا تفعل أنت هنا؟
- إدي: هنا؟
- برانكو: ما سبب قدومك إلي من دون حجارة.
- إدي: إمم... لكي أخبرك بذلك.
- برانكو: جئت إلي، إلى هنا، لتخبرني أن الحجارة ليست عندك.
- إدي: نعم، لكي أخبرك أنها ليست عندي حالياً.
- برانكو: تريد إذاً أن تعيد إلي نقودي.
- إدي: لا، ال... نقود... أيضاً ليست معني.
- برانكو: أيضاً ليست معك؟
- إدي: لا...
- برانكو: والأحجار طارت؟
- إدي: كانت هناك ، في كومة هائلة. وفي اليوم التالي...
- برانكو: ديفيد كوبريفيلد ، كان قادراً على أن يخفي فيلاً. أمام أعين الناس. وتمثل الحرية ، فرقع بأصابعه فطار. أتعرف كيف؟... إنها خدعة. في حال الفيل ، خدعة باستخدام الضوء. يوجه على الفيل ضوءاً ليلكيأ ، بما أن الفيل رمادي وبقضاء بلون ليلكي فيبدو وكأنه وردي ، والستارة التي وراء الفيل كذلك وردية تقريباً. كلاهما وردي أو ما شابه ذلك ، فيختفي... وتمثل الحرية؟

منصة دوّارة. الجمهور يجلس في مدرج قابل للتحريك دورانياً. وكوبرفيلد يقفز هنا وهناك مع موسيقا صاخبة وصيحات عالية، يتحرك المدرج فيختفي التمثال. بهذه البساطة... صدقني... في حال الخداع عليك أن تفكّر دائماً بأبسط الحلول. وهو أمر ليس بهذه السهولة أبداً. إذاً لنفكر ببساطة: أنت تأتي إلي ولا تعطيني الأحجار ولا النقود هل فهمي للأمر صحيح؟

إدي:

نعم، لكنك ستحصل عليها.

برانكو:

الوضع ليس صحيحاً. عليك أن تحضر لي أحدهما. وهناك في جورتك، حيث تنسكب، إذا كان ديفيد كوبرفيلد يجعل الأحجار تختفي، فعليك أنت أن توجد النقود بالسحر، مثلما سحرتها أنا لك.

إدي:

لن تـ...

برانكو:

ولا تقل الآن: إنها لن تنجح.

إدي:

احتاجت النقود لأدفع للمتعهد ولأعطي سلفة للنحات. لكن المتعهد لم يجد لوكه.

برانكو:

لم يجد ماذا؟

إدي:

لوكه.. الجورة. الحجارة موجودة هناك... كانت... لكنه لم يجد لها. لكنه قاد سيارته إلى هناك. والنحات لا ذنب له في أن مادة عمله ليست عندي. هناك مزيد من الأحجار في لوكه، وسوف تحصل عليها، لكنني لا أطولها، لأن كريس وهو صديق قديم، وفيتيس وهو القس هناك...

برانكو:

كافكا.

إدي:

ماذا؟

برانكو:

هذا كما عند كافكا. ألا تعرفه؟ فرانتس كافكا.

إدي:

ما عدت أفهم الآن.

برانكو:

اذهب لشرائه من إحدى المكتبات إذاً.

إدي:

لا، أقصد...

برانكو:

اسمع الآن. أتعرف لماذا يلقبونني التركي، رغم أن أصلي من بلغراد؟

إدي:

نعم، سمعت ذلك مرة.

- برانكو: إذاً! وتعرف أيضاً كيف أبقى صامداً في هذا البزنس. ثم تأتيني ل تستغبني.
- إدي: أنا لا أريد أن أستغريك.
- برانكو: هل أنت عنصري ، أم ماذا؟
- إدي: طبعاً لا.
- برانكو: كيف تأتيني إذاً من دون نقود ومن دون حجارة؟
- إدي: ستحصل على حجارتك.
- برانكو: أنها . ومتى؟
- إدي: لقد أریتك واحداً منها.
- برانكو: نعم، واحداً!
- برانكو، واسمح لي برفع الكلفة بيننا ، لقد هدمت بيت والديّ. بيت والديّ.
- من أجلك. نصفه من أجلك ، والنصف الثاني للنحات. لكنها اختفت الآن.
- نريد أن نبني مثلاً هناك ، لكي نجذب الناس إلى لوكه ...
- برانكو: من جهتي أنا، يمكنك أن تهدم البلدة كلها ، الأمر بالنسبة إلي سيّان تماماً.
- إدي: لا، ليس سيّان. المكان رائع هناك. سكينة تامة. ولا بد لك من أن تزورها.
- برانكو: اسمعني الآن ، إدي ! حتى الآن حصلت مني على كثير من النقود لقاء حجر واحد ملصقة عليه قطعة ورق جدران من غرفة أطفال. واضح إذاً أن الحجارة ذات قيمة عالية. حجارة جدار برلين نادرة. لكنها ليست نادرة جداً.
- فهي ليست نحاساً. وأنا أجد في الأمر جرأة كبيرة فعلاً ، أن تأتيني إلى هنا هكذا من دون أي شيء. ولكن ما هكذا تسير الأمور.
- إدي: نحاس.
- برانكو: نحاس. ألا تعرفه؟
- إدي: وكيف هذا؟
- برانكو: لأنك تسأل ببغاء.
- إدي: لا ، أقصد ، لماذا النحاس ذو قيمة عالية؟

برانكو: النحاس هو المعدن الأكثر استخداماً، بعد الحديد والألومنيوم. ألا تقرأ الصحف؟ سعر النحاس ارتفع في نصف السنة الأخير نحو 50٪، لأن الصينيين يزيدون احتياطيهم منه وفائض الانتاج للسنة القادمة كلها دخل الخطة الصناعية، في العالم كله! والذي يحتاج الآن إلى نحاس، لن يحصل عليه. والحق على الصينيين الملاعين.

إدي: هكذا إذا.

برانكو: لكن هذا نحاس. ونحن نتحدث هنا عن أحجار. إذاً: لا أريد الآن أن أواجهك بحلٍّ آخر أو ما شابه ذلك، لأنني أودّك، لكن الأحوال ضيقة. أتفهم؟ لا حجارة معك ولا نقود. وهذا تضييق للوضع. وأنت تعرف لماذا يلقبوني التركي، رغم أنني صربي.

إدي: السكك.

برانكو: لنقل، خلال ثلاثة أو أربعة أيام، ثم لا بد من أن تقدم لي شيئاً، إما الأحجار أو النقود.

إدي: السكك أيضاً من نحاس.

- (إدي، إلن).
إلن:
إدي، أريد أن أحديثك في موضوع.
إدي:
أين كريں؟ أحتاج إلى دراجته وإلى عربة مقطورة.
إلن:
المقطورة الموجودة تابعة لدائرة البريد ولا يحق له استخدامها شخصياً.
إدي:
كل شيء يُملأ بالنحاس. هذا أفضل بكثير. المنطقة هي نفسها المنجم..
إلن:
انصت إلي قليلاً؟
إدي:
تحت الحشائش : ملايين. سندفع للتركي وللنحات وللمتعهد، ندبر حجارة جديدة، وقد يكتننا ترميم بعض الأشياء. أو على الأقل نجدد ونجعل المحطة. إلن:
إنها جميلة على ما هي عليه.
إدي:
لا بد من إضافة كشك هناك للصحف والآيس كريم والكولا ، ونافذة بموظف للخدمة بدلاً من هذه الآلة الغبية.
إلن:
لا يوجد هنا سواك أنت من يشتري بطاقات سفر.
إدي:
إذا أردتِ ، يمكنك أن تصبحي موظفة النافذة. وسنفصل لك لباساً جميلاً، بدلة وقبعة. سيناسبك هذا.
إلن:
المؤكد هو أنني لن أتمكن من الشغل في الزمن القادم القادمة.
إدي:
ثم نفتح نافذة ثانية ، وثالثة. وسلسلة مخابز وزاوية للشاورما ، ومحل صغير للمجوهرات الرخيصة ، ومحل (للموبایلات) ، ومكتبة ، ومركز خدمات ، ثم وكتبيج : (مکدونالد)! واو.
إلن:
واو. (مکدونالد). إدي ، لقد أجريتُ اختباراً.
إدي:
أي نوع من الاختبارات؟
إلن:
وهو إيجابي.
إدي:
إيجابي؟ يا للمصيبة. أتقصددين أنك... مصابة بالإيدز؟
إلن:
لا ، أنا حامل.

- إدي: هكذا إذن.
 إلن: نعم. ماذا سأفعل بالطفل؟
 إدي: ألا تریدينه؟
 إلن: طبعاً لا.
- إدي: ولكن إذا عمرنا المكان هنا، فسيصبح رائعًا. للأطفال أيضًا، قريب من الطبيعة، بعيد عن المواصلات. كنت أتمنى نشأة كهذه.
 إلن: ولكن طفل؟
- إدي: نعم طفل ما المانع؟ سترين. كريس وأنا سنجمع الآن السكك وعندما سيتغير كل شيء.
 إلن: أتعني هذا حقًا؟
- إدي: بكل المعاني. تمسكي إلن. شدي عزيمتك. الأمر رائع فعلاً، أطفال في لوكة.
 (إدي يغادر).
 إلن: لست أدري.

-18-

- كريس: (إدي وكريس في مكان ما بين لوكه وبين حشائش عالية.)
القطار الأحادي السكة ، فكرة جيدة. سنجدها بسهولة. معاً طبعاً. ومن الذي
ما زال يحتاجها؟ القطار من مختلفات الماضي الذي تلاشى منذ مدة بعيدة.
إدي: أنا سأقول لك. السكك الأربع أو الخمسة الأولى ، هل يمكننا تحملها على
المقطورة؟ التركي سيأخذها منا فوراً. فهو خير في مسائل النحاس. حتى ولو
خدعنا بالسعر ، فنحن لن نتمكن من إقامة تماثيل كثيرة ، بالسرعة نفسها
حصلونا على السكك. عليك أن تصور أن الطن الواحد يساوي 5000
دولار أمريكي. أي ... كم ستعادل... ربما 6000 أورو ، تقريباً. قد يدفع لنا
التركي ثلاثة آلاف ، أو ثلاثة ونصف ، كي يبقى له هامش ربح. لكن هذا
غير مهم ، لأن السكة الواحدة... هذا الجزء من المسافة ... يقارب وزن ألف
كيلو. يعني 3000 أورو للسكة. هذا هو المنجم. إنه ... كم كيلومتر هناك حتى
بلينغون؟
كريس: هنا.
إدي: ماذا؟
كريس: هنا يجب أن تكون ، في هذه المنطقة. إبحث أنت هناك ، وأنا بهذا الاتجاه.
إدي: آسف لمحاولتي هدم البيوت ، كريス. لو كنت أعرف حينها بأمر السكك.
كريس: هنا ، لنبحث.
إدي: شكرأً كريس. نحن الإثنان ، معاً ، كالسابق؟
كريس: إنها تحت سطح الأرض مباشرة. يمكن للإنسان أن يتاحسّسها بقدميه.
(يبحثان.)
إدي: كريس؟
كريس: ماذا؟
إدي: قد يصلنا أوائل السياح في السنة القادمة. تصور إذا ما انتشر الخبر. قد تحتاج
لبناء فندق. مع "ساونا" وملحقاتها. مركز صحي مثلًا.

كريس: ربما.

(يبحثان).

إدي:

أنا منفعل جداً، كريس. بهذه السكك يمكننا أن نوسع المشروع. سنحدد المنطقة كلها. سنجييها تماماً. وعندها لا يأتي السياح فقط؛ بل تجار التجزئة، ثم متعهدو الخدمات... تصور. متعهدو خدمات!

(يبحثان).

إدي: كريس.

كريس: ما الأمر؟

إدي:

شكراً لمساعدتك لي. وأنا أعني ذلك.
أنت لا تترك للإنسان خياراً آخر.

كريس:

صحيح، فعندما أصر على شيء... أنت صديق حقيقي.

كريس: كفى وابحث.

إدي: أوكي كريس. كلانا. هيأ بنا.

كريس: هيأ.

(يبحثان).

إدي:

هنا لا يوجد شيء. هل وجدت أنت شيئاً؟ كريس؟ كريس؟

كريس: نعم.

إدي: هل وجدتها؟

كريس: لا.

(يبحثان).

إدي: كريس؟ كريس؟

كريس: نعم.

إدي: هل يمكن لقطار كهذا أن يختفي؟ (يضحك) مجرد سؤال...

(يبحثان).

إدي: مرج، مرج، مرج.

كريس: هل وجدتها؟

إدي: لا ..

(يبحثان).

إدي:

أليس الأمر مدهشاً، عندما ينظر الإنسان إلى لوكه، يكاد فعلاً أن يتخلّى عن المنطقة، علماً بأنها مملوقة بأشياء قيمة. المبدوء، العزلة، المنظر الطبيعي، الأحجار، والآن السكل أياضاً. فجأة تدخل لوكه سوق النحاس العالمي. بورصة حقيقة وما شابه ذلك. الصين! لوكه جزء ضئيل من العالم ومع ذلك تدخل بكليتها في المعمرة. يكاد يقول الإنسان: من يعرف لوكه يعرف العالم... وأليس المنظر جميلاً هنا؟ في لوكه... في العالم... كريس؟ هل أنت متأكد أنها هنا؟ هنا لا يوجد أعمدة كهرباء، كريس. كريس...؟ أين أنت؟ كريس؟ خراء. هل تراني؟ هلو؟ كريس؟ أين تبحث يا رجل؟ هالو. في أي اتجاه... أين تقع... لوكه... في الشرق؟ الغرب؟ الجنوب؟ لوكه يمكن أن توجد في كل مكان، كريس؟ خراء. أنا هنا. هالو. انتظر، الجنوب يكون دائماً بين العقرب الصغير والرقم 12. بينهما تماماً. ها هو الجنوب... لا أحتاج الآن إلا إلى ساعة... كريس... كريس؟ أتعرف كم الساعة الآن؟ أما زالت ساعة يدي في حقيقة ظهرك؟... خراء... كل شيء حولي متشابه. كالبحر... بحر من الحشائش... أمواج من الحشائش. اللعنة. عندما يصبح هذا تابعاً لمنطقة المجتمع، سيكون علينا أن نضع لافتات. وإلا لتهان الإنسان. إضافة إلى الشمس التي تغشى البصر. كريス؟ هناك يوجد... ماء؟... هكذا إذا.. يتراءى لي ذلك... يا رجل... ما هذا!... ثم هذا الجموع... لا يمكن التعرف على أي شيء... في أي اتجاه كان... أينما نظرت أرى خططاً مستقيمةً بين المرج والسماء... يا رجل يا رجل يا رجل!... سيحب الناس هذا المنظر، كريس... أوووه، هل سمعت بذلك؟ أهو منك؟ أم من حيوان ما؟ من إحدى تلك التي تشبه القنديس؟ خراء. يالها من عدواية؟... يا رجل. ثم إنني... متعب، إذهب لترتاح... هذا... فمي جاف جداً... كل شيء هنا جاف.. إضافة إلى البعض... حلوا عندي يا... باه... حقول خرائية... ما عدت قادرًا... هل أنت أيضاً هنا... في مكان ما... هل وجدت... القطار... كريس... السكل...؟

(يتوجه إدي، ينام، يهلوس ويتعثر في طريقه، على الأقل، ثلاثة أيام (بلياليها) تحت حرارة حارقة عبر اتساع بلا نهاية).

إقصاء ثانٍ: أمثلة الكوخ

أوكسانا مالايا ولدت في الرابع من نوفمبر/تشرين الثاني عام 1983. جاءت إلى هذا العالم صحيحة البنية في المستشفى المحلي لبلدة نوفايا بلاغوفيشنكا في أوكرانيا، وكان وزنها عند الولادة 2 كيلو و611 غ. طوال ثلاث سنوات تقريباً نمت أوكسانا في بيت والديها المدمنين على الكحول، إلى أن نسيتها ذات ليلة في باحة البيت. وبمحض عن الحماية زحفت أوكسانا الصغيرة إلى مأوى كلبي وراء البيت. ومنذئذ تابعت الطفلة نموها بين الكلاب. صارت تأكل من القمامات وتلقت الشرب بلسانها وأن تمشي على أربع وأن تبع وتزجر، وتطورت لديها حواس السمع والشم والرؤية. وعندما تشعر بحكمة وراء أذنها كانت تحكها بقدمها. عاشت أوكسانا مالايا مع الكلاب طوال خمس سنوات في نوفايا بلاغوفيشنكا إلى أن حزم الجيران أمرهم وأخبروا الشرطة بالواقعة. وفي عام 1991 انتزع عاملان اجتماعيون أوكسانا من الكلاب تحت النباح والاعرض، وأحضراها إلى مشفى بارابوي للمتخلفين عقلياً في أوديسا.

كانت أوكسانا قد بلغت الثامنة من عمرها، وهي لا تعرف إلى نفسها في المرأة وتتقزز من الطعام المطبوخ، لكنها تعلمت هناك استخدام أدوات الطعام وارتداء الملابس والسير متتصبة والتكلم بجهد جهيد. ثم أخبر العمال الاجتماعيون أوكسانا بخليفة حالتها. أوضحاوها لها أصلها ووصفو لها الوضع والمكان الذي وجدها فيه. لكنها لم تستطع تذكر حياتها المبكرة، وكانت تعد نفسها طوال الوقت يتيمة متخلفة عقلياً تستحق الشفقة. كان طولها قد بلغ 150 سم بأسنان رديئة ومحبة خاصة للحيوانات. ومنذ أن عرفت أنها كانت ذات يوم كلباً لا ينتمي إلى جنس البشر هدأت وأخذت تلعن اليوم الذي أنقذوها فيه.

- 20 -

(إدي، البنك.)

البنك:

يا سيد زويس أنا مستشارك المصرفي الجديد. آمل أن تكون أحوالك أفضل من مظهرك.

إدي:

تيه كامل. الإنسان في الطبيعة. حاولت السير بالتجاه الشمسي ، هذا سبب الوجه المحرق. أتعرف ، يا له من منظر. لو كان هناك مجرد شجرة في مكان ما في الأفق كنقطة علام ، أي شيء يمكن أن يسترشد به الإنسان. أبداً ، لا شيء. إنها صحراء من الحشائش والأعشاب. على كل حال ، أنا... تلك... زهور القطيفة... أكلتها ، وتراب أيضاً. تراب الوطن. دخلنا هناك في العمق مدة ربع ساعة تقريباً ، واستغرقنا ثلاثة أيام للخروج منها ثانية. أقصد أنا ، كريس لا. يبدو أنه وجد طريق الخروج بصورة أسرع. المكان هناك مثل لجة. وهناك حيوانات أيضاً. شيء لا يصدق.

(يريه إدي جرح عضة.)

البنك:

يا سيد زويس ، وضعك المالي... مؤخراً في عائلتك. سلفي سجل هنا أنه لم يتبق الكثير.

إدي:

دعني أقول لك شيئاً ، أنا لم أشك مطلقاً أنني سأخرج من هناك ثانية. إذا تابع الإنسان طريقه باستمرار فلا بد أن يصل إلى مكان ما. هذا ما كنت أقوله لنفسي دائماً. إذا تابع الإنسان طريقه باستمرار فلا بد أن يصل إلى مكان ما.

البنك:

صحيح... إذاً ، لقد أخضعت بيت والديك للهدم ، وبذلك تكون قد بدأت آلياً عملية تصفية الإرث.

إدي:

هذا ما أردته في كل الأحوال. بسبب الأحجار.

البنك:

التي من ثم اختفت؟

إدي:

بالضبط.

البنك:

يا سيد زويس ... أنه... لن يصدقك أحد!

إدي:
البنك:
 وهذا ما أردته من السلك أيضًا. بسبب التحاس. لكننا أيضًا لم نجد لها.
 يا سيد زويس، إذا لم تظهر الأحجار، وقد قبضت ثمنها... كتحدير. عندها لا
 رحمة. إنها أملاك الدولة. سواء وصلت إلى آخر الدنيا أم بقيت عملياً في
 لوكة، فإنهم سيجدونك لا مفر. على سبيل التنبية... يقال إنك على اتصال
 بدوائر تركية معينة؟

إيدي البنك: إذاً... ثلات حورات، السيارة، معهد نقليات، محات، حساب تقديرى للتكليف من مكتب لخطيط المدن والخطوط الحديدية الألمانية. لقد استخدمت القطار كثيراً في الآونة الأخيرة.

صحيح، كان لا بد لي...
يا سيد زويس. بكل صدق. من أين سنوفر كل هذا حالياً؟ أخبرني !
لو ترى لو كه بعد نصف سنة ، فإنك لن تعرف إليها ثانية. إنها برصم وأنا
أرويه حتى ينهر .

يا سيد زويس. عندما يتضاعف المال بوتيرة متسارعة جداً يكون الوضع سلبياً.
اصبح إلى الآن قليلاً : لوكه جنة صغيرة غير مكتشفة ، ومفتوحها بين يدي.
أنت مندفع بكل ثقلك ، طوعياً. في مجالنا ، على واحدنا أن يكبح طوال سنة
عبر البلاد قبل أن يحصل على إدارة فرع. نوع من الطقس ، نسميه سلاح
المشاة. ولكن ليس هناك من يتطوع للخدمة فيه.

إدي: المعنى؟
البنك: الفرع، العائلة، بيت الإجازات. هذا كله يأتي بالتتابع.
إدي: وهنا أيضاً يمكنك أن تنشئ عائلة.
البنك: يا سيد زويس.

أو بيتاً لقضاء الإجازات. إنه رخيص جداً هنا.
إعمل على أن تغادر هذا المكان. عندك بداية تلتف النظر وطاقة حيوية، ولكن
عليك أن تستثمرها في مكان يجلب النفع. أما هؤلاء السكان الزومبي
فسيقرضون مع لوكه كلها في خمس سنوات.

- إدي: بالعكس. المستقبل يكمن في لوكه. سكان مرهقون تقدمت بهم السن يريدون قضاء إجازة داخل بلدهم. إلدورادو. كل ما أحتاجه هو تمثال.
- البنك: أي نوع من التماشيل؟
- إدي: ألا تعرف... يتحمل... قرضاً جزئياً...
- البنك: يا سيد زويس. لن أقام بإدارة فرعى من أجل لوكه.
- إدي: لوكه ليست مذنبة. لكن الأمور لم تسر على ما يرام، فدائماً كانت تظهر معوقات.
- البنك: هكذا؟ ألق نظرة إذاً. (يريه لائحة). هؤلاء أناس حاولوا خلال السنوات الأخيرة أن يبدؤوا شيئاً ما هنا. إما فشلوا أو ماتوا. الوحيد هنا الذي يكسب مالاً هو مزارع الحور.
- إدي: فيتis؟
- البنك: ألم تناقش الموضوع مع أخيك عندما أراد افتتاح متجر؟ أجهزة مسح طبوعغرافي للمنطقة كلها، علماً بأنه لا يوجد هنا من يملك سيارة! لا ترتكب نفس الأخطاء، مثل الذين حاولوا قبلك.
- إدي: أوفه خابرني قبل وفاته بقليل. لكنني كنت عندها مشغولاً.
- البنك: خذ وقتك الآن يا سيد زويس. نصيحة. إذ لم يتبق منه الكثير.

- 21 -

- (إدي وإن التي تحمل بيديها سناري حياكة طويلتين. ثم المديرة.)
- إدي: خراء.
- إن: ما بك؟
- إدي: كل شيء. كل شيء خراء.
- إن: لا تحمل الأمور أكثر مما تحتمل.
- إدي: وإنما؟ أتسكع، أحملق في الهواء بانتظار الخاتمة، أم ماذ؟
- إن: هكذا هي الحال هنا.
- إدي: لا، الحال ليس هكذا، حتى هنا. أنت هكذا. لكنني لست مثلكم.
- إن: الناس هنا إذاً، يتحملون الأمور بصعوبة.
- إدي: هذا هو الموقف بالضبط، وإن. وأنا لا أفهمهم. من الذي حشا عقولكم بهذا الخراء؟
- إن: بمحض جهودنا الشخصي.
- إدي: مع أنك، انظري إلى نفسك!
- إن: ما الأمر؟
- إدي: الحياة المفتوحة مشخصةً أمامي. شابة، جميلة، حامل. رائع. لا سبب للإحباط إطلاقاً.
- إن: لكنني لن ألدده.
- إدي: الأمر في رؤوسكم فقط. كيف يمكن للإنسان في منطقة بهذا الجمال أن يفكر بهذه البشاعة.
- إن: سأخلص منه، إدي. لن أنجب طفلاً إلى هذه الدنيا.
- إدي: ولماذا لا؟
- إن: وهي ليست المرة الأولى.
- إدي: لكنه شيء ثمين جداً. قصدي أن هذا طفل. وإذا كنت لا تريدينـه ...

- إليه ماذا سأفعل به؟
- (إدي يلتقط صورة بمواله. يُري الصورة لمديرة شركة الشامبو.)
- المديرة: تبدوان معاً كعائلة صغيرة.
- إدي: لكنني لست الأب.
- المديرة: أرى أن الأبوة تناسبك تماماً.
- إدي: لا حديث لديك سوى تأسيس عائلة. وأنا لا أريد ذلك إطلاقاً.
- المديرة: الإنسان يريد دائماً ما ليس لديه. من هو أبوه إذاً؟
- إدي: في مثل حالها لن تعرف في أبداً. حتى إنهن أنفسهن لا يعرفن ذلك.
- المديرة: يا لهذه الأوضاع!
- إدي: وأنتِ يمكنك تقديم المساعدة. يمكنك منح الصبي إمكانية أن يعيش في وضع أفضل.
- المديرة: أنا؟
- إدي: ألسْتِ من يقول دائماً، لا بد للإنسان أن يفعل شيئاً. ليس بالشامبو تتغير الأوضاع.
- المديرة: هذا صحيح. لكن ما فكرتُ به هو التبرع ببلغ ما، أو شيء من هذا القبيل.
- إدي: تبرع! ستسرّك بالبلغ، وتكون المساعدة قد ذهبت هباءً. ألم ترغبي دائماً بأن يكون عندك طفل؟ إذاً. فاما الآن أو أبداً. إنه يتناول اليد. وبهذا الشخص لن تحصل على أي طفل مستقبلاً.
- المديرة: الأمر مناسب فعلاً.
- إدي: بسعر الصدقة.
- المديرة: ومع ذلك فهو ليس رخيصاً. ثم إنني لست أدربي، فمن الناحية الأخلاقية، تقديم تبرع، لا عواقب له مثل اقتراحك. في حال التبرع يعرف الإنسان أن الصليب الأحمر يعني خيمة في مكان ما، وأنا من دفع ثمنها.
- إدي: ويبقى الطفل كذلك معك.
- المديرة: كنت أفكّر دائماً في أن أجده بنفسي، الطفل.
- إدي: ومع من؟

المديرة: ثم إني لا أريد أن انتزع شيئاً من أحد.

إدي: انتزاع هذا هراء. أنت تساعدين طفلاً على الخروج من أسوأ الأوضاع إلى حياة التربية والتعليم والرفاهية. هل تظنين أن هذه المرأة قادرة على تقديم

أي شيء لطفلها؟

المديرة: لست أدرى.

إدي: انظري إليها. هي ذاتها ينقصها كل شيء، فكيف ستقدر أن تعطي لغيرها؟
قطع النظر عن توفير ما ستعطيه.

المديرة: لكنها الأم.

إدي: لأنها تسمح دائمًا بأن يلتجأها أيٌ كان، في أي مكان كان وهي مغمورة. إنها لا تريد الطفل إطلاقاً. ماذا ستفعل به؟ هل ستسمد به أحواض الورود؟

المديرة: الريف يلدُ سكان المدن.

إدي: تقسيم مفيد للواجبات. كل حسب قدراته. هي لديها الوقت وأنت تربدين الطفل. أنت لا رجل لديك، بينما تُنكحُ هي باستمرار. أنت قادرة على إعالة الطفل وهي بحاجة لمبلغ من المال. من هذا المنظور تكون الحالة كاسبة لجميع الأطراف. أنت تكسبين وهي تكسب والطفل يكسب.

المديرة: صح. الطفل، فالأمر كله يدور حول الطفل.

إدي: وأنا أحصل على تمثالي.

- 22 -

(إدي وكريس.).

كريس: إدي. يا رجل. أنت هنا؟

إدي: ولماذا لا؟

كريس: هذه المروج... علماً بأننا نعرفها من الماضي. لكن الحشائش آنذاك كانت تأكلها الأبقار عن آخرها.

إدي: والمعنى؟

كريس: يؤسفني أننا لم نجد السلك.

إدي: أوكي أوكي.

كريس: والحال، لا سلك، لا حجارة، لا تمثال، لا بُسط، لا سياح، لا تطور. أنا آسف.

(سكون.)

كريس: وبدلاً من ذلك تبقى السكينة.

(سكون.)

كريس: كم ستبقى؟

إدي: ما يكفي.

كريس: أنت رجل عنيد، إدي. إدي سباغتي. آخر آل زويس. ليس من السهل كبح جماحك.

إدي: أتراني غبياً، كريس؟

كريس: لماذا؟

إدي: أوفه خابرني قبل موته بقليل.

كريس: نعم... أوفه...

إدي: رغم أن المكالمات من هنا مستحبة. لا يوجد تغطية في المنطقة كلها. ثقب اتصالات هائل. وكان يلهث بشدة، لعدم تمكنه من التنفس. وقال لي إنهم سيأخذون الأجهزة الطوبغرافية وأن ساقيه ثقيلتان. لهذا ظنت في البداية أنه كان يركض.

كريس: رغم أن السبب كان الدوالي.

إدي: الدوالي لا تنفجر هكذا ببساطة، ليس في عمره. قاماً كندرة اصطدام السيارات الجديدة، الخارجة من المعمل الآن، بأشجار الحور.

كريس: الأمر يتعلق بنـ كان يقود السيارة.

إدي: أنت من /

كريس: أنا مازا؟

إدي: أنت من وجدـه ، كريـس.

كريـس: مع فيـتس.

إـدي: أـين ؟

كريـس: فيـ الكراج ، حيثـ الأجهـزة.

إـدي: المـكان الـوحـيد حيثـ يـمـكن للـإـنسـان أـن يـخـابـرـ هوـ عـندـكـ.

كريـس: ولـكنـ لـلـأـمـور الرـسـميـة فـقـطـ.

إـدي: -

كريـس: ماـذا تـقـصـدـ بـذـلـكـ ؟

(انتظـارـ).

إـدي: كـيفـ يـمـكـنـ لـلـإـنسـانـ أـن يـصـبـحـ هـكـذاـ ؟

كريـس: النـطـقـةـ هـنـاـ تـغـيـرـتـ ، أـلاـ حـظـتـ !ـ النـاسـ يـقـوـنـ طـوـيـلاـ وـحـدـهـمـ هـنـاـ ، وـيـعـتـادـونـ عـلـىـ ذـلـكـ ، يـنـزـلـونـ.ـ تـصـيرـ تـصـرـفـاتـهـمـ غـرـبـيـةـ.ـ يـعـدـوـنـ الغـرـبـاءـ شـيـئـاـ جـدـيدـاـ عـلـيـهـمـ ، وـالـجـدـيدـ فـيـ نـظـرـهـمـ غـرـبـيـ.ـ هـنـاـ تـسـيرـ الـأـمـورـ بـشـكـلـ مـخـلـفـ.ـ وـهـنـاـ يـخـلـونـ المـشاـكـلـ بـصـورـةـ مـخـلـفـةـ.

إدي: كان عجيباً أن أخرج من تلك المروج ثانية ، أليس كذلك؟
(انتظار).

كريس: لم يكن الأمر مقصوداً بهذا الشكل. ولكن ربما كان من الأفضل أن تتركنا الآن بحالنا. يبدو أن الأمور قد تجاوزت قدرتك على التحمل ، نوعاً ما.
مسألة أخيك ، ووالديك ... فكرتك ... كل شيء مات.

(انتظار).

إدي: لن أترككم بحالكم ، كريس. لقد دبرت المال. من دون حجارة ، ودون سكك. المال معي. وسأبني التمثال ، وسأنصبه هنا في ساحة البلدة.
وسيستلقي الناس بالآلاف على بسطي. هكذا سيكون الأمر كريس.

23

(إلن ومديرة شركة الشامبو).

الن

الصيف عندنا فصل جميل ، أتعرفين . لأن كل شيء يزهر ، هكذا ، ينمو ويزهر ويشرق . أحياناً قد يضل سائق دراجة طريقه إلى لوكة ، فأدله على الطريق وأساعده في الخروج . إنها صغيرة جداً ، ومع ذلك يضل الناس طريقهم إلينا ، دائمًا .

المديرة: و إدري؟ أما عدت ترينه؟

إِنْ: أَتَهُمْ بِعَنْ

فیتس: **هالہ ادی**

اُدی:

الآن: نقل سمعته. هناك في لوكه يوجد شارع طويل يربط الميناء القديم بالمحطة، وإيدي كان يرغب دائمًا في تحويله إلى «منتزه السكينة». وفجأة ظهر في منتصف الليل في الشارع وأخذ يزرعه جيئة وذهباء، جيئة وذهباء، جيئة وذهباء. وكأنه شبح، وأخذ يصرخ. لا أدرى ما إذا كان مسلحًا أم كان يمشي فقط.

فيتis: ألا ترى أن البلدة أصغر من أن تتسع لنا جميعاً معاً؟

إدي: أنا لا أراها صغيرة أبداً.

كريس: لكـ السـكانـ هناـ قـليلـونـ حـداًـ

إادي: لا يوجد هنا سوى السكان الخطأ.

لِنْ: لم يغمض أحد عينيه في تلك الليلة. الجميع كانوا مستلقين في أسرتهم متيقظين يسمعون صراخه. أضواء الشوارع لا تناور في لوكه، لأنه لا يوجد أحد يتسلّك في الخارج، ولهذا كان وحده تماماً، يصيغ في الشوارع المعتمة: كيس... فيتسر... إنـ...

- فيتis:** أتعرف ، ظننا أننا نساعدك على الخروج. نحن نحب أن يبقى الغرباء في الخارج بعيداً عنا.
- إلن:** يصبح أسماءنا طوال الوقت ، والظلم دامس. نسمع وقع خطواته وصوته :
- كرييس:** كرييس ، فيتis ، إلن ... أنا متأكدة من أنه كان يعرف أن الجميع يستمعون . هذه الأفكار التي تأتي بها دائمًا .
- كرييس:** من أين تأتي بهذه الأفكار ، بهذا الإبداع؟
- إلن:** تسللت إلى النافذة وحاولت أن أراه. أحياناً كنت أظن أنني أرى شيئاً ما ، ظلاً كثيماً ، رماديًا أو أسود.
- فيتis:** تصور أن يصييك مكروه ما.
- كرييس:** سيكون الأمر فظيعاً.
- إدي:** نعم ، سيكون فظيعاً.
- إلن:** فكرت بالخروج إليه ، لأقول له أن عليه أن يتوقف. لكنني لم أجربه ، فقد بدا كالجنون.
- فيتis:** عائلة بأكملها تنتهي هكذا ببساطة. تندثر.
- إدي:** حسب وجهة النظر.
- إلن:** ناداني أنا. صاح : أيتها العاهرة الصغيرة.
- كرييس:** الأمر كله يتعلق بأفكارك ، أتعرف. لأنها لا تنتهي.
- فيتis:** وكأنها مدموغة في رأسك ، كاللوشم.
- إدي:** ربما كان هذا حال الأفكار الجيدة ، لا يسهل نسيانها.
- إلن:** ثم صاح : فيتis الأمر يحتاج إلى مزيد من خشب الحور. النعوش الثلاثة لم تكن كافية. يحتاج الأمر إلى رابع ... وخامس ... (تابع العد).
- فيتis:** وماذا سنفعل الآن؟ لخرجها من رأسك ، هذه الأفكار؟
- كرييس:** أعندهك فكرة أيضاً لذلك؟
- إدي:** من الصعب أن تخرج من هنا.
- إلن:** الشارع يبدو مثل خرطوم المياه والبيوت على جانبيه يميناً ويساراً ، بحيث لا يتسرّب أي صوت. وهو يصيح : وعاشر... وحادي عشر... وحتى عندما

كان يهمس : ... وثاني عشر... وثالث عشر...
 (انتظار).

إلن: ثم ساد السكون !
 (سكون).

إلن: وجده كريس وفيتس. كان مستلقياً بين القصب على ضفة النهر باتجاه المصب. قال كريس إن الجرح في الرأس يدل على أنه ربما قد سقط في الماء فشج رأسه. نهر لوك في لوكه ليس عميقاً. وكان الجو مظلماً جداً، والتربة زلقة ...

المديرة: هنا فظيع.
 (انتظار).

إلن: كثير من الناس لا يتحملون العيش في بلدات كهذه. يعدون أنفسهم أكبر منها بكثير. أو تكون البلدة أصغر مما يطيقون. ما كان على إди أبداً أن يعود.

المديرة: قال لي ذات يوم : ظنت أنني قادر على أن أخلع عني بلدتي كجلد عتيق ، لكنه ينمو مجدداً.

إلن: نعم ، يصعب أن يحب الإنسان بلده إذا كان اسمها لوكه.
 (انتظار). تعطي المديرة لإلن النقود وعبوة شامبو للشعر المرهق. إلن تعد النقود ثم تنظر إلى الشامبو. تشكر المديرة من دون كلام.

المديرة: ماذا ستفعلين بالنقود. هل خططت لأمر ما؟
 إلن: -

المديرة: القيام برحلة مثلاً؟
 إلن: لا ، ما زال عند والدي صالون حلاقة. سأجدهم ثم أفتحه مجدداً. سيكون صالوننا جميلاً فعلاً.

النهاية

متابعات وأخبار أدبية

- متابعات أوسكار وايلد ت: توفيق الأسد
- رسالة وداع غابرييل غارسيا ماركيز ت.د. فؤاد عبد المطلب
- أخبار أدبية هـدى أنتىبـا

أوسكار وايلد

باحث في الأدب الكلاسيكي

دانيل منلسون

ترجمة: توفيق الأسدي

مناسبة صدور كتاب "نساء هوميروس" من تأليف أوسكار وايلد (1854 - 1900) وتحرير "توماس رايت" و"دونالد ميد، في لندن، عن "جمعية أوسكار وايلد" في (103) صفحات؛ وصدور كتاب : "كيف حددت القراءة حياة أوسكار وايلد" ، لـ "توماس رايت" عن دار "جون ماكري/هولت" في (370) صفحة، نشر "دانيل منلسون" المقالة التالية :

حين سئل عما ينوي أن يفعله بعد أن ينهي دراسته في جامعة أكسفورد، قال أوسكار وايلد الشاب – الذي كان قد سبق له واسתרه ليس فحسب كشخصية مستهجنة ؛ بل أيضاً بسبب إنجازاته اللامعة كباحث في الأدب الكلاسيكي – أوضح الاتجاه الذي تدفعه إليه طموحاته : قال ابن الثالثة والعشرين ربيعاً لصديقه المخلص "ديفيد هنتر بلير" الذي سأل وايلد عن خططه لما بعد التخرج : "الله يعلم أني لا أريد أن أكون معلماً جامعياً مجففاً في أكسفورد على أي حال. سأكون شاعراً أو كاتباً أو مؤلف مسرحيات. بشكل ما أو آخر سأصبح شهيراً، وإن لم أصبح كذلك، سأصبح سيئ السمعة".

كما نعرف، فإن تنبؤه سيتحقق على نحو مشهدي: فقد سارت حياته القصيرة كالشهاب - شأن شخصية في إحدى التراجيديات الإغريقية التي تمكّن هو من ترجمتها بسلامة كبيرة وهو طالب بعد - من الشهرة إلى سوء السمعة، ومن الانتصارات المُسكرة في الأيام التي تلت تخرجه من أكسفورد، حين كان قد سبق له وأصبح شهيراً، إلى تلك الأيام التي شهدت حماكماته وسجنه. ولكن بالنسبة إلى أولئك الذين عرفوه في ذلك الحين، فإن رفض وايلد المشدّد لحياة البحث الجامعي لا بد وأنه كان في حينه نوعاً من المفاجأة.

وعلى أي حال، فقد أبدى براءة كبيرة في مجال الكلاسيكيات منذ البداية. فقد نال في "مدرسة بروتوريما الملكية"، حيث أرسل في عام (1864)، قبيل الذكرى العاشرة لولده، الوسام الكلاسيكي لترجماته المرتجلة عن مسرحية "أغامون" لأسخيلوس (الtragidya التي أحبّها أكثر من التراجيديات الأخرى كافة). كما نال "جائزة كاربنتر" لأداءه المتفوق في امتحان "العهد الجديد اليوناني". فيما بعد، في "كلية ترينيتي" في دبلن، نال الدرجة الأولى في امتحان الكلاسيكيات في السنة الأولى الجامعية، كما كسب "ميدالية بيركلي الذهبية" مقابل بحثه في موضوع "أجزاء غير مكتملة من تصاویر الهزلية الإغريقية". كان يرهن هذه الميدالية بين الحين والآخر حين يكون في حاجة إلى النقود، ولكنه استطاع على الدوام أن يستعيدها، ثم احتفظ بها حتى نهاية حياته.

تُوحِي أنشطة وايلد التي تلت مغادرته لأكسفورد على نحو مباشر، بعدم الرغبة في التخلّي تماماً عن عالم "العلميين الجامعيين المحققين". وبينما كان يجتاز كل الوسائل ليقى في عمل مأجور، كتب إلى صديقه القديم "جورج ماكميلان"، وهو ينتهي إلى أسرة الناشر الشهير، يعرض عليه القيام بمشاريع كان من شأنها أن ترهب باحثين ناضجين في مجال الكلاسيكيات ومن هم في مثل ضعفي عمره: مثلاً ترجمة جديدة للمؤرخ هيرودوت وطبعه جديدة من "جنون هرقل" و"عذاري فينيقيات" ليوربيديس. وقد قدم طلباً لم يلق القبول للحصول على منحة لدراسة علم الآثار: كان قد شارك في عام (1880) في عرض مسرحية "أغامون" حضره كل من الشاعرين الشهيرين "روبرت بروانينغ" و "الفرد تيسون".

والآن لدينا هذا الكتاب المنشور حديثاً "نساء هوميروس" من تأليف وايلد، وهو بحث جيد إنما غير مكتمل عن الشخصيات السائبة لدى هوميروس يذكرنا مرة أخرى

إلى أي حد دعمت دراسة وايلد للكلاسيكيات تلك الحساسية التي جعلته مشهوراً. من حسن الحظ أن قدرات وايلد اللغوية كانت رائعة فعلاً، كما أتيح له عدد من المدرسين اللامعين ومنهم "القس ج. ب. ماهافي" في كلية ترينيتي الذي كان عالم كلاسيكيات متميزاً ومهتماً على نحو خاص بالأدب الإغريقية القديمة المتأخرة، كما كان صاحب نكتة حاضرة وظرف مما جعل تلميذه الشاب يعجب به.

في عام (1874)، نشر ماهافي كتاباً اسمه "الحياة الاجتماعية في بلاد الإغريق" تبني فيه رؤية عن حضارة الإغريق تفيد بأنها أكثر من مجرد ضريح فخم من الثقافة؛ بل على أنها "ذخر لكنوز من الأصول والأشكال التي يجب على علماء النحو المقارن أن يدرسواه بإمعان". ولكن رغبة ماهافي في التعرف من كثب على حضارات البحر الأبيض المتوسط – وكان ذلك أمراً جديداً في تلك الأيام – جلبت سوء الحظ لوايلد الشاب. ففي ربيع عام (1877)، رافق "وايلد" أستاذاه السابق ماهافي في رحلة إلى إيطاليا واليونان. بعد العودة إلى جامعة أكسفورد، عوقب "وايلد" بالطرد المؤقت من الجامعة ولفصل دراسي واحد، حيث كان يدرس الآداب الكلاسيكية الإغريقية. وقد علق أحدهم على هذه الحادثة قائلاً: "لقد طرد من أكسفورد لأنه أول طالب في السنة الأخيرة من الدراسة الجامعية يزور جبل الأوليمب."

خلال دراسة "وايلد" في جامعة أكسفورد نشر الناقد والشاعر "جون أدينغتون سايمونز" (1840 - 1893) كتاباً في مجلدين تحت عنوان "دراسات في الشعراء الإغريق" (1873 - 1876). وقد نال هذا الكتاب شهرة كبيرة بأسلوبه العاطفي والشخصي وحماسته. كما حثَّ قراءه على زيارة مدن البحر الأبيض المتوسط، حتى يتمكنوا من الإحساس بتلك العلاقة التي ما تزال موجودة هناك مع الحضارات القديمة. وقد نشر سايمونز عام (1874) كتاب الرحلات المسمى "رسوم ودراسات عن إيطاليا واليونان" في ثلاثة مجلدات.

يحتل "نساء هوميروس" مكانه بين عدد من الكتابات الكلاسيكية المبكرة التي تكشف جيداً عن جداره فكرية ونقدية مبكرة النضوج لدى وايلد، فقد بدأ بكتابته ولم يكن قد بلغ الثانية والعشرين من العمر. ويعدُّ هذا الكتاب رائعاً بالفعل بسبب تبانيه المنشـع مع التهويـات المـبـذـلة لـساـيمـونـزـ الذي لم يستطـعـ أنـ يـرىـ السـخـصـيـاتـ النـسـائـيـةـ

المرّزة لدى هوميروس (هيلين وبنيلوبي ونوسيكا العذراء)، إلا كشخصيات كرتونية تمثّل أمّاطاً تقليدية للأوثة، وليس لها السبب فحسب.

إذا أخذنا ساميونز كحتاج لتلك الفترة "علم الجمالية" تُعدّ آراؤه جيدة فيما يخص ملامح معينة في شخصية هيلين. فهو قادر على الوصف الصحيح للطريقة العجيبة والمدهشة، التي تصرف بها هيلين "التي لا تتأثر بالغضب الذي تثيره ولا بدمار الإمبراطوريات، التي انهارت بسببها". ولكن بينما هو قادر على الحكم على هيلين الإلياذة على أنها الرمز المجرد لقوة الجمال الصرفة في هذا العالم، إلا أنه لا يكن أي شعور لهيلين الأشد رقة في "الأوديسة" والتي يقول عنها ببلاهة كارثية: "تخسر شخصية هيلين الكثير من فتنها وتصبح أكثر تقليدية".

هنا يشير "ساميونز" إلى ظهور "هيلين" في الفصل الرابع الذي يأتي فيه الشاب "تلماخوس" ابن أوديسيوس لزيارة مينيلاوس ملك إسبارطة وزوج "هيلين" سعيًا وراء أخبار عن أبيه التائه منذ زمن طويل. سيكون من الصعب في الحقيقة أن نجد مشهدًا أكثر تأثيرًا وأقل تقليدية في كل ما كتبه هوميروس. في بينما تقوم هيلين ومينيلاوس بإمتاع الشاب الحزين بحكايات الحرب، وذلك للتظاهر بأنهما يشاركان ابن أوديسيوس، الذي لم يعرف أباه قط، حكاياتهما عن تلك الحرب. ولكن حديثهما المتداول يوحى بدقة بارعة بأن زواجهما ما زالت تمزقه التوترات بعد فترة طويلة من عودة هيلين إلى موطنها مع زوجها. يتتجاهل ساميونز هذا كله ... ولا يستنتج شيئاً من حقيقة أن هيلين قد دست في نبيذ ضيوفها نوعاً من العقار المهدئ قبل أن يبدأ قص الحكايات: وليس هذا ما يمكن أن يُسمى "تقليدياً" بالمرة.

كما أن رأيه في بنيلوبي، بطلة "الأوديسة" التي صبرت طويلاً على المعاناة، مبتذل أيضاً. فهو يرى أن "الميزة الأهم في شخصية زوجة أوديسيوس حبها القوي ليتها وارتباط يكاد يشبه ارتباط المرة منزلها". إنه يراها أقل فتنـة وسحرًا من هيلين.

لا يجد ساميونز ما هو مثير للاهتمام إلا في نوسيكا الأميرة العذراء التي تتقذ أوديسيوس الذي يلفظه البحر على شاطئ جزيرتها، بعد أن تتحطم سفينته. يقول ساميونز عنها: "العذراء الأكمـل والأـشد نقـاء والأـطهر والأـكثر جذـلاً بين بنـات الحـكايات الرومانـسية الإـغـرـيقـية". في هذا التقييم كما في تقييماته الأخرى لنساء هوميروس يبدو

سايمونز ضحية لفنتازيا العصر الفيكتوري الوسيط عن النساء ورغبتها الخاصة في إضفاء صورة كاريكاتورية عنهن.

يكشف رد فعل وايلد على نص سايمونز تلك الصراوة الشديدة نفسها، التي تميز هجومه على المؤرخ البريطاني "أغلانتين جب". فهو يبدأ بتذمر نافذ للصبر متقدماً فشل سايمونز في أن يشمل في دراسته عن هيلين كل النصوص ذات الصلة. وما يجعل مقالة وايلد مدهشة حقاً هي وممضاته التي تدل على ذكاء حاد وقدرة أصلية على التفسير والتأنويل.

في مناقشته لشخصية هيلين، كان سايمونز قد جادل بأن مسرحية مفقودة لسوفوكليس مؤلفة من ثلاثة أجزاء تدور حول هيلين، كان من شأنها أن تقدمها "كاميرا تستحق أعمق تحليل" ... وهذا افتراض يتناصف تماماً مع التقييم المعاصر لذلك الكاتب المسرحي على أنه معلم كبير في مجال رسم الشخصيات. ولكن وايلد يرد على هذا بشكل مفاجئ إنما بعدل قائلاً: "التحليل العميق" أمر لا يمكن توقعه بالضرورة من ذلك الكاتب المسرحي الأثيني العظيم فيما يخص شخصية "أنتيغونه": "لا أعتقد إلا بالكاد بأن رسمه لشخصية أنتيغونه في المسرحية التي تحمل اسمها توسيع تعبير (التحليل العميق)". وأعتقد أنه على حق في هذا.

الملاحظة الأكثر لفتًا للانتباه التي يقدمها وايلد في ردّه على قائمة سايمونز من نساء هوميروس هي تلك المتعلقة ببنيلوبي، الشخصية التي يظهر أن سايمونز لم يفهمها بعمق. يعلق وايلد على ما يسميه "المسألة النفسانية الدقيقة جداً"، التي يثيرها هوميروس عن تلك الشخصية والتي "تكشف أن هوميروس قد درس بدقة طيبة النساء". فعوضاً عن صورة المرأة الهدائة المحبة للمكوث في البيت، فإن بنيلوبي كما يفهمها وايلد هي في الواقع متحررة إلى حد غريب بسبب معقلتها: يوقد الغزل اللامتاهي من قبل خاطبي ودها خلال غياب أوديسيوس تلك الصفات التي تجعلها زوجة مثالية لزوجها كما ويشحذ تلك الصفات. (يجدر سايمونز تصرفاتها الماكنة على أنها مثيرة للغضب. لقد جعلتها السنوات العشرون التي قضتها من دون أوديسيوس تشعر بالوحدة حقاً، ولكنها هي التي جعلتها تحتل مركز الاهتمام). يقول وايلد ب بصيرة علم - نفسانية قد تكون مدهشة حتى لو كتبها شخص أكبر سنًا وخبرة بكثير: " رغم

أن عودة أوديسيوس هي اكمال الحكاية إلا أنها شكلت نوعاً ما انهياراً في حياتها: فالآخر الذي كانت تشغله قد انتهى.

أدرك هوميروس هذا بوضوح رغم أن سايمونز لم يدركه. فهو ميروس يعطي بينيلوبى عدداً من المشاهد التي تظهرها متعددة فيما يخص خاطبها ودها، فهي تستمع كما يقول الشاعر باهتماماتهم، وإن كان ذلك على نحو غير واع. ففي الفصل (19) مثلاً، تسرّ ملكة أوديسيوس إلى الشحاذ - وهو في الحقيقة زوجها المتخفي - عن حلم سبق أن رأته وفيه يهاجم نسر جبلي عشرين أوزة أليفة كانت هي ترعاها بمودة: لا شك أن الأوز كان يرمز إلى خاطبيها والنسر إلى أوديسيوس.

يندب وايلد فشل سايمونز وكثير من النقاد المعاصرين الآخرين في إدراك هذه الناحية المتناقضة في شخصية بينيلوبى:

((القد أسيء فهم ذلك تماماً على أي حال من قبل السيد سايمونز وكذلك بالفعل من قبل جميع الكتاب الآخرين، الذين قرأت ما كتبوه. وهذا يظهر لنا كم كان توقعها عظيماً، وكم كان رهيباً ألم روحها، مما يجعل كشفها في النهاية لشخصية أوديسيوس الحقيقية أعظم تأثيراً إلى حد مضاعف.))

إن قدرة وايلد على تمييز ما هو كامن تحت المواقف المفروضة على النساء من قبل المجتمع، والحدود المذهبة للعواطف غير المتوقعة هي التي ستجعل مسرحيته "أهمية أن تكون جاداً" أكثر أعماله أصالة ونجاحاً من الناحية الفنية.

قال وايلد إذاً: "القد أسيء فهم ذلك تماماً على أي حال من قبل السيد سايمونز وكذلك بالفعل جميع الكتاب الآخرين، الذين قرأت ما كتبوه؟؛ وهذا الإعلان المترع بالثقة بالنفس، يوحي بالسبب الذي جعل هذا النص الهام "نساء هوميروس" المنسي منذ وقت طويل مثيراً للاهتمام إلى هذا الحد. إن المواجهة بين وايلد وسايمونز هي في النهاية مواجهة بين عصرين. ففي رفض وايلد لأفكار سايمونز وغيره من الكتاب، نستطيع أن نسمع على نحو مسبق ليس صوت الكاتب الناضج، الذي يرفض بمرح تقاليد عصره الفكرية والاجتماعية، ولكن أيضاً صوت النقد الذي لم يول بعد، والذي يشكك في الفرضيات السائدات عن الأسلوب والشرائع والجنس. يبدو هذا النص الشاب، شأن أفضل أعماله التي كتبها في فترة نضوجه، وكأنه قفزة كبيرة إلى الأمام من القرن التاسع عشر إلى نهايات القرن العشرين.

رِسَالَةُ وَدَاعٍ

غابريل غارسيا ماركيز

ترجمة: د. فؤاد عبد المطلب

تمتاز أعمال الكاتب الكولومبي غابريل غارسيا ماركيز بسحر خاص، فقد صنع من الكلمة الأدبية بالأسبانية روايات وقصص ستبقى خالدة في سجل الأدب العالمي. (مائة عام من العزلة)، (خريف البطيريك)، و(الحب في زمن الكوليبر)، والعديد من الروايات والقصص وسيناريوهات الأفلام والتحقيقـات الصحفية، قدمها ماركـيز لقراءـه في كثير من بلدان العالم. وعندما أعلـن عن فوز ماركـيز بـجائزـة نوبل لـلـآدـاب لـعام 1982 ، كانت أعمالـه قد تـرجمـت إـلى لـغـات عـدـة. كان عـدـد كـبـير من المـهـتمـين العـرب قد قـرـؤـوا روـايـته العـظـيمـة (مائة عام من العـزلـة)، التي عـدـت أـهم روـايـة صـدرـت بالـلـغـة الإـسـپـانـيـة بعد روـايـة سـرافـانتـس (دون كـيـشـوت). التـزـم مـارـكـيز بـقـضـايا مجـتمـعـه، وـالـإـنـسـانـ فيـالـعـالـمـ كـلـهـ. وـتـدـورـ مـوـضـوعـاتـ أـعـمـالـهـ حـوـلـ الشـرـكـاتـ الـاحـتكـارـيـةـ وـزـرـاعـةـ المـوـزـ وـالـعـلـاقـاتـ الإـنـسـانـيـةـ، بـمـخـتـلـفـ أـلوـانـهـاـ وـبـخـاصـةـ المـأـسـاوـيـةـ وـالـعـاطـفـيـةـ مـنـهـاـ: وـتـبـرـزـ "ـماـكونـدوـ"ـ الـقـرـيـةـ أوـ الـمـدـيـنـةـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ طـرـفـ مـنـ أـطـرـافـ كـوـلـومـبـياـ الـمـنـسـيـةـ كـفـاسـمـ مشـتـرـكـ فيـ روـايـاتـهـ، كـمـاـ يـنـسـحـبـ ظـلـهـاـ عـلـىـ قـصـصـهـ أـيـضاـ، فـمـاـذـاـ تـمـثـلـ "ـماـكونـدوـ"ـ فـيـ الـوـاقـعـ الـعـيـانـيـ؟ـ أـهـيـ قـرـيـتـهـ "ـأـرـاكـاتـاـكـاـ"ـ، أـمـ كـوـلـومـبـياـ، أـمـ أـمـريـكاـ الـلـاتـينـيـةـ؟ـ وـتـخـتـلـفـ

الآراء والنظريات حول جوهر هذا المكان، الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتعاقب أو تلتزمان الأحداث لتصبح فيه مسرحاً للحياة الفعلية. إن عالم ماركيز مفعم بالحركة النابضة والمعجزات والغرائب التي يتقبلها الجمجم بمحنة ورضا.

تقاعد ماركيز من الحياة العامة لأسباب صحية، فقد أصابه مرض عضال؛ الشفاء منه نادر الحدوث. وكان قد بعث مؤخراً برسالة وداع إلى أصدقائه ومعارفه، ثم تناقلتها وسائل الإعلام. استلمت هذه الرسالة من صديق عبر البريد الإلكتروني، ورأيت أن أنقل تأملات غابرييل ماركيز وتبصراته الجميلة في الحياة، التي هي حقاً جديرة بأن تغناش. فقد كتب هذا العبرى وهو يقول وداعاً إلى الأبد:

رسالة وداع

لو أنَّ الربَ ينسى برهةً قصيرةً أني أصبحت رجلاً عجوزاً
ويمنعني شيئاً من حياة جديدة ،
فإنني سأعيشها بكل جوارحي.

حيثٰنِدِ لَنْ أَفْصَحْ عَنْ كُلْ مَا يَدُورُ فِي خَاطِرِي،
لَكَنِّي عَلَى الْأَغْلَبْ سَافَكَرْ فِي كُلْ مَا أَقُولُه
سَاقَوْمُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ أَجْلِ قِيمَتِهَا؛ بَلْ مِنْ أَجْلِ مَعَانِيهَا.
سَأَنَامْ قَلِيلًاً، وَأَحْلُمْ كَثِيرًاً،
ذَلِكَ لَأْنِي أَعْرَفْ أَنَّنَا فِي كُلِّ دِقَيْقَةِ نَغْمَضْ فِيهَا أَعْيَنَا.

نضيئ ستين ثانية من النور.

سادخل أرضاً أحجم الآخرون عن المضي فيها،

وأسْتِيقظُ عَنْدَمَا يَنْامُ الْآخِرُونَ،

سانصت عندما يتكلم الآخرون،

وإلا فكيف أستمتع ببوظة الشوكلاه المثلجة.

لو ينحني الله نفحةً من حياة جديدة،

فإني سألبس ثياباً بسيطة ،
وسألقي بنفسي في وجه الشمس ،
غير تاركٍ تحت رحمتها جسدي العاري فحسب ؛ بل وروحى أيضاً .
يا رب ، لو كنتُ حينئذِ أملك الشجاعة ، لكتبتْ كراهيتى على الثلج ،
وانتظرت حتى تمحوها أشعة الشمس .
وفوق النجوم سأكتب قصيدة مثل بينديتي بألوان حلم من أحلام فان غوخ ،
وأهدى أغنية سيريناد^{*} للقمر ، أغنیها ليلاً في الهواء الطلق ،
مثلك عاشق تحت نافذة محبوبته .
ساسقي الأوراد بدموعي ،
كي أشعر بوخر شوكها ،
وبتقيل بتلاتها الحمراء .
لو يمنعني اللهُ شيئاً من حياة...
فلن أدع يوماً واحداً يمر دون أن أقول للناس
إنني أحب أن أحبهم
وساقعن كل امرأة ورجل
أنهم هم من أفضل ،
وأخبرهم إلى أي مدى أحبهم ولن أنساهم .
وسأثبت للناس كم هم مخطئون عندما يظنون
أنهم يتوقفون عن الحب عندما يكبرون في السن ،
وأنهم حقيقة لا يكبرون في السن إلا عندما يتوقفون عن الحب !

* السریناد : لحن يُعزف أو يُغنى ليلاً Serenade في الهواء الطلق ، وبخاصة من قبل عاشق تحت نافذة محبوبته .

للطفل سأقدمُ أجنحةً ،
لكتبني سأتركه يتعلم وحده كيف يطير.
و سأقول للعجز إن الموت لا يأتي عندما يبلغ من العمر عِتيّاً ،
لكنه يأتي عندما يبدأ بالنسّيـان .

لقد تعلمت الكثير منكم جميـعاً أيها الناس ...
فقد تعلمت أن كـلاً منا يرحب في العيش على قمة الجبل ،
ولكن من دون أن يعرف أن السعادة تكمن في محاولة تسلقه .

وتعلمت أن الطفل الوليد عندما يقـبض
أول مرـة بكـفه الفضـة على إصبع والـده ،
فإنه يأسـره إلى الأـبد .

وتعلمت أن للمرء الحق في أن ينظر إلى إنسان أدنـى منه
فقط عندما يكون واجـباً عليه مساعدـته للوقوف على قدمـيه .

ولكن لا يـغدو لهـذه الأشيـاء حـقيقة أـية قيمة ،
عـندما أـقوم بـوضعـها في هـذه الحـقـيـة الصـغـيرـة
وـقتـئـلـ سـامـوتـ وـأـنا غـيرـ سـعيـدـ .

غابرييل غارسيا ماركيز

متابعات وأخبار أدبية

ترجمة وإعداد: هدى أنتيبا

١ - على خطى "هيرودوت..."

شهد القرن التاسع عشر ولادة ما يسمى ثقافة الترحال والتجوال.. إلا أن الجميع يتناسى أن هذا العصر المذكور كان عراب ثورة السكك الحديدية وخطوط الرحلات عبر ضفتي الأطلسي والاكتشافات القطبية والبعثات الاستعمارية (الأثرية والدبلوماسية والعسكرية) والإبداعات السياحية... هذا ما استدركته المؤرخة الباحثة "سيلفين فينانير" في دراستها الجديدة: "بانوراما الأسفار" وصدرت عن دار "التاريخ" مطلع العام الحالي وتغطي فصولها الأعوام المتقدمة من [1780] حتى [1920] ويأتي هذا الكتاب بعد دراسة سابقة عنوانها: "حلم المغامرة" (1850 - 1940)... وتعدد في العمل المذكور أسماء الشخصيات والأدباء والفنانين الذين عاشوا في تلك الفترة وكتبوا عن مغامراتهم في المهجـر، وفي بلادهم على حد سواء.. وتوقف الباحثة "فينافير" عند دليل الرحلات، أكان بالمنطاد أو بالدراجة أو بالباخرة أو بالقطار أو... وانعكاساتها على الأدباء من شعراء إلى مسرحيين وروائيين أوروبيين بشكل أساسي... ولم تغلق "سيلفين" نوافذ الكتاب أمام قصص حفنة من علماء الآثار في بلاد ما بين النهرين في

تلك الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، ودور القطارات في نقل الأفكار والعتاد الحربي والتواجد والحادي من القارة العجوز وإليها... واعتبرت أن الأسفار بين الأعوام 1850 و 1940 كانت أشبه بمقالات أو محادثات حول عصر امتد بريقه من منتصف القرن التاسع عشر حتى الرابع الأخير من القرن العشرين ... وتستنجد مراجع "فينافير" بأكثر من 1500 حولية ودورية وكتب ومصادر ، استعانت بهم لتاريخ أحداث العصر المذكور لعل أبرزها : "مكتبة المسافر نابليون شاكس" علمًا أن غالبية المراجع المستخدمة لاستكمال هذا البحث طواها النسيان اليوم ... وانطلقت فصول "بانوراما الأسفار" من الأعوام 1780 و 1810 لتحط عام 1840 ، حين أصبحت سكك الخطوط الحديدية أمراً واقعاً أعقبتها ثورة الاكتشافات البحرية في القطبين ، وظهور مؤسسات علمية تغزو بعثات إلى تلك المناطق النائية.. ورأت في تلك المهام مبادرة لتطوير الحضارة الإنسانية... لتغدو السياحة منزداً مطلباً جماهيرياً ، بعد أن كانت حكراً على محترفي التجارة الدولية وفتحت الأبواب على مصراعيها أمام المواطن في كل مكان فازدادت معرفة الشعوب بعضها البعض ...

2 - الكونغو النيرلاندية

تعدُّ المرة الأولى التي يصدر فيها كتاب باللغة النيرلاندية (الفلامانية) حول الكونغو يروي قصة 90000 سنة من حياة الكونغو الفكرية... ألف هذه الموسوعة الأديب الفلاماني (البلجيكي) ويستخدم تلك اللغة كذلك في الأراضي المنخفضة "ديفيد فان ريبروك" ويلغ اليوم 42 عاماً.. يهتم هذا الكاتب بالتاريخ الأدبي لكل من بيلاروسيا وهنغاريا وأوروبا الوسطى... ويستقبل في بروكسل أدباء أفارقة يعانون من التمييز العنصري... أسس عام 2011 منظمة 1000 G، وهي مجموعة من الكتاب والمثقفين تسعى للحיוة من دون تفتيت بلجيكا ومن دون تقسيمها إلى دويلات الآن... حقق شعبية منقطعة النظير حين نشر كتابه الحدث "كونغو" يلخص فيه 90000 سنة من المسيرة التاريخية للمستعمرة البلجيكية السابقة.. وليحصد عشرات الجوائز الأدبية.. ويسعى الكتاب أعمال تنقيب قام بها عالم الآثار، هذا الذي ينظم الشعر والمتخصص بالتاريخ، ويهتم بالفلسفة ويكتب للمسرح... درس في جامعتي "لوفان" و"كامبريدج" قبل أن يؤلف دراسة "ایتنوغرافية" حول مرحلة ما قبل التاريخ... نشر كذلك : "الوباء" وهي رواية عام 2008 "ومهمة صعبة" عام 2011 وتلك الأخيرة حوارات مع رحالة ورها بن بلجيكين عاشوا في أفريقية الوسطى ، وقدمت تلك المسرحية : " مهمة صعبة" فوق خشبات "بروكسل" و"باريس" عام 2010 ، أما كتابه الموسوعي : "قصة الكونغو" فيتكلم من خلاله مثقفون كونغوليون ، وأدباء أفارقة عن قراهم النائية ومعاناته وعن لغتهم "الكينكونغو" ، التي لا يعرفها إلا سكان المنطقة هناك.. كذلك يتحدث عدد من الصحفيين المحليين مع القراء عن اهتماماتهم ويقرأ عدد من الشعراء الكونغوليين قصائد من تراثهم الشعبي ، والأمر ذاته بالنسبة لعدد من رواة تلك البلاد الفنية بقصصها

البطولية وملامحها الأدبية الشفهية... وقد درس "ديفيد فان ريبروك" لغة "لغوالا" في مستعمرة بلاده السابقة وأقام في قرى بعيدة عن آية مظاهر مدنية لتسجيل مادة كتابه الأنثروبولوجي الروائي التاريخي المذكور... وأجرى أكثر من 500 مقابلة في "كينشاسا" وسوهاها خلال سنوات ست ، ليتمكن من كتابة هذا المؤلف الفريد من نوعه ... ينطلق الكتاب من أيام تجارة الرقيق الأسود ، وكيفية مطاردة القراءنة البيض في الكونغو للعيid حتى وصول "موبوبتو" إلى الحكم ، مروراً بمخلافات الاستعمار البلجيكي ... وكان والد "ديفيد" قد عمل في الماضي مهندساً في سكك الحديد هناك... ويتكلم "فان ريبروك" كذلك اللغة المحلية في الكونغو : "السواحلية" ليفهم حقيقة العلاقات الصعبة بين الشمال الاستعماري ، وبين الجنوب المستعمر مع استمرار احتلال أراضيه إلى اليوم والمنهوبة ثرواته الأمس وغداً... ترجمت هذا العمل المعجمي إلى اللغة الفرنسية البلجيكية "إيزابيل روسيلان" وصدر عن دار "آكت سود" أواخر عام 2012

٣- نهايات

تتردد بين حين وآخر في الأوساط الثقافية الغربية شائعات عن اقتراب العالم من نهاية ، كما كتب "نوستراداموس" الفلكي والطبيب الفرنسي في تنبؤاته حول هذا الموضوع عام 1555 ، أو كما توقعت رزنامة شعب المايا أن نهاية الكون ستحدث يوم 21 / 12 / 2012 ، لذلك انصرفت وسائل الإعلام الغربية إلى تناول تلك التوقعات إلى جانب عشرات المؤلفات التي حطت في المكتبات ، لتحقق أعلى نسب مبيع خلال فترة أعياد رأس السنة الحالية... على غرار "بعد نهاية العالم : سفر الرؤية" للفيلسوف "مايكيل فوسيل" أشهر تلك الكتب.. ويتكلّم هذا المؤلف عن هيروشيمما التي نقلت نبأ نهاية العالم إلى أرض الواقع ...لتحول الأزمات البيئية والاقتصادية التي تهزم الشمال والجنوب معًا إلى كابوس يؤرق مضاجع حكام العالم.. فماذا لو كان ثُم الخروج من تلك المشاكل اختفاء الكبة الأرضية؟ لذلك يسعى أنصار البيئة لإقناع الشارع في المجتمعات الاستهلاكية بتبديل عاداته وتقاليده، هذا بالإضافة إلى تعليق الحروب قبل أن تُفنى الإنسانية ذاتها.. هذا ما أورده "فوسيل" في كتابه الجديد المذكور ونشر عند دار "سوى" الفرنسية، أما زميله "جان نوييل لا فارغ" فنشر مؤلفه: "نهايات العالم من العصور القديمة إلى يومنا هذا" ، عند دار "بوران" قبل أيام.. يقول فيه : ارتبط التبشير بنهاية العالم منذ بدء الخليقة ، بالإعلان عن نهاية الإنسان معه... ففي القرن الثامن عشر ق.م تناقل السومريون شعر "الحكمة" والذي يقيم علاقة بين الطرفين : العالم والبشر.. ثم تدخلت قصائد "الحكمة" مع ملحمة "جلجامش" التي تروي مساعي بطلها الوصول إلى الخلود ، بعد أن قررت آلهة : بلاد ما بين النهرین إغراق البشر بالطوفان.. وتناولت قصص "الفایکنر" كذلك من خلال بطولات

"رليناروك" - يتابع مؤلف "نهايات العالم" - تدمير الكون والكائنات معاً. على غرار ما يلوح الغرب يومياً في وجه شعوب العالم الثالث، منذ اختراع القنبلة الذرية... ومن المعروف أن الإغريق والبوديدين والهنود في شبه القارة الهندية، والمايا في أمريكا اللاتينية (الهندوراس وغواتيمالا الحالية) يؤمنون بما يسمى دورات الزمن؛ أي نهاية مرحلة أو مدار قبل دخول مدار آخر.. ثم جاء "جان باطموس"، ليؤكد أن الله سيقتل الناس ولن يدع على قيد الحياة إلا الأخيار منهم الذين يستحقون البقاء بقربه... لتبدو نهاية العالم مفهوماً نسبياً... وكانت الكوارث عملاً مساعداً للاستعداد للتغيير المجتمع على غرار ما حدث أيام "يواكيم دوفلور" وورثته في القرن الثاني عشر، ودعوا لتحقيق المساواة بين البشر على الصعد السياسية والاقتصادية... ثم أطل "مارتن لوثر" بإصلاحه البروتستانتية وكان يعتقد بعد أن انفصل عن كتلة الفاتيكان مع زميله "كالفن" إنه سيعرف نهاية العالم خلال حياته... وحتى في أزمنة كسوف الشمس كما حصل عام 1999 أو خسوف القمر. ركزت الشائعات على تلك الظواهر المرافقة لها لترسيخ معتقدات قبائل أفريقية تراها مقدمة لنهاية الإنسان، فيقدم زعماء تلك القبائل الأضاحي لاسترضاء آلهتهم وتطوّطّماتهم التائرة...

٤ - حروب صغيرة..

في أحدث أعمال البريطانية "سادي جونس" ونشر قبل أيام تحت عنوان "الحروب الصغيرة" عن دار 10 / 18 ، تسلط الروائية الأضواء على الحروب التي تضرب منطقة المتوسط من خلال اعترافات وثائقية تاريخية اشتهرت بها هذه الأدبية... تبدأ أحداث هذا العمل في "نيقوسيا" عندما يتذكر جندي بريطاني سابق كيف شارك في عمليات عسكرية في قبرص عام 1946 ، وكيف يرى هذا المدعو "هال" في تلك الجزرية المستعمرة البريطانية سابقاً، وعضو الكومنولت لاحقاً، موسوراً يمثل الشرق الأوسط بمشاكله التي لا حدود لها.. ففي عام 1956 عاد "هال" إلى قبرص وهي في حالة حصار وقد سيطرت عليها مجموعات إرهابية تابعة لتنظيم يدعى "أيوكا" على غرار "القاعدة" .. وللتعبير عما يدور في خلد "هال" وزوجته "كلارا" ، تستخدم "جونس" أسلوب الفن الانطباعي لتصور أحداث رواياتها ، كيف تتم الاغتيالات وكيف تتمزق الأجساد أشلاءً ، وكيف يغدو الإنسان وحشاً بريرياً .. وحتى عندما يموت زعيم الإرهابيين "كولياس" تحول "الحروب الصغيرة" إلى لوحة دموية تسرد يومياتاحتلال عسكريٍ تديره الاستخبارات البريطانية الذائعة الصيت عشية الحرب الباردة... فللمحافظة على إمبراطورية صاحبة الجلالة وعلى أمجادها المتهاوية غزت القوات البريطانية "قبرص" ، لظهور كيف يصبح الإنسان العدواني جباناً عندما يحاول التعايش مع عقد الداخلية.. هذا ما دفع "ديفيز" المترجم في قاعدة عسكرية بريطانية قريبة من "نيقوسيا" للتأمر مع جنود قتلة ضد شعبه... وعلى غرار "البندول" ، تتسارع المستجدات ليشهد "هال" جثة "كلارا" زوجته وقد بُقرت بطنها... ليغرق هذا البطل – بعد أن حطمته المؤسسة العسكرية التابع لها ودمرت إنسانيته وخدعته معتقداتها ونظرياتها – في دوامة معاداته لنفسه وقد اقتنع أنه مذنب حتى العظم لذلك يستحق هو أيضاً الموت ..

5 - كارمن

بعد ثمانين عملاً أدبياً بين دراسة وسيرة ذاتية ونقدية هاهو "جان لاكتور" المستشرق الفرنسي يتابع تعريته لمرحلة مفصلية من التاريخ الأوروبي القروسطي من خلال كتابه الجديد : "كارمن" وصدر عن دار "سوى" وأنه مؤرخ قبل كل شيء عاد "جان لاكتور" إلى حياة كل من "بروسير ميرييه" و"جورج بيزيت" للكشف عن جذور كارمن أي إلى الأعوام 1845 حين نشرت مجلة "العلماني" هذه القصة لتتحول على يد "بيزيت" إلى العالمية... ليتعرف قارئ "كارمن" إلى امرأة سبقت عصرها ومهدت لها يسمى حركات التحرر النسائية ، وهي التي نشأت في إسبانيا العربية الثقافة والتقاليد أنارت حضارة تلك الأخيرة عصور الظلام في أوروبا الغربية... وأنه أي "لاكتور" من مواليد مصر يتقن العربية ، نشر عشرات الأعمال التاريخية العربية إلى جانب عشقه لموسيقا تلك الحضارة وجد في "جورج بيزيت" وأوبراليته "كارمن" ما ينشده من استذكار لماضي الفنون والآداب العربية في الأندلس فكانت "كارمن" أبرز مرأة لها

6—قصص من بلادي

قصص "صيفي عطا" لا نهاية لها... فمن مجموعة إلى أخرى ، تتبع أهم كاتبة قصص قصيرة في "نيجيريا" الزوايا المظلمة والمضيئة في حياة أماكن تعرفها الأدبية غيباً... عاشت "عطا" طفولتها وشبابها في مسقط رأسها إلى أن سُنحت لها فرصة الهجرة إلى بلاد العم سام لتابعة دراستها.. هناك حققت قصصها القصيرة شهرة غير متوقعة.. تكتب "صيفي" الإنكليزية المتداولة في "نيجيريا" ، والمطعمة بفردات أنغلو ساكسونية تعود لأيام الاستعمار البريطاني الذي كان يختل لسنوات طويلة تلك البلاد (من 1885 حتى 1963) ، قبل أن تصبح جمهورية... لكن الاستعمار خلف اقسام الجنوب عن الشمال ليقيم دولة "بيافرا" بين العامين 1967 و 1970 بعد حرب أهلية دامية ، وضفت خلالها الشركات الغربية الاحتكارية يدها على أهم ثروات البلاد : النفط... حول تلك الأحداث وتداعياتها تدور قصص "عطا" ...، والتي تسلط - في أحدث مجموعتها وعنوانها "قصص من بلادي" - الأضواء على مأساة اجتماعية تبشر بالأمل كما تقول "صيفي" ... وتکاد غالبية شخصيات المجموعة الجديدة تكون من النساء اللواتي يتعرضن لأبشع أنواع الاضطهاد والتنكيل في ولاية "زمغارة" النيجيرية حين تصبح حفنة من بطلات "قصص من بلادي" طرشاء نتيجة ضرب مبرح يکيله أزواجهن لهن.. ففي قصة "جثامين" على سبيل المثال ، تشكو بطلتها الفتاة السمراء الشابة من عجز أترابها عن إيجاد عروس مناسب لها بعد أن غدت أرملة ولم تبلغ العشرين من عمرها وفي قصة : "أخضر" يحصل زوجان من نيجيريا على بطاقتهما الخضراء بعد هجرتهما إلى الولايات المتحدة بزمن .. تروي معاناتهمما ابتهما التي تحمل الجنسية الأمريكية لكنها

تشعر بالخجل من والديها حين يتناولان قطعة من الدجاج ويقضمانها حتى العظم... كذلك تتوقف "قصص من بلادي" عند محاولات حفنة من الشبان المجرة إلى إسبانيا عبر جبل طارق، يومها تتعرض "نيجيريا" لثلاثة انقلابات متتالية خلال السنوات السبع الماضية علماً أن النفط النيجيري لا يزال يسلي لعب الاحتكارات الغربية أكان اسمها "بريتش بيتروليوم" أو "موبيل أويل" أو "إكسون" الأمريكية أو "شل" أو سواها.

٧ – حزن الساموراي..

هناك روايات تتجاوز خصائصها الفنية على غرار رواية "حزن الساموراي" للأديب الأسباني "فيكتور ديل آربول" ، وترجمتها من لغة "سيرفتيس" إلى لغة "مولير". "كلود بلوتون" ، وصدرت عن دار آكت سود مؤخراً... تجمع رواية : "ديل آربول" بين التراجيديا وقصص الإجرام.. حصدت "حزن الساموراي" جائزة الرواية البوليسية الأوروبية 2012 رغم تغطية أحداثها لثلاثين سنة من الحرب الأهلية الأسبانية وصولاً إلى برشلونة اليوم.. علاقة هذه الرواية بال النوع البوليسي تحصر في التحقيقات التي يجريها الروائي على هامش تلك الحرب ، واستمرت من العام 1936 وحتى 1939 مع تولي الجنرال "فرانكو" حكم البلاد عام 1937.. يتوقف الروائي "فيكتور ديل آربول" عند مرحلة الحرب العالمية الثانية وابتعاد أسبانيا عن المشاركة فيها من خلال قصة حب عاصفة بطل هذا العمل ، وهو جندي زج في معارك طالت شوارع مدريد لتنتقده من جحيم هذا الاقتتال فتاة عشقها حتى الموت.. وقد أكتشف خلال تلك المأساة العنف والجريمة والإرهاب بأبشع صورها ليدون تلك المعاناة في مذكراته ذات الخلفية التاريخية المعبأة بالأمانة والصدق..

8 – الحلة الأبهى..

"الشكل" كان ولا يزال دائم الحضور في العلوم والفنون على حد سواء ، أينما نزل يحل "الشكل" أهلاً وضيقاً يرحب به.. هكذا كان منذ [2500] سنة ، حين وضع كل من "أفلاطون" و "أرسسطو" قواعد "الشكل" و "المضمون" في مرحلة لم تيز يومها بين العلم والفلسفة.. عبارة تلخص مقدمة كتاب "حياة الشكل وأشكال الحياة" للفيلسوف "جان بيير شانجو" ، وصدر عن دار "أوديل جيكوب" أواخر 2012 ، واستحق مؤثراً خاصاً في الكوليج دوفرانس أهم مؤسسة تعليمية في وطن "مولير" أُسست عام 1529 ويدرس فيها فقط العلماء في اللغة والتاريخ والجغرافيا والأدب و.." والشكل" هو البني اللغوية والهندسية والحضارية ، و... والنظام الذي يعطي للمادة تفردها ويدل على حركتها ووظيفتها... هكذا عرف الفلاسفة الإغريق "الشكل" بمفهومه الجمالي ومدلولاته المادية.. فما من نظام نظري إلا ويشمل استقصاء "الشكل" قبل المضمون.. وما من معرفة إلا وتتناول امتياز العبور إلى المضمون من خلال "الشكل" وهو المفهوم الذي طرحته "أفلاطون" ، ولا يزال يعمل به إلى اليوم ، فالكائن الحي هو مادة منظمة طبقاً "لشكلٍ معين.. فحتى "ماركس" الذي اقتبس أفكار "أرسسطو" ونقلها حرفيًا من دون تحريف درس "الشكل" الاجتماعي للرأسمالية ، ليستخرج البني المكونة لها.. أما كتاب "جان بيير شانجو" ، فقد استوحى موضوعه من مؤلف سلفه "هنري فوسيليون" : وعنوانه : "حياة الأشكال" ، ونشر عام 1934 .. انطلاقاً من تعريف "الشكل" ؛ وتعني الكلمة باللاتинية الجمال كما قال يوماً "أفلاطون" حين تكلم عن الأشكال الأدية الموسيقية والقضائية والسياسية - ينطرق كتاب "حياة الأشكال وأشكال الحياة" لعلاقة

هذا المفهوم بالفلسفة والرياضيات والفنون التشكيلية و.. مروراً بعلوم الفلك والحقوق والبيولوجيا والأنتروبولوجيا.. والتشريح والفيزيولوجيا ، ليصل مؤلفة إلى نتيجة مفادها أنه يستحيل دراسة الأشكال من دون الاهتمام بتبدلاتها منذ نشأتها وحتى موتها أو تحولاتها.. ويعود هنا مفهوم التحولات للشاعر اللاتيني "أوفيد" (43 ق.م - 1917 م) ورغم صعوبة الموضوع المطروح في عنوان هذا الكتاب ، إلا أن له بصمات عميقة فيما يسمى بنظريات المعرفة (ابيستيمولوجي) ...

٩ - ماحمة علم الآثار..

إنه كتاب معجمي ألفه "جان كلود سيموني" ، وصدر قبل أيام عن دار "تامبوس" .. عنوانه : "ملحمة علم الآثار" ، يروي أصل ونشوء العالم قبل أن يصبح كما نعرفه اليوم .. تسترجع فصول هذا الكتاب الضخم جذور الجغرافيا ، التي يدرسها الطلاب في كتبهم ليغدو علم الآثار ليس الموضوع المطلوب معالجته فقط ، إنما هدف عمليات التنقيب وداعتها الرئيس .. يسلط هذا المؤرخ والأنثروبولوجي "سيمونين" في معجمه المذكور الأضواء على قرون من التقنيات المستخدمة لتحقيق غاية واحدة ، وهي استنطاق الماضي بتاريخه الحافل ونبش حضاراته وإعطاءها حقها في الحياة .. ليس رد "ملحمة علم الآثار" تاريخ مراحل اكتشافات واسعة ، وأعمال تنقيب صعبة ودفاع عن علماء ومعامرين يسخروا حدسهم لهذا الهدف النبيل .. ويسأل "سيمونين" لماذا اختار المكتشف (س) هذا المكان بالذات للقيام بعمليات حفر التربة ؟ يرتحل الكتاب عبر موقع منتشرة شرقاً وغرباً ، فيستدرج حضارات متعاقبة في بلاد السومريين والأكاديين والآشوريين والبابليين والنيل الفرعونية وببلاد الإغريق والرومانيين والغال والبلاد العربية والصينية فينتقل من محطة إلى أخرى : البتراء... تدمر... بومباي ... مروراً بكل من حضارات : "ماشوبيشيو" وجراتها "المايا والانكا" ... فيعرف بـ "شامبليون" الذي فك رموز الهيروغريفية .. وأمثاله من الذين مارسوا مهمته المحقق السري ، أو المفتش العام عن تركات وبصمات إنسانية شكلت مسيرة أفكار وتقالييد وثقافات .. ليندهش القارئ من تراكمات خلفها الإنسان القديم والحديث وما صنعه السلف من إبداعات وابتكارات ومعجزات رسمت خارطة عصور طورت المجتمعات والأجيال ...

-القصاء 10

"كنت من دون أسرة ودون اسم ودون وجه.. فقدت مشاعري وأفكاري وحتى وعيي" .. بتلك الكلمات تبدأ مسيرة "ريشي بان" الذاتية التي سجلها بالتعاون مع "كريستوف باتاي" ، ونشرتها دار "غراسي" وصدرت باللغة الفرنسية..." وريشي بان": أديب وسيئنائيٌّ كمبودي استطاع النجاة من مجازر "الخمير الحمر" ، بعد أن تمت تصفيته أسرته فرداً فرداً.. في تلك السيرة التي تحمل عنوان "الإقصاء" ، ينتقل "بان" وهو مخرج يعمل في أوروبا الآن إلى أيام طفوولته وقريته النائية على نهر "الميكونغ" ونظام "بول بوت" الذي رعاه وحافظ عليه الغرب منذ أن كانت البلاد ترزح تحت الانتداب الفرنسي ، واستمر هذا الاستعمار من عام 1863 وحتى 1953 ليقيم أنصار الملك "نورodom سيهانوك" نظاماً اشتراكياً في البلاد ، لم يعجب الاحتلال الفرنسي الذي زحف من فيتنام ولاوس إلى كمبوديا... عاش "ريشي" مرحلة تراجع النفوذ الغربي من الهند الصينية إثر معركة "ديان بيان فو" .. وكانت الحروب التي هزت تلك المنطقة وتضم "بنوم بين" ولاوس و"سايغون" و"هانوي" قد استقرت عام 1946 ثم "زج" ليندون جونسون" نصف مليون جندي أمريكي في أتونها ، وراح طائراته تتصفيف المنطقة بقناطر "النابالم" المحرقة عام 1965 إلى أن دمرت تلك القوات فانساحت عام 1975 ... تشكل تلك الأحداث خلفية رواية "الإقصاء" ، التي تتوقف ملياً عند الأعوام 1975 و 1979 حين تصدرت مجازر عصابات "الخمير" - ربيبة كل من لندن وباريس وواشنطن - الأخبار في وسائل الإعلام الغربية ، لتثير الرأي العام ضد حكام دول تلك العواصم ... وارتكتبت أعمال عنف ومارسات إبادة تحت ذريعة تفعيل إنسان جديد يصنع مستقبله الصيني : تلك المنطقة الإستراتيجية الوفيرة الثروات ، والتي تخشى كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة تقديم تنازلات لشعوبها فتخسر هيمنتها على بقعة لا تزال ساخنة منذ قرابة نصف قرن وتحتها الآن ...

١١ - يوميات سهبية..

"فلاديسلاف أوتروشنكو" أشهر من أن يعرف.. يكتب الرواية والقصة والأبحاث النقدية باللغة الروسية، ترجمت له مؤخراً دار "فيردييه" أحدث أعماله إلى اللغة الفرنسية وقامت بتلك العملية "آن ماري تاتسي بوتون.." ليكتشف قراء الفرنكوفونية موهبة خارجة عن المألوف.. فالعمل الإبداعي الجديد يحمل عنوان "أعمامي الثلاثة عشر" ويزواج بين فنون المغامرة واليوميات والرواية.. تقع أحداث هذه الرائعة الأدبية في بلاد الشهب البيضاء جنوب روسيا؛ حيث تعيش شعوب أقرب إلى حالة البدو الرحيل تنتقل من بقعة إلى أخرى تمشياً مع التقلبات المناخية القاسية من ثلج إلى صقيع و... يمارس سكان تلك البقاع الفروسيّة.. ويدعى فرسانهم "الكوساك" بالروسية أي الجنود الفرسان، الذين يتم اختيارهم من شباب تلك المناطق الجنوبية، التي تفترشها سهُب غاية في السحر والجمال.... تخلل فصول رواية: "أعمامي الثلاثة عشر" مغامرات الكوساكى "مالاخ" وزوجته "أنوشكا وأولادهم الذكور وعددهم 13 صبياً... يُكَيْنُ "مالاخ" حباً عميقاً وإعجاباً كبيراً لعمه "بافيل"، لذلك أهتم برسم شاربيه على غرار: العم المذكور حسب طريقة تربية ملك سردينيا "فيكتور إيمانويل"، لشاربيه الممتدين إلى ذقنه (بعد سردينيا أصبح ملك إيطاليا ثم إمبراطوراً لأثيوبيا) حتى ضحكة "مالاخ" تكاد تكون تقليداً لأسلوب عمه في القهقهة بصوتٍ عالٍ... لوحات "فلاديسلاف أوتروشنكو" في روايته هذه صور مجتمع روسيا الجنوبية: روسيا الإمبريالية مطلع القرن العشرين لتعدد شخصيات تلك اليوميات أسماء حفنة من أفلام المرحلة الحساسة التي تسبق الثورة البولشفية: "كينياني" وزملائه، حين تولوا مهمة تحديد صورة الأعمام الفرسان. "الكوساك" الـ 13.. فرسان عاشوا في الواقع، وكانت مغامراتهم محط إعجاب وتندر الكبار والصغار....

12 – تعويذات

الرواية الاجتماعية عادت إلى واجهة المكتبات في إيطاليا مع اهتمام "سيلفيا آفالوني" ، وحفنة من كتاب جيلها بهذا الفن الذي كاد أن يندثر مع هيمنة الخيال العلمي على إصدارات دور النشر هناك... وبعد روايتها الذائعة الصيت : "من حديد" ها هي "آفالوني" تنشر روايتها الحدث : "الفهد" وتتناول من خلالها آفات المجتمع الإيطالي المعاصر... وذلك في مجموعة "بيكولو" ... أما موضوع "الفهد" فيتعقب مسيرة "بيرو" 39 عاماً، الذي يحترف القتل لأن هذه المهنة تحتاج لرجال فحول.. وهو ما تتمتع به شخصية "بيرو" .. فعمل هذا القاتل المحترف انطلق منذ بداية حياته من السرقة.. سرقة كل شيء : الطعام والمال والسيارات.. من دون أن يبالي "بيرو" يوماً بالاعتقالات التي يخضع لها... لأنه يراها نزهة ضرورية لشحنها بقوة جديدة.. إنه حقاً "الفهد" المتوصّب باستمرار كما قال له رفقاء من السجناء... أما زوجته "ماريا" فهو يحبها على طريقته... يضرّبها باستمرار لتقبل بالأمر الواقع... لذلك انصرفت لأعمال الإبرة تواظّب على إنتاج أشغالٍ يدوية تبعها لإحدى الأديرة.. في إحدى الأيام بينما يستعد "بيرو" لسرقة مطعم يقع على قارعة طريق عام ، يتلقى بفتاة تدعى "أندريا" لم تتجاوز سن 18 ليقع المحظوظ على خلفية صراع الأجيال ، بين مراهقة تستهلكها عدمية مجتمع شبابي وبين رجل تجاوز تلك المرحلة ، يعيش على هامش مجتمع خارج على القانون ، يمارس طقوس الجريمة المأجورة.. تقود عدمية "أندريا" تلك النساء المدججة بالأوشام والرسوم المخيفة إلى تعاطي المخدرات ، والانسياق وراء "بيرو" وقد اهتزت قناعاته مجدداً ليغدو أكثر عدائية وإجراماً.. نشرت تلك القصة فوق صفحات "الكورسيرا ديلاسيра" قبل أن

تم طباعتها على شكل رواية قصيرة تصور شريحة من المجتمع الإيطالي غارقة في عالم جرائم تدينها "سيلفيا آفالوني" الأديبة الشابة التي لم تتجاوز 29 عاماً في معظم أعمالها... والرواية الاجتماعية نوع أدبي يستهوي مجموعة من الأقلام الصاعدة، لتحقق مطبوعاتها شعبية منقطعة النظير... ففي روايتها السابقة وعنوانها : "من حديد" تحط آفالوني في حياة شابين من منطقة "اليمون" (حيث ولدت الروائية عام 1984) وبالتحديد في مدينتها الصناعية المدعومة "بيومبينو" على ضفاف شواطئ "توسكانا" حيث وصلت الأزمة الاقتصادية إلى ذروتها... عانت "سيلفيا" على غرار بطلاتها من الضائقة المالية والبطالة خلال السنوات العشر الماضية.. وعملت في حقول الأرز المنتشرة في المنطقة بقراها الحزينة؛ حيث تخيم المعتقدات الخرافية والتعويذات ، التي تعود للقروسطية إضافة للجهل يُؤججه تعلق شرائح تلك البقاع بأحلامها الكاذبة وأوهام تعويذاتها الزائفية....

13 - الهزيمة الأولى...

رغم وقوعها في آخر بقعة من قارة أمريكا الجنوبيّة إلا أنها أنجحت طاقة من الأدباء ذاع صيتهم في أنحاء العالم، لعل أبرزهم "جورج لوبي بورغيز" الشاعر والروائي الأرجنتيني الكبير صاحب "قصة الخلود" و"قصة الشنار"... وهو هو "سانتياغو آميفورينا" الروائي الأرجنتيني المتعدد المواهب - من مواليد بيونس آيريس لعام 1962 - يسير على خطاه سلفه في رواياته السيرة ومارسته كتابة السيناريو باللغتين الفرنسية والإسبانية إضافة للإخراج السينمائي في فيلمه الجديد "صمت آخر" نفذه العام الماضي)... وتکاد مواضيع رواياته تلك تغطي مرحلة طفولته في العاصمة الأرجنتينية المرفأ المطل على "الريو دولا بلاتا" ، ويشتهر بتجارة الحبوب واللحوم ومصافي النفط... وأحدث أعماله رواية صدرت في باريس عن دار بول تحت عنوان : "الهزيمة الأولى" بعد "الحب الأول" ونشرت الأخيرة عام 2004 ، وتعُدّ أبرز عمل أدبي يتناول الثمانينيات من القرن العشرين بتفصيلات مرجعية تعطي العمل وزناً نوعياً... تبدأ الرواية الجديدة مع انفصال الرواية بطل هذا العمل عن حبيبته "فيليبين" لتبدو القصة للوهلة الأولى قصة حب بائسة ، حين تبتعد "فيلين" عنه مدة أربع سنوات... لكن الهزيمة تعالج الانحطاط الذي ضرب المجتمع الأرجنتيني أيام النظام الديكتاتوري من خلال إسقاطاته على خلفية أحداث سياسية هزت بيونس آيريس آنذاك.. ليصبح تساؤل القارئ عن لون ألم الحبيبين. وعن طعم عذابهما المرادف لواقع عاشتها البلاد خلال سنوات فراق العاشقين... أما اليأس والخوف والتردد والعجز والحزن و.... ففتقد لأفكار بطوليّة

تحملها وتطيح بها ، ليولد إنسان جديد... فلولا الهزيمة لما سطعت نور الشمس يومياً ولما تمكن هذا الأديب الأرجنتيني من استخدام أسلوب "بروست" في حبك روایاته التي تتكلم عن نشأته ومراهقته وفترة شبابه في مسقط رأسه "بيونس آيرس" التي رأت النور عام 1580 ، لتغدو اليوم منارة جنوب صفتی الأطلسي والهادی معاً.....

14 – رواية "تيفولي"

تدعى "مارغريت مازنتيني" ، وتحمل لقب رواية "تيفولي" ... تحدّر أسرتها من "دبلن" الإيرلندية ... حطت في إيطاليا لكتاب الرواية على طريقة شهرزاد ؛ راوية ألف ليلة وليلة... تبلغ "مارغريت" حالياً سن الخمسين... حققت أعمالها نجاحات واسعة حين حصدت "مازنتيني" جائزة "ستريغا" الإيطالية عام 2002 لروايتها: "أصغي إلي" ونقلها زوجها إلى السينما ، وهو المخرج "سيرجيو كاستيلينو" ، والدتها ايرلندية لكن والدها إيطالي ، وهي أم لأربعة أولاد ولا تبدو عليهما مظاهر الخوف من أي شيء وبخاصة من المافيا الصقلية المنتشرة في أوساط المجتمع الإيطالي من دون استثناء... تشبه حياتها إلى حد كبير حياة البهلوان ، الذي يسيرا فوق جبل مشدود معلق في الهواء الطلق.. تطال شجاعتها الأدبية مواضيع ساخنة في أكثر بقاع الأرض توبرا... ففي روايتها السابقة "المجيء إلى العالم" نقلت أحدهات هذا العمل إلى البوسنة حين كانت الحرب في أوجها لترسم صورة واقعية عن مخلفات معارك هرت منطقة البلقان وضواحيها . واليوم في روايتها الجديدة وعنوانها: "البحر في الصباح" ... ترتحل إلى ليبيا خلال الفترة التي سبقت حرب الناتو على الجماهيرية الليبية ، من خلال قصة امرأتين وأولادهما مع وصول المهاجرين الليبيين إلى جزيرة "لامبيدوسا" الإيطالية.... فمن جهة هناك المتوسط بعيشه الدافئة ، ومن جهة أخرى هناك الصحراء الكبرى برماليها الحارقة ، حيث تعيش "جميلة" وطفلها "فريد" حياة شقاء رغم آبار البترول التي تفوح رائحتها في أجواء الواحات الليبية. في تلك الصحراء تتبع "جميلة" تقاليد أجدادها البدو الرحل إلى أن تعصف بتلك الواحات ، لتدفع القبائل للهجرة والهرب من الموت ... تنجح "جميلة" و"فريد" في الوصول إلى مركب يبحرون باتجاه الشواطئ الإيطالية : "لامبيدوسا" الآمنة

لكن انقلاب المركب في المتوسط يشاء غير ذلك لموت الأم وطفلها، هكذا ببساطة إثر انقلاب المركب من ثقل حمولته... تزامن تلك الأحداث مع ترقب "إنجلينا" المرأة الإيطالية العربية المنشأ، عودة ابنها "فيتو" إلى صقلية موطن أجدادها... والمدعوة "إنجلينا" تنتهي أسرتها لفلاحين إيطاليين فقراء أرسلهم "موسوليني" في ظل الغاشية واحتلال قواته لليبيا إلى تلك الأراضي العربية ليصبحوا أثرياء... لكن مجيء "القذافي" عام 1970 قلب الأمور رأساً على عقب حين طرد هؤلاء الذين دعوهم "روما بالطرايلسين إلى موطنهم الأم، فراحـت "إنجلينا" تعمل مع المافيا التي تسيطر على حياة أهالي "صقلية" إلى الآن... وهذا هو ابنها "فيتو" البالغ من العمر 18 عاماً، يعود من إحدى مهامه ليجد مأساة تنتظره، كما استقبلت والدته بعيد ولادته... نشرت هذا العمل دار "لافون" وترجمته عن الإيطالية إلى الفرنسية "دلفين عاشين"....

١٥ - دراما تورجي يوناني معاصر...

يحتل "ديتريس ديترياديis" 69 عاماً مكانة مرموقة في دائرة الدراما تورجين الأوروبيين الأكثر غزارة على صعيد الأعمال المسرحية... ينظم الشعر ويختلف النقد الأدبي إضافة لتأليفه أكثر من ثلاثين مسرحية عرضت فوق خشبات القارة العجوز... أحدها "ورشات أوروبية" ... وانطلقت عروضها الأولى من مسرح المدينة في باريس مؤخراً لتجوب اليوم كل من خشبات "أثينا وروما وبروكسل ومدريد" ... هذا ويمارس هذا الأديب اليوناني إلى جانب كتابة الأعمال الدرامية الترجمة عن الفرنسية إلى اللغة اليونانية... فقد نقل إلى لغة "هوميروس" أعمال: "صموئيل بيكيت" و"جان جونييه" و"بلانشو باتاي ومارغريت دوراس" ... يقيم الدراما تورجي الكبير في سالونيك عاصمة الشمال اليوناني. ومن أبرز مؤلفاته "أموات كبلدي" صدر عام 1978 يمسح مأساة عرقتها اليونان موطنه كامة آيلة للاندثار نتيجة الهجرات المستمرة من جزرها الستة آلاف إلى بلاد الاغتراب ، حتى يكاد عدد المغتربين اليونانيين يزيد على عدد المقيمين داخل اليونان اليوم... يسلط "ديترياديis" في مؤلفه هذه الأضواء على بلاده عشية سقوط ديكتاتورية الكولونيالات ، ورحيل تلك الطغمة التي جاءت بها واحتلتن إلى الحكم رغمأ عن إرادة الشعب اليوناني ، وكان يرأسها الجنرال "بابادو بولس" ... عرفت اليونان يومها يقطة جديدة ، وبعثاً آخر عندما رفض هذا الشعب الذل والمهوان والاعتراف بعدو لا يفصح عن اسمه يدعى "الإمبريالية" وقع ضحيتها وهو الذي لم يألف سوى الأمجاد التاريخية... قبل 35 سنة كانت مشاعر اليونانيين يؤججها تراث حضاري خارج عن المألوف..... أما مؤلفه الناطق بالعام وترجم إلى الفرنسية والإنجليزية فعنوانه: "مسرح مكتوباً" ونشر عام 2009 ويتكلم عن الوعي التاريخي للشعب

اليوناني الذي يفخر بامتلاكه أكبر عدد من الخشبات في القارة العجوز ، والمنتشرة في أرجاء البلاد وتعرض نتاجات محلية وعالمية في فصلـي الشـتـاء والصـيف عـلـى حد سـوـاء...
 أما الأزمة الحالية التي تعانـي منها بلادـه فـتعـود جـذـورـها لأـيـام العـشـمـانـيـن ، الـذـين اـحـتـلـوا اليـونـان لأـرـبـعـة قـرـون وـنـيـف ، بـعـدـ أنـ حلـ مـكـانـ الإـقـطـاع أحـزـابـ سيـاسـيـة عـدـدـ مـنـهـا مـأـجـورـ لـلـغـرب .. وـيـقـيمـ "ديـمـتـريـادـيسـ" مـقـارـنـةـ بـيـنـ بـلـادـهـ وـجـارـيـهـاـ إـيـطـالـياـ وـبـولـونـياـ فـيـ كـتـابـهـ الأـحـدـثـ : "نـحنـ وـالـإـغـرـيقـ... وـيـعـرـجـ فـيـهـ عـلـىـ أـزـمـةـ الـحـضـارـاتـ لـيـسـ فـقـطـ فـيـ الـيـونـانـ ، وـإـنـاـ فـيـ الـعـالـمـ الـذـيـ لـمـ يـعـدـ يـتـحدـثـ سـوـىـ عـنـ الـمـصـارـفـ وـالـبـورـصـةـ الـغـرـيـبةـ وـ...ـ مـتـنـاسـيـاـ أـنـ الـسـيـاسـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ هـيـ جـزـءـ لـاـ يـنـفـصـلـ عـنـ مـفـهـومـ وـاسـعـ يـلـقـبـ :ـ الـحـضـارـةـ لـذـلـكـ بـاـتـ ضـرـورـيـةـ الـعـودـةـ إـلـىـ التـارـيـخـ وـاسـتـجـوـاـبـ ،ـ لـاـكـشـافـ مـاـذـاـ فـعـلـتـ جـمـهـورـيـةـ "فـايـمـ"ـ فـيـ أـلـاـنـيـاـ الـعـشـرـيـنـيـاتـ مـنـ الـقـرـنـ الـماـضـيـ عـلـىـ سـيـلـ المـثالـ؟ـ لـذـلـكـ نـخـتـاجـ لـخـضـارـةـ جـدـيـدةـ كـالـتـيـ وـصـفـهـاـ الـأـدـيـبـ الـأـلـمـانـيـ الـمـعاـصـرـ "غـنـترـغـرـاسـ"ـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ :ـ "حـيـاءـ أـورـوبـاـ"ـ يـتـابـعـ دـيمـتـريـادـيسـ ..ـ وـنـشـرـتـ الـقـصـيـدـةـ فـيـ "زوـدوـتشـ زـيـتونـغـ"ـ يـسـتـعـدـ مـنـ خـالـلـهـاـ أـمـجـادـ بـلـادـ الـإـغـرـيقـ فـيـ مـهـدـ الـخـضـارـةـ الـأـوـرـوبـيـةـ...ـ وـيـقـومـ مـسـرـحـ "ديـمـتـريـادـيسـ"ـ بـدـورـ الـمـطـهـرـ لـلـأـزـمـاتـ الـتـيـ تـعـانـيـ مـنـهـاـ بـلـادـهـ ،ـ فـهـنـاكـ فـيـ الـيـونـانـ يـقـولـ الـدـرـاماـ تـورـجيـ الشـهـيرـ إـبـدـاعـاتـ شـابـةـ تـحـتـاجـ لـتـرـجـمـةـ أـقـوالـهـاـ إـلـىـ أـفـعـالـ ،ـ وـيـسـتـطـعـ الـمـسـرـحـ الـقـيـامـ بـهـذـاـ الدـورـ الـوـسـيـطـ وـالـإـسـهـامـ بـإـعـطـاءـ مـعـنـىـ آـخـرـ لـحـيـاتـنـاـ نـحنـ الـبـشـرـ فـيـ أـوـقـاتـ الـشـدائـدـ وـالـخـنـ بشـكـلـ خـاصـ....

نافذة أخيرة

- المتنبي وفيكتور هوغو د. ثائر زين الدين

المتنبي وفيكتور هوغو

د. ثائر زين الدين

لو تحدثنا عن أبي الطيب المتنبي ودوره وتأثيره في الحركة الشعرية والنقدية في عصره، لبدا الأمر عادياً ومسلمًا به، ولو تناولنا حضوره المتتنوع والمتشعب الأشكال في الشعر العربي المعاصر - من إحياء الشخصية وصولاً إلى استلهامها واستفادتها والتعبير بها ضمن تقانات فنية مختلفة -. قبل دارسو وقارئو الأدب المتابعون ما طرحته، وهذا ما فعلته سابقاً في كتابي "أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر" عام 1999 وفعله بضعة نقادٍ بعد ذلك في سوريا والوطن العربي.

لكن لو تحدثنا عن تأثير المتنبي أو حضوره بصورة ما في أدب شاعر وروائي مبدع من أهم كتاب فرنسا في المرحلة الرومانسية هو فيكتور هوغو (1802 - 1885) لاستغرب الكثيرون كلامنا وعدوه ضرباً من التصub القومي.

الرواية الأولى التي كتبها فيكتور هوغو ربيع عام 1821 وهو بعد في الواحدة والعشرين من عمره وحملت عنوان "هان الأيسلندي" ونشرت في طبعتها الأولى عام 1823 تشهد بأن فيكتور هوغوقرأ شعر المتنبي وأعجب به وأفاد منه، والحقيقة أن نظرية متقصصةً إلى تعامل المستشرقين مع شعر أبي الطيب وسيرته تؤكد ما ذهبت إليه.

لقد بدأت مسيرة الاهتمام بشعر المتنبي وترجمته إلى اللغات الأوروبية منذ عام 1656 حين نشر غوليوس Golius المتوفى عام 1667 قصيدة للرجل وموجزاً عن

سيرة حياته، وبعد ثلاثين سنة تقريباً ظهر كتاب "المكتبة الشرقية" لبارتلمي دوبلو Barthelmy Dherbelot وضم ترجمة المتنبي، ثم ظهر كتاب خص بالشاعر حمل عنوان "نماذج من الفن الشعري العربي عند المتنبي"، وضم "ست عشرة مقطوعة غزلية ومرثيات بالنص العربي مصحوبة بترجمتها إلى الألمانية"¹ ، وتالت الترجمات؛ ففي عام 1791 نشر س. ف. غونتر وال S.f. Gunthre Wahl "مجموعة المختارات العربية الجديدة" التي حوت خمس مقطوعات ومرثية، باللغة العربية، وعام 1797 ينشر ج. هـ. هندلي J.H. Hindley كتاباً مختصراً يضم سيرة أبي الطيب وشيئاً من شعره، ومديحاً حماسياً لشاعر الكوفة: "إن الكثير من قصائده ذات سمو رائع، وهي عظيمة جداً".²

وينشر دوفال ديتان Duval Destains عام 1813 مرثية المتنبي لأبي شجاع فاتك بالنصين العربي والفرنسي، ويقدم رأياً نقدياً بالشاعر: "إن أبياته الملائمة بالطاقة والحرارة وخطوطه المرسومة بجرأة، ولمساته الجميلة القوية، كل هذا وفر له بين المؤلفين العرب مكانة ممتازة، وبما أنه معتمد في أسلوبه، فلنسنا واجدين عنده ذلك المديح الحقير المتكلف. إن المتنبي يصور بقوة، ويُدح بلطافة، إنه ينشر في شعره الأفكار الأخلاقية.. ولا يخضع لقواعد الذوق السائدة في عصره.."³

وسيرداد الاهتمام الغربي بأبي الطيب بدءاً من 1819؛ فتكثر بحوث المستشرقين وترجماتهم لشعره.

وعليه فمما لا شك فيه أن فيكتور هوغو الشاعر أولًا وصاحب ديوان "شريقيات" وغيره قدقرأ ما ترجم للمنتبي باللغات التي يعرفها وهو ذا يستهل فصلين من روايته الأولى بشعر له.

رواية "هان الأيسلندي"⁴ - التي ترجمها الأستاذ زياد العودة إلى العربية وصدرت عن وزارة الثقافة 2009 - تجري أحداثها في النرويج القرن السابع عشر، وهي تحكي قصة فارس اسمه أوردنير يتعلّق قلبه فتاة تدعى إيتيل، محتجزة في قصر مونكولم، مع والدها شوماكير الذي كاد له خصمُ المستشار دالفيلد؛ فاتهم بجريمة ضد الدولة. وستقرّر مصير السجينين علبة صغيرة تضم ما يثبت براءة شوماكير، لكن العلبة المذكورة تقع في يد قاطع طريق دموي هو هان، وهان مخلوقٌ بهممي يعيش معزلاً الناس مع دبٍ، وقد يتغذى بدم ضحاياه. يسارعُ الفارس أوردنير إلى البحث

عن هان لإحضار العلبة وتبثة شوماكيير ، ولاسيما أن المؤامرات عليه راحت تشتد. وأخيراً وبعد حوادث ممتعة يتمكن الفارس من إحضار العلبة وأسر هان ، وتُبرأ ساحة شوماكيير وتعاد إليه ألقابه وممتلكاته ، ويُسجّن هان ، ثم يضرم في السجن حريقاً
هذا هو موجز الرواية بشكلٍ عام.

يستهل فيكتور هوغو الفصل التاسع بستة أبيات من قصيدة المتنبي الشهيرة :
لا خيل عندك تهدىها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال .

وللسิوفِ كمَا للنَّاسِ آجَالُ
وَمَالَهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ إِهْمَالُ
عَيْرٌ وَهِيقٌ وَخَسَاءٌ وَذِيَالٌ
كَانُ أَوْقَاتَهَا فِي الطِّبِّ آصَالُ

ويختار من القصيدة الأبيات التالية :
**القاتلُ السيفُ فِي جَسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْفَارَاتِ هِيَتَهُ
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسْتَهِ
تُمْسِي الضَّيْوِفَ مَشَاهَةً بِعَقوَتِهِ**

.....

تُقْرِي صوارِمُهُ الساعَاتِ عَبْطَ دَمٍ كَانَتِ السَّاعَاتِ نَزَالَ وَقَفَالَ

والقصيدة كما هو معروف مكتوبة في مدح قائد جيش مصر أبو شجاع فاتك ، وقد أحبه المتنبي لفروسيته وشجاعته ، في زمنٍ كان كافور يحكم فيه مصر ، ومدحه بهذه القصيدة الرائعة التي حملت معانٍ جديدة في بابها والأهم من كل هذا في ذلك مجال - أقصد الكتابة الروائية - هو توظيف الاستهلال بشكلٍ فني . وهذا مازراه في الفصل المذكور ؛ فهو يتحدث عن زيارة الشاب الفارس أوردينر للسجنين وابنته الشابة ، وقد علم أن دليل البراءة وقع في يد هان الرحيب ، ومع ذلك يقطع وعداً للكونت السجين شوماكيير وابنته أنه سيلاحق هان ويعيد العلبة ، التي تحمل رسائل ووثائق تخرجه من سجنه .

وينطلق الفارس إلى غايته ... بعد أن رسمَ الراوي صورةً جميلةً ومهيبةً له مهدت لها أبيات المتنبي السابقة ؛ فهي أيضاً تصف فارساً شجاعاً يقتحم المخاطر في سبيل غaiاتٍ نبيلةٍ كما أسلفت !

وهذا يعني أنَّ فيكتور هوغو يعلم تماماً من قيلت الأبيات و المناسبات التي أحاطت بها.

نتقلُ إلى الفصل الرابع والعشرين فنلاحظ أنَّ الروائي استهل الفصل بأربعة مقوسات آخرها للمتبني وهو بيتُ الرائع الذي يقول فيه :

وينزيلوني غضبُ الأعادِي قسوةٌ **وليمُ بي عَتَبُ الصديقِ فاجزُ**
 ثمَّ يأتي الفصل فإذا به يدورُ إلى حدٍ بعيدٍ في ذلك هذا البيت ، فمعظم صفحاته هي حوار بين الحاكم لوفان دوكنور والسجين شوماكير ، و كان السجين فيما مضى رئيساً للحاكم يومَ كان ضابطاً صغيراً فأحبهُ و ساعدَه على الترقية ...

ولكن سنوات طولية تفصل الآن بينهما ولذلك لم يتمكن شوماكير من معرفة أنَّ الحاكم الذي يقف أمامه ليس إلا صديق الأمس ، ومع ذلك يعلن أنَّ الحاكم يذكرهُ بذلك الشخص ويدأ بالحديث عنه فيمتدحه في حين يذمُّ الحاكم بصورةٍ ما . وهنا يتوزعُ الزائرُ بين مشاعر العتب تجاه هذا الصديق السجين الذي لم يتعرف إليه ... ومشاعر الإحباط والحزن جراء الشتائم التي توجه إلى شخصهِ الآن كحاكم ... ونراه يجزع فعلاً لـ **عتَبُ صديقهِ القديم** هذا من دون أن يجرؤ على التصرُّف بشخصيَّته الحقيقية ودفع بعض العتب والظلم عن نفسهِ .

فيغادرهُ أخيراً من دون أن يبُوح بالغاية الحقيقة التي دفعته إلى زيارته والتي أساسها التأكيد من ضلوع السجين بمُؤامرة حيكت ضد الدولة ...

ويقول له وهو يغادر :

- أيها الكونت شوماكير . حافظ باستمرار على التقدير نفسه للوفان دوكنور .

وعليهِ فإنَّ ما سبق يؤكُدُ تأثر كاتب فرنسا الكبير فيكتور هوغو بأبي الطيب المتبني شأنهُ شأن عددٍ غير قليل من الأدباء العرب والأجانب ، الذين أتيح لهم أن يقرؤوا شعرهُ وسيرة حياته وهي مسألة يجب أن تثير فضول أساتذتنا من النقاد الذين يتقنون أكثر من لغة ، فتدفعهم إلى البحث في هذا المجال بصورةٍ مستفيضة وهادئة .

الهوامش

- 1 رجيس بلاشير، أبو الطيب المتنبي ، ت : إبراهيم الكيلاني ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001 ، ص 355.
- 2 نفسه ، ص 356.
- 3 نفسه.
- 4 فيكتور هوغو ، هان الأ Islendi ، ت : زياد العودة ، وزارة الثقافة ، دمشق 2009.

دعاة

السادة الكتاب الباحثون والمتجمون المحترمون:
تنوي مجلة الآداب العالمية نشر ملف (أو عدد خاص) عن الاستشراق في
عددها (155) صيف عام 2013.

لذا يرجى من يرغب المساهمة إرسال المواد مشفوعة بالأصل الأجنبي
(في حال كانت المادة مترجمة) على البريد الإلكتروني التالي:

worldletters@awu.sy

أو على العنوان البريدي:
دمشق - أوتوستراد المزة - مقابل قصر العدل - ص.ب 3230

World Literature

Al Adab Al-Alamiyyah

No.154 Winter 2013 - Thirty Eighth year

CONTENTS

No.	Title	Writer	Translator	P.
1	Editorial		Editor in Chief	5
A-Essays				
2	Arab Book Translation	Sa'eeda Kaheel		13
3	"Jeed's" Tests	Marcel Brust	Lateefa Deeb	43
B-Poetry				
4	Albanian Female Poets	Abdullatif Arna'out		63
5	Two Poems	Charle Podlaire	Ali Mulla Na'san	77
C-Story				
6	Mahesh	Sachandra Tchatergy	Zuhair Naji	83
7	A Woman Friend	Mary Lavin	Maha Bahbouh	107
D-Drama				
8	The Useless	Philip Löhle	Nabeel Haffar	123
E-Follow Ups				
9	Book Review: Oscar Wild		Tawfiq Al-Asadi	199
10	Book Review: Gabriel Garcia Marquez		Fu'ad AbdulMutaleb	205
11	Follow Ups & Literary News		Huda Anteeba	209
F-Last Page				
12	Al-Mutanabbi & Victor Hugo		Tha'er Zein Eddin	235



رابط بديل
lisanerab.com



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

**Arab writers union
Damascus – Mazzeh Autostrade
P.O. Box 3230**

Tel: 6117240-6117241-6117242-6117243

E-mail: aru@net.sy

E-mail: worldletters@awu.sy

<http://www.awu.sy>

correspondence is to the care of the Editor in chief

Annual subscriptions

Members of Arab Writers Union	250 S.P
Inside Syria individuals	300 S.P
	Establishment
Arab countries individuals	900 S.P
	Establishment
Other countries individuals	600 S.P or 15 \$
	Establishment
Formal establishments in Syria	2000 S.P or 25 \$
Formal establishments in Arab countries	900 S.P or 20 \$
Formal establishments in other countries	2000 S.P or 40 \$
	200 S.P
	350 S.P or 20 \$
	500 S.P or 20 \$

WORLD LITERATURE

"World Literature is a quarterly magazine concerned with publishing poems, short stories, plays and other creative works, as well as literary criticism and research, translated from world literature

A quarterly magazine issued by Arab Writers Union in Damascus
Issue No. 154, Spring 2013, 38th year

General Manager

Prof. Dr. Husein Juma'a

Editor in chief

Adnan Jamous

Executive Editor

Dr. Thaer Zein Eddin

Editorial Board

Dr. Nabeel Al-Haffar

Tawfeeq Al-Asadi

Refa'at Atfah

Farouk Al-Hameed

Layout

Wafaa' Al-sati